موقف الطاهر بن عاشور من الإمامية الإثني عشرية

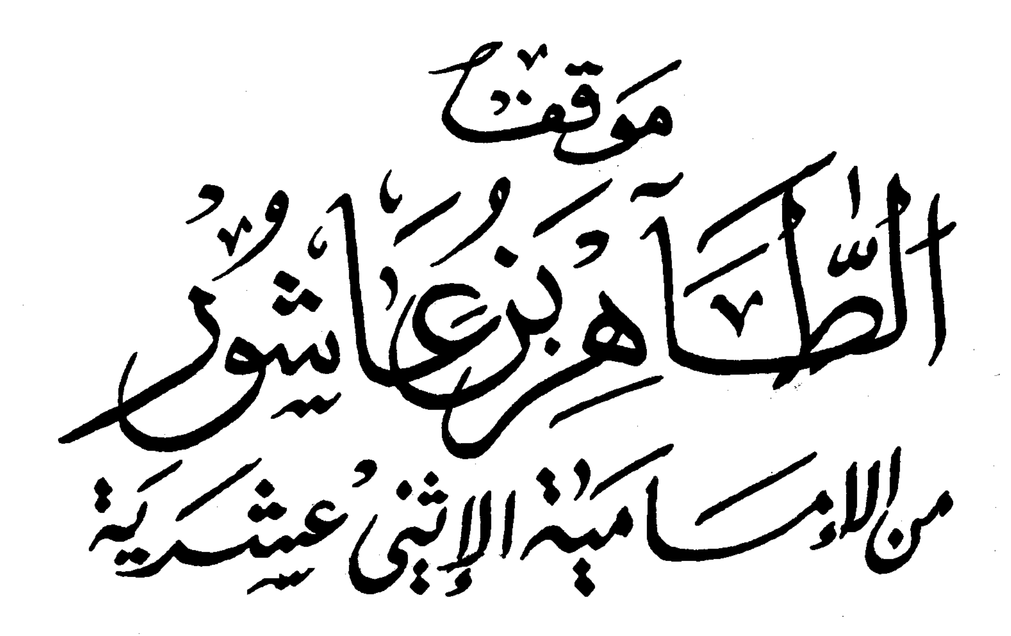
تأليف:

خالد بن أحمد الزهراني

تقديم

الدكتور صالح بن مقبل العصيمي التميمي

مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب



تأليف:
خالد بن أحمد الزهراني

تقديم
الدكتور صالح بن مقبل العصيمي التميمي

الطبعة الأولى 1431 - 2010

© جميع الحقوق محفوظة

موقف الطاهر بن عاشور من الإمامية الإثني عشرية

أولاً :

«المقدمــة»



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : 102].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : 1].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : 70-71][1] :

فإن الكتابة عن المؤلفين العِظام دهاقنة[2] الفكر الإسلامي، ومعارف الشريعة، ومنبع استنتاج الأحكام الشرعية.. لهو من واجبات من جاء بعدهم براً بهم ونشراً لعلمهم بين الأمة وأبنائها، ومن هؤلاء الأعلام الجبال العلامة الفقيه المفسر النحرير «الطاهر ابن عاشور» وموقفه من فرقة تنتسب للإسلام وأهل القبلة وهم «الشيعة الإمامية الإثنا عشرية» من خلال تفسيره الكبير «التحرير والتنوير».

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

هناك أسباب عدة جعلتني أختار هذا الموضوع وأكتب فيه، منها :

---

(1) تُنظر ألفاظ روايات خطبة الحاجة في : صحيح مسلم (593/2) (868)، سنن الدارمي (191/2).

(2) جاء في القاموس المحيط (ص : 1546) باب النون فصل الدال : الدِّهْقانُ بالكسر والضم : القويُّ على التَّصرُّف مع حدَّة، والتاجر وزعيمُ فَلاَّحي العجَم، ورئيسُ الإقلِيم، مُعرَّب.

1- أهمية الكتابة في هذا الموضوع وهو الرد على الشيعة الإمامية الإثني عشرية وبيان خطرهم وانحرافهم عن الدين، وخاصة في هذا الزمان، فقد كان الإمامية الإثنا عشرية قديماً يتحينون الفرص لهدم الإسلام بكل ما استطاعوا من وسائل وإمكانيات، وعملوا جاهدين في سبيل هذا الأمر بكل ما أوتوا من قوة، حتى قامت لهم دول سخروها في حرب الإسلام والقضاء على المسلمين ؛ كالدولة العبيدية الفاطمية التي قامت في تونس ثم في مصر، وغيرها من دولهم التي قامت في ثنايا الدولة الإسلامية، ثم ما لبثوا بعد أن انقرضت دولهم أن خمدوا ردحاً من الزمن، وهاهم في هذا الزمان يتململون عن جديد، ويريدون أن يعيدوا مجد آبائهم السابقين.. فكان لابد من بيان خطرهم وانحرافهم عن الدين.

2- أهمية بيان مواقف علماء المسلمين الكبار من هذه الطائفة، وبيان كلامهم فيها وتحذيرهم منها، وذلك لأنه قد اغتر بهم كثير من الناس في هذا الزمان، ناسين أو متناسين ضلالهم وانحرافهم عن الدين وحربهم للإسلام والمسلمين، فذهبت طائفة منهم يشيدون بالإمامية الإثني عشرية وبمواقفهم المزعومة من دول الغرب وإسرائيل، وذهبت طائفة أخرى تدعو إلى التقريب بين السنة والشيعة مدعين أنه ليس هناك كبير فرق بيننا وبينهم، وأن الخلاف معهم إنما هو كالخلاف بين المذاهب الفقهية الأربعة، فلذلك كان لابد من بيان مواقف العلماء الذين خبروا هذه الطائفة وعرفوا معتقداتها ومخالفتها للإسلام، حتى يبين الحق وتتضح الحجة، وحتى يعرف المنخدعون بهم أنهم على خطأ كبير.

3- يعتبر الإمام محمد الطاهر بن عاشور من أجل علماء المسلمين وأكابرهم، فقد كان إماماً لجامع الزيتونة في تونس في عصره، وكان فقيهاً لتونس، وهو من العلماء العاملين الذين لهم قدم راسخة في الدعوة إلى الله وفي الإصلاح وفي العلم والتعليم، وفي التصدي لأهل البدع والضلال كالإمامية الإثني عشرية وغيرهم، فقد بين ضلالهم وانحرافهم في كثير من كتبه، خاصة وأنه كان لهم وجود في زمنه في تونس بعد أن كانت الدولة العبيدية لها وجود هناك؛ لذلك كان لابدَّ من بيان موقفه منهم ومن عقائدهم وانحرافاتهم.

4- الإمام الطاهر بن عاشور من أئمة المالكية في عصره، بل لقد سمي بشيخ الإسلام المالكي، ومن الأهمية بمكان معرفة مواقف أئمة المذاهب الأربعة من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، لبيان أنه قد أطبق جميع أئمة المذاهب على تضليلهم وبيان انحرافهم، والمذهب المالكي هو أحد هذه المذاهب الفقهية المتبعة في العالم الإسلامي، فمن الأهمية بمكان بيان موقف أئمته من هذه الفرقة، وبالأخص العلماء الذين لهم قدم راسخة في الدعوة إلى الله وفي العلم والتعليم والإصلاح، والذين يتجه الناس إليهم ويأخذون بآرائهم واجتهاداتهم، ومنهم بلا شك الإمام محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.

5- تعتبر بلاد إفريقية وتونس خاصة -وهي بلاد محمد الطاهر بن عاشور- من البلدان المتمسكة بالكتاب والسنة، وما اتباعهم للمذهب المالكي إلا دليل على ذلك، ولم تدخل عليهم بدعة التشيع إلا في أيام الدولة العبيدية وما بعدها، فمن المهم معرفة مواقف علماء تلك البلاد من هذه الدولة وانحرافاتها، وذلك لأنها كانت تدين بالرفض وتدعو إليه وتروجه بين الناس.

6- أيضاً لعل من الأسباب الداعية لكتابة هذا البحث: أنه لا يوجد من كتب في هذا الموضوع وهو بيان موقف الإمام محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة الإمامية الإثني عشرية من خلال كتبه وخاصة تفسيره (التحرير والتنوير).

7- أهمية كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور ؛ إذ أنه من التفاسير المشهورة بين الناس، وهو من الكتب المهمة في بابه، فقد جمع فيه بين التفسير والدعوة والإصلاح وبيان خطر الفرق والطوائف المنحرفة عن الدين، والتي منها الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، ولكبر حجم الكتاب قد يصعب على الباحث معرفة المواطن التي تكلم فيها عن الشيعة، لذلك كان ذكرها في بحث مستقل مما يسهل على الباحث معرفتها والرجوع إليها في أماكنها الأصلية من الكتاب.

لهذه الأسباب وغيرها رأيت أن أكتب في هذا الموضوع، ولا أدعي أنني قد أتيت فيه بما لم تستطعه الأوائل، ولكن حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، وبالإشارة تفهم العبارة.

منهجي في البحث :

الطريقة التي سرت عليها في هذا البحث هي كالتالي :

أولاً : قدمت للبحث بمقدمة تمهيدية ذكرت فيها ترجمة الإمام الطاهر بن عاشور، وتعريفاً مختصراً بالشيعة ونشأتها، وذكرت أهم عقائدهم التي خالفوا بها أهل السنة والجماعة، ثم ذكرت موقف أئمة المالكية من الشيعة، وذلك من خلال ما اطلعت عليه من كتبهم وفتاويهم، ثم تكلمت عن موقف الشيعة من أهل السنة وعلمائهم، وخاصة الأئمة الأربعة.

ثانياً : قرأت كل ما وقع لي من كتب الطاهر بن عاشور قراءة متأنية، من أجل استخراج موقفه من الشيعة من خلالها، وقد ذكرت هذا الموقف إجمالاً ؛ لأن أساس البحث هو بيان موقفه من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

ثالثا : قرأت كتابه التحرير والتنوير قراءة متأنية دقيقة، وكلما وقفت على كلام له عن الشيعة عند تفسير بعض الآيات قيدته في مسودة، وبعد أن أتممت قراءة الكتاب كاملاً جمعت كل ما نقلته منه ورتبته حسب مواضعه من التفسير.

رابعاً : استقصيت كل كلامه عن الشيعة في كل موضع بحسبه، فإذا استطرد وخرج عن الكلام عن الشيعة إلى موضوع آخر وضعت مكان ذلك فراغاً هكذا (....) حتى يعرف القارئ أنه لا يزال الكلام متواصلاً لكن في موضوع آخر.

خامساً : ليس كل ما ذكرته من كلام الطاهر بن عاشور عند تفسيره للآيات؛ بل بعضه عند تفسيره لبعض الآيات، وبعضه يذكره في سياق آخر، وكله مبين في موضعه.

سادساً : أحياناً أعلق على كلام الطاهر بن عاشور بكلام من عندي إن احتاج المقام إلى ذلك، وعند كل تعليق أذكر كلمة (أقول).

سابعاً : عزوت كل كلامه إلى مواضعه من التفسير بالجزء والصفحة.

ثامناً : قدمت لهذا كله بمقدمة ذكرت فيها منهج الإمام ابن عاشور في رده على الشيعة الإمامية الإثني عشرية من خلال كتبه.

تاسعاً : عرّفت بالمصطلحات والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

عاشراً : عزوت الآيات إلى سورها كما هو في المصحف العثماني.

حادي عشر : خرجت الأحاديث والآثار على النحو التالي :

1- إذا كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك.
2- إذا لم يكن في الصحيحين خرجته من أكثر من مصدر، مع نقل كلام العلماء عليه تصحيحاً أو تضعيفاً.

ثاني عشر : ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

ثالث عشر : عرفت بالفرق والطوائف والبلدان والأماكن.

رابع عشر : عزوت الأقوال الواردة في البحث إلى قائليها، ذاكراً الجزء والصفحة.

خامس عشر : قمت بعمل الفهارس التالية :

1- فهرس الآيات.
2- فهرس الأحاديث النبوية.
3- فهرس الأشعار.
4- فهرس الأعلام.
5- فهرس الفرق والطوائف.
6- فهرس البلدان والأماكن.
7- فهرس المصادر والمراجع.
8- فهرس الموضوعات.

خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس عامة.

أولاً : المقدمة وفيها ما يلي :

1- أسباب اختيار الموضوع وأهميته.
2- بيان منهجي في البحث.
3- خطة البحث.

ثانياً : التمهيد :

وتشمل :

مقدمة تاريخية :

1- إشارة إلى ما كانت عليه بلاد إفريقية وتونس خاصة من تمسك بالكتاب والسنة.
2- إشارة إلى بداية دخول البدع عليهم عن طريق الدولة العبيدية الرافضية.
3- إشارة إلى تصدي العلماء من أهل السنة لأهل البدع من الإمامية الإثني عشرية وغيرهم.

الفصل الأول : ابن عاشور.. عصره وحياته.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عصر ابن عاشور.

المبحث الثاني : حياته والتعريف به.

الفصل الثاني : التعريف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية.

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف الشيعة ونشأتها.

المبحث الثاني : عقائد الشيعة التي خالفوا بها أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث : هو موقف أئمة المالكية وعلمائهم من الشيعة.

الفصل الرابع : موقف الشيعة الإثني عشرية من أهل السنة وعلمائهم.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف الشيعة الإثني عشرية من أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني : موقف الشيعة الإثني عشرية من الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء.

ثالثاً : موقف الإمام محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره (التحرير والتنوير).

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإمام الطاهر ابن عاشور وتفسيره (التحرير والتنوير).

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الإمام الطاهر ابن عاشور مفسراً.

المبحث الثاني : تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير).

الفصل الثاني : موقف ابن عاشور من الشيعة إجمالاً.

الفصل الثالث : موقف ابن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

وهو لب البحث، وفيه عدة مباحث مذكورة فيها المواضع التي تكلم فيها ابن عاشور عن الشيعة في تفسيره.

رابعاً : الخاتمة :

ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، ثم ذكرت فيها ما بدا لي من توصيات.

خامساً : الفهارس العامة :

وتشمل :

1- فهرس الآيات.
2- فهرس الأحاديث النبوية.
3- فهرس الأشعار.
4- فهرس الأعلام.
5- فهرس الفرق والطوائف.
6- فهرس البلدان والأماكن.
7- فهرس الموضوعات.

شكر وتقدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فإني أحمد الله سبحانه وتعالى على ما منّ به من إتمام هذه الرسالة، وأسأله عز وجل أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ولا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى والديّ العزيزين - حفظهما الله تعالى - اللذين شجعاني على مواصلة الدراسة العليا.

ثم أتوجه بالشكر الخالص لمعهد الدعوة الجامعي وإدارته متمثلة في قسم العقيدة وعلم الكلام على إتاحة هذه الفرصة الثمينة لاستكمال دراستي العليا فيه.

وأتوجه كذلك بالشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى شيخي فضيلة الشيخ / صالح بن عبد الله الدرويش، والمشرف الدكتور الشيخ / صالح بن مقبل العصيمي اللذين لم يبخلا علي البتة من وقتهما الثمين بالتوجيه والتصويب والمساعدة في دقائق هذا البحث المضني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله أولاً وآخراً.

ثانياً :

«التمهيـــد»



كانت دول الشمال الأفريقي[1] منذ فتح المسلمين لها على مذهب أهل السنة والجماعة، فترى أهلها مناصرين لدين الله، آخذين بأحكام الإسلام، محبين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحابته، موقرين لعلماء الأمة من أهل السنة ومتمذهبين بمذاهبهم، فتراهم في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان[2]، ومذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس[3] رحمهما الله، وفي العقيدة على مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبعين، وفي القراءة على حرف حمزة[4]، ثم حرف نافع[5] رحمهما الله.

واستمر بهم هذا الحال إلى أن دخل عليهم أهل البدع من رافضة وغيرهم، فغيروا عقيدة بعضهم، ومالوا بهم عن فقه أئمتهم.

فأدخل عليهم الخوارج[6] بدعتهم، وأدخل عليهم الرافضة عن طريق الدولة العبيدية مذهبهم، واستمروا على هذه الحال حتى أسقط أهل الإيمان دولة الرفض والتشيع، وأعادوا لإفريقية مجدها وعزها، وتمسكها بدين نبيها الصحيح.

---

(1) أطلق قديماً اسم أفريقية على منطقة المغرب الأدنى التي تشمل حالياً جمهورية تونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وكانت العاصمة على التوالي القيروان ثم المهدية ثم تونس. يُنظر : معجم البلدان (228/1).

(2) النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي، أبو حنيفة الإمام الفقيه المجتهد (80-150هـ) يقال : أصله من فارس، ولد في الكوفة في حياة صغار الصحابة ولم تثبت له رواية عن أحد منهم، وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعين عند أهل السنة، توفي ببغداد. ينُظر: تقريب التهذيب (7153)، تذكرة الحفاظ (1/168-169).

(3) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله المدني الفقيه (93-179هـ) إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة وتوفي بها، وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعين، أشهر كتبه (الموطأ)، حُفِظَ مَذهبُهُ في المدونة وقد صنفت بعد وفاته، يُنظر : تقريب التهذيب (6425)، تذكرة الحفاظ (1/207-213).

(4) حمزة بن حبيب الزيات القارئ، أبو عمارة الكوفي التيمي (80-156هـ) أحد القراء السبعة، ومن أئمة القراءة في الكوفة، كان مقدمًا في القرآن والفرائض، له راويان هما: خلف وخلاد، مات بحلوان. يُنظر: مشاهير علماء الأمصار (1341)، تقريب التهذيب (1518).

(5) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني (73-169هـ) ينسب إلى جده، أصله من أصبهان، وهو أحد القراء السبعة، قرأ على سبعين من التابعين وتنسب إليه قراءة أهل المدينة، قرأ عليه ورش وقالون وهما راويا قراءته، توفي بالمدينة. يُنظر : تقريب التهذيب (7077)، تهذيب الكمال (6364).

(6) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورأسهم عبد الله بن الكواء وعتاب بن الأعور وعبد الله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد بن أبي عاصم المحاربي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، انقسموا إلى عدة فرق، يجمعها القول بالتكفير بالمعاصي، والخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم. يُنظر : الملل والنحل للشهرستاني (115/1).

قال ابن خلدون رحمه الله[1] في تاريخه - أثناء حديثه عن فضائل البربر بأفريقية - :
«وأما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وصاغيتهم[2] إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم ؛ للبركة في آثارهم، وسؤال الأعداد عن صالحيهم، وإغشائهم البحر أفضل المرابطة والجهاد، وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه، ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم، التي كانت ملاكاً لعزهم، ومقاداً إلى سلطانهم وملكهم»[3].

وقال الناصري رحمه الله[4] في كتابه الاستقصا ما نصه :

«قد تقدم لنا ما قاله الشيخ ابن أبي زيد[5] رحمه الله من أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة، وأنه لم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد موسى بن نصير[6]

---

(1) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، أبو زيد الإشبيلي (732-808هـ) أصله من إشبيلية، مولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده، وعزل، وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة، يعد مؤسس علم الاجتماع، اشتهر بكتابه : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر. الذي شغلت المقدمة ثلث حجمه، والتي حققت له شهرته وسميت (مقدمة ابن خلدون). يُنظر : الأعلام (330/3).

(2) صاغِيَتُكَ : الذين يميلونَ إليكَ في حَوَائِجِهِم. يُنظر : القاموس المحيط (ص : 1680) باب الواو والياء فصل الصاد.

(3) تاريخ ابن خلدون (135/6).

(4) أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي، شهاب الدين السلاوي (1250-1315هـ) مؤرخ بحاث، مولده ووفاته في مدينة سلا بالمغرب الأقصى، اشتهر بتاريخه (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى). يُنظر : الأعلام (120/1).

(5) عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن أبو محمد القيرواني الفقيه المالكي (310-386هـ) إمام المالكية في وقته وقدوتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، كان يعرف بمالك الصغير، له عدة كتب منها: النوادر والزيادات، ومختصر المدونة، وأشهر كتبه (الرسالة فى اعتقاد أهل السنة). يُنظر : الوافي بالوفيات (131/17)، سير أعلام النبلاء (10/17).

(6) موسى بن نصير، الأمير الكبير أبو عبد الرحمن اللخمي (19-97هـ) أصله من وادي القرى وفيه كانت وفاته، وهو فاتح الأندلس، كان أعرج مهيبًا ذا رأي وحزم، ولي غزو البحر لمعاوية فغزا قبرص وبنى بها حصونًا، استعمل على أقصى المغرب مولاه طارقًا الذي بادر وافتتح الأندلس ولحقه موسى فتمم فتحها. يُنظر : سير أعلام النبلاء (496/4-500)، الأعلام (330/7).

وبعد فتحه الأندلس[1]، ثم كمل إسلامهم على يد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[2].

وتقدم أن عمر بن عبد العزيز[3] رحمه الله أرسل عشرة من التابعين يفقهون أهل المغرب[4] في دينهم، فكان المغاربة في صدر الإسلام لذلك على منهج جمهور السلف من الأئمة المتبعين إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية الأولى في المائة الثانية من الهجرة، على يد خوارج العراق[5]، وبثوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول، وحسن موقعها لديهم...

وقد رسخت هذه البدعة الخارجية في البربر زماناً طويلاً، إلى أن اضمحلت في أواخر المائة الثانية وما بعدها، ومع ذلك فقد بقيت منها آثار في أعقابهم من أصحاب الأطراف، كما ذكره ابن خلدون والناقد بصير.

ولما طهّر الخلفاء من بني العباس المغرب من هذه النزعة، أخذ أهله بعدها بمذاهب أهل العراق في الأصول والفروع ؛ لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق، والناس على قدم إمامهم.

---

(1) المراد بلفظ الأندلس إسبانيا الإسلامية، وقد أطلق هذا الاسم في بادئ الأمر على شبه جزيرة (إيبريا) كلها على اعتبار أنها كانت في أيدي المسلمين ثم أخذ لفظ الأندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية في شبه الجزيرة حتى صار لفظ الأندلس آخر الأمر قاصراً على غرناطة الصغيرة، وهي آخر مملكة في أسبانيا وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ()إيبريا). يُنظر: معجم البلدان (262/1).

(2) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي، أبو عبد الحميد الدمشقي (61-131هـ)، ولاه عمر بن عبدالعزيز جند إفريقية، فأسلم عامة البربر على يديه، كان حسن السيرة ومن صالحي أهل الشام. ينُظر : تقريب التهذيب (466)، مشاهير علماء الأمصار (179/1).

(3) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، أبو حفص أمير المؤمنين (16-101هـ) ولد بالمدينة، وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك وسار بالناس سيرة صالحة حتى عد من الخلفاء الراشدين، دامت خلافته سنتين ونصف، كان إمامًا فقيهًا عارفًا بالسنن كبير الشأن، توفي بأرض المعرة. ينُظر : تقريب التهذيب (4940)، تذكرة الحفاظ (118/1).

(4) يطلق اسم المغرب الأدنى على المنطقة التي تشمل حالياً جمهورية تونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت العاصمة على التوالي القيروان ثم المهدية ثم تونس، كما أطلقوا اسم المغرب الأوسط على المنطقة التي تعرف اليوم بالجزائر، وأطلقوا المغرب الأقصى على المنطقة التي تعرف اليوم بالمملكة المغربية. معجم البلدان (161/5).

(5) العراق : الإقليم المعروف من بلاد العرب، وهو البلاد التي يمر فيها نهرا دجلة والفرات ثم شط العرب إلى البحر، وكان يُقسّم إلى : عراق العرب، وهو ما غرب دجلة والشط. وعراق العجم، وهو ما شرق دجلة والشط، قيل سمي (عراقا) لأنه سفل عن نجد ودنا من البحر. يُنظر : معجم البلدان (93/4).

قال عياض[1] في المدارك : ظهر مذهب الإمام أبي حنيفة بإفريقية ظهوراً كبيراً، إلى قرب أربعمائة سنة فانقطع منها، ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديماً بمدينة فاس[2] وبالأندلس، وكذا ظهر بالأندلس أيضاً مذهب عبد الرحمن الأوزاعي[3] من أهل الشام[4].

واختلف الناس في السبب الذي انتقل به أهل المغرب عن مذهب الإمام أبي حنيفة وغيره، إلى مذهب الإمام مالك بن أنس، الذي هو مذهب أهل الحجاز[5].

فقال ابن خلكان[6] في ترجمة المعز بن باديس الصنهاجي[7] - المتوفى في أواسط المائة الخامسة - ما نصه : كان مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه بإفريقية أظهر المذاهب،

---

(1) عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، أبو الفضل القاضي (476-544هـ) ولد بسبتة من أرض المغرب، كان علامة محدثًا وفقيهًا مؤرخًا، ولي قضاء سبتة ثم غرناطة. من تصانيفه : الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، والإكمال في شرح صحيح مسلم، توفي بمراكش ودفن بها. ينُظر : الأعلام (99/5).

(2) مدينة من أهم مدن المغرب الأقصى، بناها إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى سنة (172هـ) أول ملوك الأدارسة، وأتم بناءها ابنه إدريس الثاني سنة (193هـ). ينُظر : معجم البلدان (230/4).

(3) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو الفقيه (88-157هـ) ولد في بعلبك، كان من كبار أتباع التابعين، فقيه الشام ومحدثها، وكان صاحب مذهب فقهي شهير انتشر في معظم بلاد الإسلام، ولكنه لم يدم حتى العصور المتأخرة، توفي ودفن ببيروت. ينُظر : تقريب التهذيب (3967)، الطبقات الكبرى (488/7).

(4) هي المنطقة الممتدة على الساحل الغربي للبحر المتوسط، وتمتد شرقاً إلى نهر الفرات وتمتد شمالاً من بلاد الروم (تركيا) حالياً إلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً، وتشتمل في الوقت الحاضر على سورية ولبنان وفلسطين، سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات وقال آخرون من أهل الأثر منهم الشرقي سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام وذلك أنه أول من نزلها فجعلت السين شينا لتغير اللفظ العجمي. ينُظر : معجم البلدان (312/3).

(5) الحجاز : هي مكة والمدينة والطائف ومخاليفها ؛ لأنها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة أو لأنها احتجزت بالحرار الخمس حرة بني سليم وواقم وليلى وشوران والنار. ينُظر : القاموس المحيط (ص : 653) باب الزاي فصل الحاء.

(6) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، ابن خلكان أبو العباس (608-681هـ) المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، صاحب كتاب (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان) من أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطًا وإحكامًا، ولد في إربل، وولي القضاء في الشام ودرس في كثير من مدارس دمشق وتوفي بها، ينُظر : الأعلام (220/1).

(7) المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي (398-454هـ) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية، ولد بالمنصورية من أعمال إفريقية، ولي بعد وفاة أبيه (سنة 406هـ) وساد الأمن في أيامه، كانت خطبته للفاطميين، فقطعها سنة (440هـ) وجعلها للعباسيين، فوجه إليه المستنصر الفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز، وأباح لهم الغارة على المغرب فاحتلوا القيروان، فخرج منها ابن باديس وانتقل إلى المهدية حتى توفي بها. ينُظر : الأعلام (269/7).

فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب، واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن. ا.هـ

قلت : كان المعز هذا وأسلافه من صنهاجة بإفريقية على مذهب الرافضة من الشيعة، أخذوه عن خلفائهم العبيديين، أيام استيلائهم على المغرب، في صدر المائة الرابعة، وحملوا الناس عليه وامتحنوهم، وطارت بدعتهم في أقطار المغرب كله، فلما أفضى الأمر إلى المعز بن باديس قطع دعوة الشيعة من إفريقية، ودعا لبني العباس، وحمل الناس على التمسك بمذهب مالك عالم المدينة[1] وإمام دار الهجرة.

هذا والمعروف أن مذهب مالك ظهر أولاً بالأندلس، ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة، وكذا ظهر بإفريقية ظهوراً بيناً قبل وجود المغرب بكثير، بل قبل استيلاء صنهاجة والعبيديين على المغرب، وذلك على يد أسد بن الفرات[2]، وعبد السلام بن سعيد التنوخي[3] المعروف بسحنون، وغيرهما من أئمة المغاربة، ثم لما ظهرت دولة الشيعة بإفريقية حاولوا محوه، فلم يتيسر لهم ذلك.

وكان فقهاء المالكية في ذلك العصر معهم في محنة عظيمة، منهم ابن أبي زيد، والقابسي[4]، وأبو عمران الفاسي[5] وطبقتهم، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن نصره المعز المذكور - جزاه الله خيراً -...».

---

(1) مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سميت بيثرب لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب. وسميت مدينة الرسول لنزوله بها، ومن أسمائها : المجبورة والمرحومة والمحبوبة والقاصمة وجابرة والعذراء. ينُظر : معجم البلدان (430/5).

(2) أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم بن قيس، أبو عبد الله المغربي (142-213هـ) أصله من نيسابور، وولد بحران، صاحب مالك، وصاحب المسائل الأسدية، غزا جزيرة صقلية ومات ودفن فيها. ينُظر : الأعلام (298/1)، طبقات الفقهاء (160/1).

(3) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون (160-240هـ) ولد بالقيروان وتوفي فيها، وانتهت إليه رياسة العلم في المغرب، كان فقيهاً زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله، ولي قضاء القيروان سنة (234هـ)، واستمر عليها إلى أن مات. ينُظر : طبقات الفقهاء (160/1).

(4) علي بن محمد بن خلف المعافري، أبو الحسن بن القابسي (324-403هـ) فقيه مالكي أصولي دين تقي، كان ضريرًا ورغم ذلك كان من أصح العلماء كتبًا، من أشهر مصنفاته : الممهد في الفقه، وأحكام الديانات، والمنبه للفطن من غوائل الفتن. ينُظر : الوافي بالوفيات (302/21)، طبقات الحفاظ (419/1).

(5) موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي المالكي (368-430هـ) أبو عمران الفاسي القيرواني، أصله من فاس، فقيه أهل القيروان في وقته وتوفي بها. ينُظر : الأعلام (326/7).

إلى أن قال رحمه الله : «وأما حالهم في الأصول والاعتقادات، فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولاً والرافضية ثانياً، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم، في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل، مع التنزيه عن الظاهر...»[1].

أما دخول بدعة التشيع على بلاد إفريقية عامة وتونس خاصة، فقد كان من قبل الدولة العبيدية، التي فرضت هيمنتها على تلك المنطقة، واستطاعت أن تنشر مذهبها في تلك البقاع، من خلال دعوى عبيد الله المهدي[2] الرسالة[3]، بل إنه لم يدع الرسالة فحسب، بل سمح لأتباعه أن يغرقوا في كفرهم حتى ألهوه، فقد كانت أيمانهم المغلظة : وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة[4][5].

ومن أمثلة ما شنوه من حرب نفسية على أهل السنة، تعليق رءوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت والدواب، وكتابة أسماء الصحابة رضي الله عنهم عليها، وإظهارهم سب الصحابة رضي الله عنهم، وطعنهم فيهم، وزعمهم أنهم ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إنهم خصصوا دعاة للنداء بذلك في الأسواق. ومن ذكر الصحابة بخير، أو فضّل بعضهم على علي[6] رضي الله عنه قتل أو سجن[7].

---

(1) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (326/7) وما بعدها.

(2) عبيد الله بن ميمون القداح، ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل، وأهل المعرفة بالنسب وغيرهم من علماء المسلمين يعلمون أنه كاذب في دعوى نسبه، وأن أباه كان يهودياً ربيب مجوسي، فله نسبتان : نسبة إلى اليهود، ونسبة إلى المجوس، وهو وأهل بيته كانوا ملاحدة، وهم أئمة الإسماعيلية الذين قال فيهم العلماء : إن ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض، وقد صنف العلماء كتباً في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، وبيان كذبهم في دعوى النسب، ودعوى الإسلام، وأنهم بريئون من النبي صلى الله عليه وسلم نسباً وديناً، وكان هذا المتلقب (بالمهدي) عبيد الله بن ميمون قد ظهر سنة (299هـ)، وتوفى سنة (324هـ)، وانتقل الأمر إلى ولده، وانقرض ملك هؤلاء في الديار المصرية سنة (568هـ)، فملكوها أكثر من مائتي سنة، وأخبارهم عن العلماء مشهورة بالإلحاد والمحادة لله ورسوله والردة والنفاق. يُنْظر : العرف الوردي في أخبار المهدي (ص : 22).

(3) سير أعلام النبلاء (217-216/14).

(4) مدينة قرب القيروان، بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبي، وفيها بويع عبيدالله المهدي، وكان ابتداء تأسيس إبراهيم بن أحمد لها سنة (263هـ) فلما انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها، ولم تزل تخرب شيئاً بعد شيء إلى أن ولي معد بن إسماعيل فخرب ما بقي من آثارها ولم يبق منها شيء غير بساتينها. ينُظر : معجم البلدان (144/5).

(5) ينُظر : البيان المغرب (160/1).

(6) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته، من السابقين الأولين، ورجح جمع أنه أول من أسلم، وهو أحد العشرة، مات في رمضان سنة أربعين وهو يومئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض بإجماع أهل السنة وله ثلاث وستون على الأرجح. يُنظر : التقريب (4753).

(7) مدرسة الحديث في القيروان (73/1).

وقد عمل العبيديون على إزالة آثار بعض من تقدمهم من الخلفاء السنيين؛ ولذلك أصدر عبيد الله أمرًا بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد، وجعل اسمه بديلاً منهم، واستولى على أموال الأحباس وسلاح الحصون، وطرد العباد والمرابطين بقصر زياد الأغلبي، وجعله مخزناً للسلاح[1].

وقد حرص العبيديون على منع التجمعات ؛ خوفًا من الثورة والخروج عليهم؛ ولذلك جعلوا بوقًا يضربونه في أول الليل، فمن وجد بعد ذلك ضرب عنقه، كما أنهم كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من يموت من العلماء[2].

كما أنهم أتلفوا مصنفات أهل السنة، ومنعوا الناس من تداولها، كما فعلوا بكتب أبي محمد بن أبي هاشم التجيبي رحمه الله[3] (ت : 346هـ) الذي توفي وترك سبعة قناطير[4] كتب، كلها بخط يده، فرفعت إلى سلطان بني عبيد؛ فأخذها ومنع الناس منها كيدًا للإسلام وبغضًا فيه[5].

وكذلك حرّموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك رحمه الله، واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والسجن أو القتل أحيانا، ويعقب ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يدار بالمقتول في أسواق القيروان[6]، وينادى عليه : «هذا جزاء من يذهب مذهب مالك».

ولم يبيحوا الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم، كما فعلوا بالفقيه المعروف بالهزلي أبي عبد الله محمد بن العباس بن الوليد رحمه الله[7]، المتوفى عام تسع وعشرين وثلاثمائة[8].

---

(1) ينُظر : رياض النفوس (56/2).

(2) ينُظر : المرجع السابق (29/2).

(3) عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور التجيبي، (273-346هـ) كان شيخاً عالماً ورعاً مسمتاً خاشعاً رقيق القلب غزير الدمعة مهيباً في نفسه، كان كثير التصنيف في أنواع العلوم وكثير الكتب. ينُظر : الديباج المذهب (ص : 220).

(4) قال في لسان العرب (118/5) مادة «قنطر» : القِنْطارُ مِعْيارٌ، قيل : وَزنُ أربعين أُوقية من ذهب، ويقال : ألف ومائة دينار. وقيل : مائة وعشرون رطلاً... وقيل : هي جملة كثيرة مجهولة من المال.

(5) ينُظر : رياض النفوس (423/2).

(6) من المدن الكبرى في المغرب الأدنى (تونس). بنيت بعد الفتح زمن معاوية على يد عقبة بن نافع سنة (50هـ)، بناها بعيدة عن البحر لكي لا تتعرض لهجمات البيزنطيين البحرية. كانت وما زالت من أهم مدن الإسلام في إفريقية الإسلامية. ينُظر : معجم البلدان (420/4).

(7) أبو عبد الله محمد بن العباس بن الوليد الذهلي، كان عالماً فقيهاً بمذهب مالك، كان شديد البغض لبني عبيد، كثير السبّ لهم. لا يخاف في الله لومة لائم، ضربه قاضي الشيعة في جميع القيروان عرياناً. وصفع قفاه حتى سال الدم من رأسه، وبُرّح عليه في الأسواق، وأطافه عرياناً على حمار إذا رُفع عنه أنه كان يفتي بمذهب مالك، ويطعن على السلطان، ثم حبس. توفي سنة (329هـ). ينُظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (375/1).

(8) ينُظر : رياض النفوس (56/2).

أيضاً منعوا علماء أهل السنة من التدريس في المساجد، ونشر العلم، والاجتماع بالطلاب، فكانت كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت ؛ خوفًا من بني عبيد[1].

ومما فعلوه أيضاً لنشر مذهبهم أنهم أجبروا الناس على الدخول في دعوتهم، فمن أجاب تركوه وربما ولوه بعض المناصب، ومن رفض قُتل، كما فعلوا عقب أول جمعة خطبها عبيد الله بالقيروان، ووقعت بين الدولة العبيدية وأهل القيروان مقتلة عظيمة، فأمر الشيعي بالكف عن العوام، وافتعل مناظرات صورية، فدارت على علماء السنة محن عظيمة، وقتل منهم عدة آلاف بسبب تمسكهم بإسلامهم، ودفاعهم المستميت عن السنة.

قال القابسي رحمه الله : «إن الذين ماتوا في دار البحر - سجن العبيديين - بالمهدية[2] من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب، ما بين عالم وعابد ورجل صالح»[3].

هذا عدا من كانوا يقتلون دون سجن، ويمثل بهم في شوارع القيروان، فأثر ذلك على سير الحياة العلمية، ومع ذلك فإن هذه المحنة لم تزد أهل الشمال الإفريقي إلا عزيمة وصبرًا واحتسابًا، وتمسكًا بأصول أهل السنة والجماعة[4].

يقول العلامة ابن عاشور رحمه الله في معرض كلامه عن تخلف بعض الديار من إفريقية والأندلس، وأن سببه يعود للتسلط المذهبي المقيت من الشيعة آنذاك ما نصه : «كان ظهور الدولة العبيدية بالقيروان سنة (297هـ) الحائل الحقيقي بين أهل أفريقية وبين الزيادة من العلوم، وتقدمت الأندلس تقدمها السريع على القيروان، فإن العبيديين لما كانوا ينتحلون نحلة الشيعة، أظهروا بدعًا وأوهامًا وأماني من الأوهام، لم تكن معلومة لأهل العلم بالقيروان، الذين لم يزالوا إلى يومئذ على السنة، فحدث

---

(1) ينُظر : مدرسة الحديث في القيروان (76/1).

(2) مدينة بإفريقية تقع على خليج قابس، بين سوسة وصفاقس، في أرض الجمهورية التونسية، بناها عبيد الله المهدي فسكن هو وعسكره فيها، قيل : إنه كان يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة حصينة، خوفاً من خارجي يخرج عليه، حتى ظفر بهذا الموضع، وكانت جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند. ينُظر : معجم البلدان (160/3).

(3) مدرسة الحديث في القيروان (74/1).

(4) المرجع السابق (75/1).

بسبب ذلك التنكر بين أتباعهم وبين علماء القيروان، وابتدأ الأمر بالفتنة القولية، ثم انتهى بالضغط والاضطهاد، وبتحقير علماء السنة وتولية القضاة وأضرابهم من الشيعة...».

إلى أن قال: «وكان علماء القيروان يتسترون من الاضطهاد خصوصًا في زمن إسماعيل العبيدي الملقب بالمنصور[1] سنة : 331هـ الذي تجاهر بمناوأة أهل العلم وهم أهل السنة والفقه، وأغرى بهم حثالة أتباع مذهبه من الشيعة... إلخ»[2].

وقد ذكر المؤرخون أنه ما سبى أحد من الجبابرة نساء المسلمين، وأسر ذراريهم مثل ما سبى وأسر المهدي الإسماعيلي بالمغرب، والإمام الأول الإسماعيلي في دور الظهور، كما لم يأت بالأعمال الوحشية في القتلى مثل ما كان يأتي بها، فكان يكثر قطع رؤوس القتلى، ويكتب أسماءهم في بطائق ويعلقها في آذانهم، ثم يرميها في الطرق، وكان يأمر بتطويف الأسرى، فيضربون بالمطارق، ثم يقطعون إرباً إرباً[3].

وقد تصدى علماء أهل السنة والجماعة لأهل البدع من رافضة وغيرهم أكبر تصدٍ، كل منهم بحسب حاله وظرفه، فهذا تصدى بسيفه، وثانٍ تصدى بلسانه وجنانه، وثالثٌ تصدى بقلمه وفكره، الأمر الذي لو جمع طرف منه لبلغ كراريس عديدة، وحسبنا أن نذكر نماذج نشير ببعضها إلى باقيها، وسنلخص صور تضحيتهم وثباتهم في النقاط التالية :

1- صمود العلماء والفقهاء ضد أعمال العبيديين، وتحملهم للأذى والسجن والقتل، مما ساهم في تثبيت عوام المسلمين على عقيدة أهل السنة، من هؤلاء العلماء : جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي رحمه الله[4]، قال عنه القاضي عياض رحمه الله ما نصه :

---

(1) إسماعيل بن محمد بن عبيد الله أبو الطاهر المنصور ابن القائم ابن المهدي صاحب إفريقية، أحد خلفاء الشيعة الباطنية، بايعوه يوم توفي أبوه القائم ولقب المنصور، مات يوم الجمعة آخر شوال سنة (341هـ). ينُظر : الوافي بالوفيات (9/122).

(2) أليس الصبح بقريب (ص : 69).

(3) ينُظر : البيان المغرب (ص : 182) وفي مواضع متفرقة غير ذلك.

(4) جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي، أبو يوسف (210-299هـ). من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان. أسلم جدّه على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه تعالى. ينُظر : الديباج المذهب (ص : 170).

«كان - رحمه الله تعالى - شديداً في ذلك، لا يداري فيه أحداً. ولم يكن أحد أكثر مجاهدة منه للروافض، وشيعهم، فنجّاه الله تعالى منهم»[1].

ومنهم أبو القاسم الواسطي رحمه الله[2].

2- قاطع العلماء جميع مؤسسات الدولة العبيدية؛ فلا يختصمون إلى قضاتهم، ولا يصلون وراء أئمتهم، ولا يأتون مهنئين ولا معزين، ولا يتوارثون معهم، ولا يصلون على موتاهم، ولا يناكحونهم[3].

وبرز في هذا العمل الجليل العلامة الفقيه أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن رحمه الله[4].

3- حصن علماء أهل السنة أهل الشمال الإفريقي بالفتاوى، التي أوضحت كفر بني عبيد، وأنهم ليسوا من أهل القبلة، كما كفروا من دخل في دعوتهم راضيًا، ومن خطب لهم في دعوتهم، وقد انتشرت هذه الفتاوى، وعرفها الخاص والعام، فكانت حاجزًا منيعًا بين العوام، وبين التردي في دعوة الإمامية الإثني عشرية[5].

ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين حصنوا الأمة بمنهج أهل السنة والجماعة، في الشمال الإفريقي في تلك الفترة الحرجة، الشيخ أبو إسحاق السبائي رحمه الله[6].

يقول الإمام الذهبي رحمه الله[7] :

---

(1) ينُظر : ترتيب المدارك وتقريب المسالك (338/1).

(2) ينُظر : تاريخ الإسلام (259/26-260).

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق (136/67) : (أبو القاسم الواسطي أحد الصلحاء، جاور ببيت المقدس، واجتاز بعمان من أرض البلقاء من كورة دمشق، حكى عنه أبو بكر محمد بن الحسن الشيرازي وأثنى عليه خيراً) [الكورة : البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال. يُنظر : المعجم الوسيط (ص : 804) مادة «كار»].

(3) ينُظر : مدرسة الحديث في القيروان (78/1).

(4) ينُظر : رياض النفوس (43/2).

(5) ينُظر : المرجع السابق (340/2).

(6) إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق السبائي، كان مشهوراً بالعلم والصلاح والعبادة والاجتهاد كثير الورع وقّافاً عن الشبهات رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة متواضعاً حسن الأخلاق حميد الأدب طلق الوجه مبايناً لأهل البدع شديد الغلظة عليهم. توفي رحمه الله سنة (356هـ). ينُظر : الديباج المذهب (ص : 141).

(7) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله (673-748هـ)، حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق. من كتبه : سير أعلام النبلاء، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، المستدرك على مستدرك الحاكم. ينظر : الأعلام (326/5).

«أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد؛ لما شهروه من الكفر الصراح، الذي لا حيلة فيه، وقد رأيت في ذلك تواريخ عدة، يصدق بعضها بعضا»[1].

4- قاطع العلماء من استجاب وداهن العبيديين من الفقهاء، وإن لم يدخل في دعوتهم[2].

5- فتح العلماء والفقهاء بيوتهم للناس؛ لفضح معتقدات الباطنية العبيدية، وكان أبو إسحاق السبائي رحمه الله يفتح داره ويأخذ في ذم العبيديين والتحذير منهم، وكان يكثر من ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم، وكانت داره كالمسجد لكثرة من يقصدها من الطلبة، وكذلك أحمد بن نصر الهواري رحمه الله[3]، وأحمد بن يزيد الدباغ رحمه الله، واضطروا لذلك بعد أن منعهم العبيديون من التدريس في المساجد، واجتهد العلماء سرًا في تعميق عقائد أهل السنة، وأصولهم وفقههم في قلوب أهل الشمال الإفريقي[4].

6- اجتهد علماء أهل السنة في غرس منهج أهل السنة في أبناء الكتاميين والصنهاجيين[5] والبرابرة، الموالين للعبيديين، وذلك ما قام به العلامة أبو إسحاق الجبنياني رحمه الله[6] وغيره، فإنهم كانوا يعلمون الأولاد الصغار أبناء حملة الدعوة العبيدية بحيل لطيفة، وكانوا لا يأخذون منهم أجرًا، ترغيبًا لهم في الإقبال عليهم[7].

7- ومن وسائل علماء أهل السنة في الذب عن عقائد السلف وسيلة المناظرة والجدال وإفحام الخصم أمام العوام، وممن سجلت لنا كتب التاريخ مآثره النيرة في هذا

(1) سير أعلام النبلاء (156/15).

(2) ينُظر : مدرسة الحديث في القيروان (78/1).

(3) أحمد أبو جعفر بن نصر بن زياد الهواري (235-319هـ)، من أهل أفريقية، كان عالماً متقدماً بأصول العلم حاذقاً بالمناظرة فيه، شديد التواضع سليم القلب بعيداً من الصنع. صلى عليه أبو ميسرة الفقيه سراً في داره في خاصة أصحابه خوفاً ممن يصلي عليه من قضاة الوقت. ينُظر : الديباج المذهب (ص : 91).

(4) ينُظر : مدرسة الحديث في القيروان (79/1).

(5) قبيلتان من أكبر قبائل البربر، وأكثرهم انتشاراً في المغرب، ونسابة العرب يقولون إنهما من حمير. ينُظر : تاريخ ابن خلدون (148/6، 158).

(6) إبراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم أبو إسحاق الجبنياني البكري، من بكر بن وائل أحد أئمة المسلمين، كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، توفي سنة (369هـ). ينُظر : الديباج المذهب (ص : 142).

(7) ينُظر : مدرسة الحديث في القيروان (80/1).

المضمار العلامة الفقيه العالم الرباني أبو بكر القمودي رحمه الله، الذي ناظر أبا العباس الشيعي مناظرة أفحمه فيها[1].

وإبراهيم بن محمد الضبي رحمه الله، وكان رجلاً صالحًا فقيهًا بارعًا في العلم، قتله بنو عبيد ظلمًا وزورًا.

وبرز في المناظرة أبو محمد عبد الله بن التبان رحمه الله، وأبو عثمان سعيد بن محمد الحداد رحمه الله[2].

8- قام شعراء أهل السنة بدور مجيد، وجهاد حميد في الدفاع عن الإسلام، والهجوم على بني عبيد بالسنان والقوافي، التي كانت على بني عبيد أشد من السيوف القواطع، وتبوأ مركز الصدارة في هذا الباب الشاعر المجيد أبو القاسم الفزاري رحمه الله، ومن أشهر ما قال قصيدته الرائية التي انتشرت في الآفاق والبلدان التي قال فيها[3] :

عَجِبْتُ لِفِتْنَةٍ أَعْمَتْ وعَمّت ... يَقُومُ بها دَعِيٌّ أو كَفُورُ

تَزَلْزَلت المَدَائنُ والبَوادي ... لها وتَلَوّنَت مِنْها الدُّهورُ

وضَاقَت كُلُّ أَرْضٍ ذَات عَرْض ... ولمْ تُغْنِ المَعَاقِلُ والقُصُورُ

فَنَجّى القَيْرَوان وساكِنيها ... إلَه دَافِعٌ عَنها قَديرُ

أَحَاطَ بأهْلِها عِلمًا وخُبرًا ... وميَّزَ ما أَكَنَّتهُ الصُّدُورُ

وَجَلَّلَهُم بِعافيةٍ وأَمْن ... وَأَسْبَلَ فَوقَها سِتْراً سَتِيرُ

وأَثْبَت جِلّة العُلَمَاء فيها ... بِحَارٌ لا تُعدُّ لا بُحورُ

---

(1) ينْظر : المرجع السابق (80/1).

(2) سعيد بن محمد، أبو عثمان، المعروف بابن الحداد القيرواني. كان عالما باللغة والعربية، مات سنة (400هـ) في بعض الوقائع، وكان له في أول دخول الشيعة إلى القيروان مقامات محمودة، ناضل فيها عن الدين وذب عن السنة حتى شبهه الناس بأحمد بن حنبل أيام المحنة، وكان يناظرهم ويقول : قد أربيت على التسعين وما لي إلى العيش حاجة ! من كتبه : كتاب توضيح المشكل في القرآن. ينْظر : الوافي بالوفيات (159/15-160).

(3) رياض النفوس (ج 493/2-494).

إلى أن قال :

وإِنّــا بَــعــد مــن خَــوف وأَمْــن نُـحِــبُّ إذا تَــشَــعّــشَــت الأُمــورُ
رســولَ الـلــه والصِّــدّيــقَ حــبًّــا بِــه تُــرْجَــى السّــعــادةُ والحُبــورُ
وبَــعْــدَهــمــا نُحِــب الـقَــوْمَ طُـرًّا ومــا اخْــتَــلــفُــوا فَــرَبُّــهُــم غَــفُــورُ
أَلا بِــأَبــي وخَــالِــصَــتــي وأُمّــي محمّــد الــبَــشيرُ لـنَــا الــنَّــذيــرُ
سَــأَهْــدي مــا حــيــيت لــه ثــنــاء مــع الــرّكــبــانِ يــنــجــدُ أو يَــغُــورُ[1]

فهذه هي بعض الأساليب والطرق التي قام بها علماء أهل السنة في الذود والدفاع عن عقائد المسلمين، فعليهم من الله الرحمة والرضوان، على ما أبلوا وقاموا به من جهاد ودعوة وفداء.

---

(1) القصيدة من البحر الوافر.



الفصل الأول :

ابن عاشور.. عصره وحياته



الفصل الأول

ابن عاشور.. عصره وحياته

لم يدون الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله سيرة ذاتية كما فعل غيره ممن كتبوا حول ترجمتهم الشخصية، والعوامل المؤثرة فيها والأزمات التي لحقت بهم وظروف الحياة المختلفة التي حفت بهم، عدا ما ورد في كتابه : (أليس الصبح بقريب) من نقد لأسلوب التوجيه في دراسته ومن ذكر للمواد المتنوعة التي شحن بها ذهنه وهو في غنى عنها[1].

لكن احتفاء العلماء والأدباء والكتاب بهذه الشخصية العظيمة جعل كثيرين يقومون بالكتابة عنها، وقد اختلفت الكتابات حولها ما بين متوسع اشتمل على كثير من التفصيلات، وما بين مختصر ذكر مقتطفات، ومتخصص تحدث عن جزئية باستيعاب.

وأهم من وقف عند لمحات تخص الشيخ ابن عاشور وعصره هو ابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله (ت : 1970م)، فإنه بالرغم من وفاته قبل والده بثلاث سنوات، إلا أنه ترجم لمشايخه، وذكر جهود والده في المؤتمرات العلمية، وأشار إلى تحقيقاته النادرة في اللغة والعلوم الشرعية، خاصة في كتابيه: تراجم الأعلام، والحركة الأدبية والفكرية بتونس[2].

كذلك من أهم ما كتب حول حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور صدور عدد من مجلة (جوهر الإسلام)[3] خاص بحياة شيخ الزيتونة، وهو عدد غني بالمداخلات التي أشادت بجهود الشيخ وفكره ومؤلفاته، يتصدر أبحاث هذا العدد ما كتبه الدكتور

(1) ينُظر : أليس الصبح بقريب (ص : 9).

(2) ينُظر : تراجم الأعلام. الحركة الأدبية والفكرية بتونس (ص : 170).

(3) ينُظر : مجلة جوهر الإسلام. السنة العاشرة، عدد (3-4) سنة (1398-1978)، نقلاً عن كتاب شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور (ص : 9).

محمد الحبيب ابن الخوجة حول الأستاذ الإمام لصلته الوثيقة به وبابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور صلة تتلمذ للأول وصداقة للثاني.

ومن كتب حول حياة الشيخ ابن عاشور الثقافية الشيخ محمد الخضر حسين[1] في مؤلف (تونس وجامع الزيتونة)، فقد ترجم له ترجمة مقتضبة إلا أن أهمية هذا الكتاب كَمَنَ في اشتراكهما في العمل أستاذين بجامع الزيتونة.

ومن الدوريات التي تحدثت عنه : (المجلة الزيتونية) فقد حوت معلومات دقيقة في كثير من الأحيان عن حياة الشيخ، منها الخبر الذي رواه الأستاذ محمد الصالح المهيدي عن حوار الشيخ مع المستشرق أوبنهايم، واجتماعه به، ومناقشاته له.

ومن المقالات العلمية الهامة التي كشفت عن التيارات التي كان لها أبلغ الأثر في فكر شيخ الجامع الأعظم وفروعه مقال الدكتور الشنوفي بعنوان (مصادر عن رحلتي الأستاذ الإمام محمد عبده إلى تونس)[2].

ومقال بعنوان : (الحركة الإصلاحية بتونس) للدكتور الحبيب الجنحاني، وقد كشف هذا المقال عن العوامل التي أثرت في حركة الإصلاح بتونس عموماً، وفي ابن عاشور خصوصاً.

وفي نفس الاتجاه تحدث الدكتور محمد الصالح المراكشي في كتابه (تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار).

هذه هي أهم الكتابات والمقالات التي كتبت عن شخصية إمام الجامع الأعظم بصورة مختصرة.

وقد أفرد الكلام عن هذه الشخصية العظيمة الدكتور بلقاسم الغالي في كتابه «شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور : حياته وآثاره»، والذي قام بدراسة تفصيلية لحياة شيخ الجامع الأعظم ونشأته وعصره، والعوامل المؤثرة فيها.

---

(1) محمد الخضر بن حسين بن علي النفطي المولد، أحد علماء تونس البارزين المشهورين بتآليفهم العديدة هاجر تونس واستقر بالمشرق وقد أسندت له خطة مشيخة الأزهر، من مؤلفاته : تونس وجامع الزيتونة، الدعوة إلى الإصلاح. توفي سنة (1377هـ). ينظر : تراجم المؤلفين (2/126-135).

(2) يُنظر : حوليات الجامعة التونسية عدد (3) سنة (1966م)، نقلاً عن كتاب شيخ الجامع الأعظم (ص : 10).

وقد جاء هذا الكتاب في تسعة فصول وزعها المؤلف على أربعة أبواب.

فجاء الباب الأول بعنوان عصره وحياته، عالج المؤلف في الفصل الأول منه، عصر ابن عاشور، وما عج به من حركات إصلاحية، وأحداث كونية، وتيارات فكرية وسياسية واجتماعية، كانت من أهم العوامل التي أثرت في شخصية إمام الجامع الأعظم.

وتناول الفصل الثاني حياته، ونشأته العلمية، وأساتذته، وصلاته برجال الإصلاح في عصره، ومدى تأثره بهم، ومناقشاته مع المفكرين، والوظائف التي تقلدها، وكل ما يتصل بعوامل النبوغ التي أحدثت أثرها فيه.

وتناول الباب الثاني ابن عاشور المفسر والمحدث، وقد أفرد الكلام عن كل صفة من هاتين الصفتين في فصل مستقل.

وأما الباب الثالث فكان لابن عاشور المجتهد، وقد قسمه أيضاً على فصلين :

- الفصل الأول منه كان لمقاصد الشريعة.
- وكان الفصل الثاني لفتاوى الشيخ ومميزاتها.

وجاء الباب الرابع منصباً على ابن عاشور المصلح، وقد قسمه المؤلف على ثلاثة فصول :

خصص الفصل الأول منه للفكر الاجتماعي، والدوافع التي دفعت الشيخ إلى التذكير بمبادئ الإسلام الاجتماعية، وبعثها، ونبذ غيرها من الأيديولوجيات.

وجاء الفصل الثاني من هذا الباب متناولاً للإصلاح التربوي، والعوامل الداخلية والخارجية التي دفعت الشيخ للتفكير فيه، والعزم عليه، وأسباب تأخر التعليم الزيتوني، وأحوال تلاميذه، والمؤلفات المتداولة في برامجه، والعلوم وإصلاحها، ونقد المعلمين في عهده.

وشمل الفصل الأخير من هذا الباب جانباً هاماً من فكر الشيخ الأدبي واللغوي.

أيضاً ممن أفرد الكلام عن هذه الشخصية العظيمة الشيخ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، وقد تقدم ذكره في المقالات التي كتبت عن شخصية إمام الجامع الأعظم،

لكنه أيضاً أفرد الكلام عنه في مصنف مستقل، فقد قام بتحقيق كتاب «مقاصد الشريعة الإسلامية» للإمام محمد الطاهر ابن عاشور، وجعل الجزء الأول من هذا الكتاب في ترجمة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، وبيان حركته الإصلاحية، والحديث عن مؤلفاته.

وقد قسم المؤلف الجزء الأول إلى مقدمة وخمسة أقسام:

فجعل القسم الأول بعنوان : حركة التجديد في بلادي المشرق والمغرب، وقد تكلم فيه عن أحوال العالم الإسلامي في تلك الفترة، والحركات الإصلاحية التي ظهرت لتنتشل الأمة مما هي فيه.

وجاء القسم الثاني بعنوان : شيخ الإسلام شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور، خص الكلام فيه عن التعريف بالإمام، ونسبه، وولادته، ونشأته، ومكانته العلمية، ووظائفه الإدارية، والقضائية الشرعية.

وفي القسم الثالث : حركات الإصلاح في ربوع المشرق والمغرب: تكلم المؤلف عن حركة إصلاح التعليم بالجامع الأعظم، ويقظة الشعب التونسي في تلك الفترة لخطر الاحتلال، وختمه بالكلام عن حركات إصلاح التعليم في ربوع المشرق والمغرب الإسلامي.

أما القسم الرابع : إصلاح التعليم الزيتوني في نظر الإمام؛ فقد خصه للكلام عن منهج شيخ الجامع الأعظم في إصلاح التعليم الزيتوني، ودوره الكبير في إصلاح التعليم الزيتوني.

وقد خصص المؤلف القسم الأخير من هذا الجزء للكلام عن مؤلفات الإمام الشرعية والأدبية.

وفي الحقيقة قد استوفى هذان الكتابان قسماً كبيراً من حياة العلامة محمد الطاهر ابن عاشور وعصره، لذا سنقتصر في هذا البحث على ذكر نبذة عن هذا الإمام، نقتصر فيها على التعريف به وبعصره بصورة مختصرة، تفي بالمقصود منها في هذا البحث؛ ومن أراد التوسع فعليه بمراجعة هذه التراجم ففيها الغنية.

- المبحث الأول : عصر الإمام محمد الطاهر ابن عاشور :

أولاً : الحالة السياسية والاقتصادية :

كان غالب العالم الإسلامي في عصر الإمام يسوده فساد في النظام واستبداد في الحكم، وتشرذم وانقسام يندى له الجبين، وهو نتيجة لمخططات غربية فكرية، وثقافية، وعسكرية.

فقد كان الأعداء ومنهم الفرنسيون الذين جاءوا إلى بلاد المسلمين، قد أدركوا يقيناً أن قوة المسلمين وصلابتهم يعود إلى أمرين :

الأول : التمسك بالدين، الذي يربي الفرد على نبذ الذل والتبعية للكافر.

الثاني : وحدة بلاد المسلمين في ظل حكومة إسلامية مطاعة مهابة.

فعمل الغزاة على إضعاف هذين الأمرين في نفوس المسلمين، عبر مخططات عدة، منها طويلة المدى، ومنها المستعجلة.

فبدأ الوهن والرعب من الأعداء والتشرذم يسري في جسد الأمة، وصارت الأمة الإسلامية تعاني من الفقر، والجهل، والمرض، والاستعمار.

هذا هو المشهد العام لأحوال الأمة الإسلامية عموماً.

وأما تونس في ذلك العصر فلم تكن بمنأى عن هذا المسرح العام للأمة، فقد ضعف في تلك الفترة نفوذ الخلافة العثمانية التي انحلت إلى دويلات هزيلة، بسبب الانغماس في حياة المادة والجاهلية، فأصيبت بالقلق، والحيرة، والخوف، والجبن، حتى أصبحت تخشى كل صيحة عليها من النصارى، ولا تستطيع أن تقف أمامهم وقفة عز وشموخ واستعلاء.

وكان الحكام في دويلات الخلافة ومنها تونس لا همٌّ لهم إلا التبذير والإسراف، واللهث وراء المكاسب الرخيصة.

وبلغ العبث والفساد والارتشاء في حكام تلك البلاد مبلغا عجيباً ؛ فأثقلوا كواهل التونسيين بالضرائب، وأصبحت خزينة الدولة ترزح تحت وطأة الديون الخارجية.

وقد تعطل في تونس العمل (بعهد الأمان) وهو دستور صدر بتونس سنة (1858م). فتوغل نفوذ الأجانب داخل البلاد، وكثرت الفتن والاضطرابات، واختل الأمن ؛ فنشط قطاع الطرق وكثر النهب والإغارة، وتنازع الأمراء على السلطة.

وتحركت العصبية القبلية الجاهلية من جديد، التي بعث الإسلام لإماتتها؛ فسفكت الدماء، وهتكت الأعراض، وتعسرت الأرزاق.

وتفشى الجهل في المجتمع التونسي، وعمت الفوضى، وساءت الحالة الاقتصادية للأفراد والدولة، وفر الوزير مصطفى بن عياد بأموال الشعب إلى فرنسا[1].

وبدأت أطماع الاستعمار في البلاد التونسية تظهر للعيان، حتى حدثت النكبة الفادحة التي قصمت الظهر، وهي احتلال الجيش الفرنسي لتونس، وإبرامه معاهدتي باردو والمرسى بين السلطتين القائمتين بالبلدين فرنسا وتونس ؛ فازداد الأمر سوءاً والطين بلة.

ولم يكن هذا الوضع المؤلم في تونس فقط، بل كان منتشراً في أكثر بلاد المشرق والمغرب العربي، فقد كانت الدول الغربية تقوم بالتخطيط للقضاء على الإسلام.

غير أن نهضة شاملة في أطراف البلاد الإسلامية والعربية - وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل في الحالة العلمية - قامت تهيئ أصحاب هذه الأوطان إلى تدارك الأوضاع البغيضة والمهينة، وإلى العمل بحزم على استرجاع السيادة والكرامة للأمة.

وكانت طائفة من الناس قد اختارت السلاح لمواجهة العدو ومحاربته، وأخرى كانت تعزز الأولى وتوجهها، وتثبت أقدامها في المعركة، فتثير في نفسها ما هي في مسيس الحاجة إليه، من حمية وحماس وعزم على مواصلة الكفاح والنزال.

فزلزلت الأرض تحت أقدام المستعمرين أو كادت، وشكا منها الباغون المستعمرون، رغم إمعانهم في استنزاف قوى الشعوب الضعيفة المواجهة لهم[2].

---

(1) أكبر قطر في أوروبا الغربية مساحة، عاصمتها باريس الواقعة على نهر السِّين، وأكبر مدنها، وتُعد من كبريات المدن في العالم.

(2) ينُظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور (ص : 24-26)، (49-66).

ثانياً : الحالة الاجتماعية :

لم تكن الحالة الاجتماعية بمنأى عن المشهد السياسي والاقتصادي، فهي مبنية عليه ومنبثقة عنه، وكان من أبرز نتائج الأحداث السياسية والاقتصادية كثرت الاضطرابات الاجتماعية، وذلك باختلال الأمن؛ وانتشار قطاع الطرق، وكثرة النهب، والاستهانة بالدماء المعصومة بسبب العصبية القبلية الجاهلية التي ظهرت في الساحة من جديد، فسفكت دماء، ورملت نساء، ويتم أبناء.

وبسبب تردي الحالة الاقتصادية للأفراد والدولة، إلى حد لا يوصف، والذي نتج عنه أن وضعت ميزانية البلاد التونسية تحت الرقابة الأجنبية ؛ لضمان حسن التصرف، تفشى الجهل في المجتمع التونسي والأمراض والأوبئة، وعمت الفوضى في الأرجاء، وانتشر الخوف[1].

ولما كان الأمر كذلك بدأت المفاهيم الشرعية بالضياع، والأفكار الغربية الدخيلة بالانتشار، والحالة الاجتماعية بالتردي.

وهذه نتيجة حتمية لضعف ولي الأمر أو غيابه، وتسلط الأعداء على الأمة.

ولقد عد العلامة محمد الطاهر ابن عاشور من أسباب تأخر العلوم التغير في النظام الاجتماعي.

فقال رحمه الله : «ونوعاً - أي : من أنواع أسباب تأخر التعليم - يرجع إلى تغير نظام الحياة الاجتماعية في أنحاء العالم، تغيراً استدعى تبدل الأفكار والأغراض، والقيم العقلية، وهذا التغيير قد استدعى تغير أساليب التعليم، ومقادير العلوم المطلوبة، وقيمة كفاءة المتعلمين لحاجات زمانهم، كل ذلك نشأ نشئاً سريعاً وسار سيراً فسيحاً، والمسلمون وخاصة أهل العلوم الإسلامية في سبات عميق، حال دونهم ودون إصلاح برامج تعليمهم.

ومن العجب أن من يشعر منهم بخلل الأحوال، وخطر التزام السير على النهج المتبع ؛ فيدعوه نصحه إلى إيقاظهم، يجد قبل شيء طوائف تنسبه إلى سوء المقصد، وتناظره بأن هذا النهج قد أوصل أسلافنا إلى أعلى مرتقى من النجاح»[2].

---

(1) ينُظر : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور (17-18).
(2) أليس الصبح بقريب (ص : 114-115).

ثالثاً : الحالة العلمية :

إن مما زاد الطين بلة، ومما سلط الغزاة على البلاد الإسلامية، هو أن فهم المسلم للإسلام صار منحرفاً بعيداً عن روح الإسلام الخالص، إلا من رحم ربي وقليل هم.

وهذا الانحراف والميل عن الإسلام الحق قد سرى إلى أكثر من باب من أبواب الدين، فشمل الاعتقاد، والعبادات وتحكيم الشرع.

فلما ازداد الأمر سوءاً شاء الله أن تنبعث حركات إصلاحية عديدة، في أصقاع العالم الإسلامي المختلفة، ومنها تونس بالطبع.

وامتدت هذه الحركة إلى البلاد التونسية، فعُرف من رواد النهضة والإصلاح بها، السيد خير الدين التونسي ولاءً[1]، والمؤرخ القدير ابن أبي الضياء، وناظر المدرسة الحربية محمود قابادو[2]، والعلامة المصلح الشهير الشيخ سالم بوحاجب[3]، والشيخ إسماعيل التميمي[4].

---

(1) خير الدين التونسي الجركسي الأصل، وزير مؤرخ. مولود سنة (1225هـ/1810م) قدم تونس صغيراً فاتصل بصاحبها الباي أحمد، وتعلم العلوم الدينية، واللغات التركية والفارسية والعربية، ثم التحق بوظائف الحكومة، وتقلب في كثير من المناصب السامية، من آثاره : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، فهرس المؤلفين بالظاهرية. توفي سنة (1308هـ/1890م). ينُظر : الأعلام (375/2) وإيضاح المكنون (114/1).

(2) محمود بن محمد (أوعلي) قابادو التونسي، أبو الثناء : شاعر عصره بتونس، ومفتي مالكيتها. أصله من صفاقس. انتقل سلفه إلى تونس، فولد سنة (1229هـ)، ونشأ بها. وأولع بعلوم البلاغة. ثم تصوف، وهجر وطنه سائحاً، ثم عاد إليها (سنة : 1257هـ) فولي التدريس بالزيتونة وقضاء (باردو)، ثم الفتوى على المذهب المالكي (سنة 1285)، وكان غزير العلم بالفقه والفنون، توفي بتونس سنة (1288هـ). ينُظر : معجم المؤلفين (191/12)، والأعلام (185/7).

(3) الشيخ العلامة : سالم بوحاجب، المولود بنبلة من قرى الساحل التونسي (1273هـ – 1827م) تعلم بجامع الزيتونة، وهو تلميذ الشيخ محمود قابادو، امتاز بالذكاء، واتصل بكبار علماء عصره وأبرز رجال السياسة. دام تدريسه بالزيتونة ثلاثين سنة، من تلامذته الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور. توفي عام (1343هـ – 1924م). ينُظر : شيخ الجامع الأعظم (ص : 44).

(4) إسماعيل التميمي، التونسي (أبو الفداء) فقيه، مؤرخ. ولد سنة (1164هـ)، من آثاره : رسائل في الحبس والخلو. توفي سنة (1248هـ). ينُظر : معجم المؤلفين(263/2).

وفي الجزائر[1] تمثلت الحركة الإصلاحية بجمعية العلماء المسلمين، وعلى رأسها رئيسها عبد الحميد بن باديس[2]، والبشير الإبراهيمي[3]، وغيرهما.

كما ظهر في المغرب الأقصى أحد طلائع الفكر الإسلامي، وهو محمد الحجوي[4]، وأبو عبد الله محمد الوزاني[5]، مفتي فاس اللامع، وفقيهها الذائع.

وظهر من موريتانيا[6] علم من الأعلام وهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الذي تولى الإفتاء بموريتانيا.

وقد كان تأثير هذه النخبة من المفكرين والعلماء والمصلحين ملموساً بوضوح في كل مجالات الحياة في بلاد المغرب خاصة، بل كان التأثير لهذه الحركات الإصلاحية عميقاً، بلغ صداه سائر بلاد الخلافة والولايات التابعة لها.

---

(1) الجزائر دولة عربية ظلت تُعرف باسم المغرب الأوسط حتى دخولها تحت الحكم العثماني في العقد الثاني من القرن العاشر الهجري، وكانت قبل ذلك جزءًا من ولاية بلاد المغرب، التي كانت مدينة القيروان قاعدة لها، ضمن الدولة الإسلامية في العهد الأموي وفي مطلع العهد العباسي.

(2) عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة (1931م)، إلى وفاته. ولد في قسنطينة سنة (1305هـ)، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. له (تفسير القرآن الكريم) اشتغل به تدريساً زهاء (14) عاماً، ونشرت نبذ منه، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وتوفي بقسنطينة سنة (1359هـ). ينُظر : معجم المؤلفين (105/5)، الأعلام (289/3).

(3) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي : مجاهد جزائري، من كبار العلماء. انتخب رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ولد سنة (1889م). وقد أنشأ في عام واحد (73) مدرسة بل كتاباً، وكان الهدف نشر اللغة العربية. وتهافت الجزائريون على بناء المدارس فزادت على (400). وبعد اعتقاله والإفراج عنه خرج من الجزائر وعاد بعد دعمه للثورة وانتصارها، فلم يجد مجالاً للعمل. فانزوى إلى أن توفي سنة (1965م). كان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد. وهو من خطباء الارتجال المفوهين. ينُظر : الأعلام (54/6).

(4) محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي، من رجال العلم والحكم، من أهل فاس سكن مكناسة وجدة والرباط. ودَرَس ودرَّس في القرويين. وأسندت إليه سفارة المغرب في الجزائر (1321-1323هـ)، وولي وزارة العدل فوزارة المعارف، في عهد (الحماية) الفرنسية، فنفر منه كبار مواطنيه وابتعدوا عنه، ثم توفي بالرباط، ودفن بفاس. له كتب مطبوعة، أهمها : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. ينُظر : الأعلام (96/6).

(5) محمد المهدي بن محمد بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، أبو عيسى : مفتي فاس وفقيهها في عصره. من المالكية. مولده بوزان ووفاته بفاس. له كتب، منها : المعيار الجديد، يعرف بالنوازل الجديدة الكبرى، والمنح السامية من النوازل الفقهية، يعرف بنوازل الوزاني. ينُظر : الأعلام (114/7).

(6) دولة عربية تقع في غربي إفريقيا، وتمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى داخل الصحراء شرقاً. وكانت تُعرف باسم بلاد شنقيط. عاصمتها مدينة نواكشوط، وهي أكبر مدنها وأكثرها سكاناً. يُنظر : الموسوعة العربية العالمية.

وقد كانت الدول الاستعمارية الغازية، تسعى بكل الوسائل للتقليل من شأن أولئك المصلحين ومطاردتهم أينما كانوا، غير أن هذه المعاملة الشرسة لم تزد دعوتهم إلا توهجاً، ومناهجهم إلا انتشاراً في مختلف الأقاليم، عن طريق المحاضرات واللقاءات والصحافة والنشر.

وكان حظ تونس من ذلك هاماً بما ظهر فيها من تيارات إصلاحية، وحركات فكرية، ومدارس علمية، إليها يرجع الفضل في حماية البيضة والملة، والحفاظ على الهوية، مع السعي إلى التطوير والتغيير للأوضاع البالية والعقيمة، والحرص على الأخذ بأسباب التقدم والتفوق، من الحضارة الغربية الجديدة، تنبيهاً للعقول، واستدراكاً لعوامل الرقي والتقدم.

وكان من أبرز عناصر هذه الطائفة الراشدة من تقدم بقليل مولد العلامة محمد الطاهر بن عاشور، ومنهم من عاصره ممن كان له الأثر المباشر في حسن تنشئته وكمال تكوينه.

وتلا هؤلاء وأولئك عدد من شيوخ الزيتونة وعلمائها، من رجال السياسة وأعضاء الحكومة وخيرة من رجال الإصلاح، ومن أبرزهم العلامة محمد الطاهر بن عاشور، فبصماته في الإصلاح ظاهرة للعيان، لمن كان من أهل تلك البلاد، وبارزة لغيرهم من خلال مؤلفاته التي ما فتئ يدعو فيها إلى الإصلاح في شتى الميادين، ومن أبرز هذه المصنفات التي يدعوا فيها المؤلف للإصلاح، كتاب التحرير والتنوير في التفسير، وكتاب أليس الصبح بقريب.

وقد نتج عن هذه الحركات الإصلاحية صحوة مباركة في أرجاء العالم الإسلامي، كان من نتاجها مقارعة المحتل، وإفشال كثير من المخططات الفكرية الدخيلة على الأمة[1].

---

(1) ينُظر : شيخ الجامع الأعظم (17-33)، وشيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص : 49-149).

- المبحث الثاني : حياته والتعريف به :

أولاً : ولادته ونسبه وأسرته :

- ولادته :

ولد محمد الطاهر ابن عاشور، بتونس في (1296هـ) الموافق (1879م) في أسرة علمية عريقة، تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس.

وقد استقرت هذه الأسرة في تونس، بعد حملات التنصير ومحاكم التفتيش التي تعرض لها مسلمو الأندلس.

وكانت ولادته بقصر جده للأم، الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور وذلك بالمرسى، ضاحية من ضواحي العاصمة التونسية.

- نسبه :

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور[1].

- أسرته :

ينحدر الإمام من أرقى الأسر منزلة، وأعلاها شأناً، درج فيها عنوان نجابة وسمو، تكتنفه مسائل النعمة والرعاية، ومظاهر الحب والعناية من والده الشيخ محمد ابن عاشور، ومن جده للأم الوزير العلامة محمد العزيز بوعتور[2].

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين (304/3)، دائرة المعارف التونسية (1/45-46).

(2) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بوعتور الصفاقسي التونسي، وزير، من العلماء الكتاب. أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان)، مولده ووفاته بتونس. وكان كاتباً خاصاً لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص. وكان من العاملين في تأسيس المدرسة الصادقية وجمعية الأوقاف، وفي تنظيم المحاكم الشرعية، وسن قانون العدول. ثم تقلد منصب الوزارة الكبرى سنة (1300هـ). ينظر : الأعلام (268/6).

وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين تعلموا بجامع الزيتونة، فأصل هذه الشجرة الزكية الأول هو محمد بن عاشور، ولد بمدينة سلا[1] من المغرب الأقصى، بعد خروج والده من الأندلس، فاراً بدينه من القهر والتنصير، توفي سنة (1110هـ).

وسطع نجم آخر، وهو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وهو جد من نترجم له، ولد سنة (1230هـ)، وقد تقلد مناصب هامة كالقضاء، والإفتاء، والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيرية، والنظارة على بيت المال، والعضوية بمجلس الشورى.

ومن أشهر تلاميذه الشيخ محمد العزيز بوعتور، والشيخ يوسف جعيط[2]، والشيخ أحمد بن الخوجة[3]، والشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمود بن الخوجة، والشيخ محمد بيرم[4].

ومن سلالة آل عاشور والد الإمام الشيخ محمد ابن عاشور، وقد تولى رئاسة مجلس إدارة جمعية الأوقاف، ثم خلفه عليها «أبو النخبة المثقفة» محمد البشير صفر[5]، حيث عينته الدولة نائباً عنها في تلك المؤسسة.

وقد تدعمت الصِّلَة وتمتَّنت بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجد وتلميذه محمد العزيز بوعتور الوزير، نتج عنها زيجة شرعية لابنة الثاني - محمد العزيز بوعتور - على ابن الأول - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الجد - وهكذا تمت أواصر هذه العائلة بالعائلات التونسية، وأخذت مكانها وارتبطت صلاتها[6].

---

(1) مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل البحر الأطلسي. ينُظر : معجم البلدان (462/2).

(2) الشيخ يوسف جعيط الوزير ولد سنة (1246هـ) أثر على تربيته خاله المؤرخ الوزير أحمد بن أبي الضياف، دخل جامع الزيتونة للدراسة سنة 1260هـ ودرس على علمائه أمثال شيخ الإسلام محمد ابن الخوجة، ومحمد الطاهر ابن عاشور (الجد)، والشيخ محمد النيفر. ينُظر : تراجم الأعلام ص 175.

(3) أحمد بن محمد بن الخوجة (أبو العباس)، من شيوخ تونس وعلمائها، مولده، ووفاته فيها، ولي قضاء الحنفية، ثم الفتوى، ثم مشيخة الإسلام. من آثاره : كشف اللثام عن محاسن الإسلام. ينُظر : معجم المؤلفين (100/2).

(4) محمد بن مصطفى بيرم، كان من مناصري خير الدين باشا في كثير من مشاريعه، تولى إدارة المطبعة الرسمية، ورئاسة تحرير مجلة الرائد التونسي. ينُظر : حوليات الجامعة التونسية العدد (3) سنة : (1966م)، بحث الدكتور الشنوفي مصادر عن رحلتي عبده (ص 72-76).

(5) محمد البشير صفر، ولد بتونس عام 1280هـ وزاول تعليمه بالصادقية منذ عام 1293هـ وأتم تعليمه بفرنسا، واشترك في إصدار جريدة (الحاضرة) وفي تأسيس الجمعية الخلدونية سنة (1314هـ) ودرس بها مادة التاريخ، اتصل بالشيخ محمد عبده أثناء زيارته لتونس، وكانت وفاته سنة (1335هـ/1917م). ينُظر : تراجم الأعلام (ص : 197).

(6) ينُظر : شيخ الجامع الأعظم (35-36)، شيخ الإسلام الإمام الأكبر (153-154).

ثانياً : نشأته ومكانته العلمية :

أ- نشأته العلمية :

نشأ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في بيئة علمية لجده للأب، قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور.

ففي مثل هذا الوسط العلمي والسياسي والإصلاحي شب مترجمنا رحمه الله، فحفظ القرآن الكريم حفظاً متقناً منذ صغر سنه، بنهج الباشا من مدينة تونس، وبكتاب سيدي بوحديد، الواقع بجوار منزله.

وحفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره من التلاميذ، والتي تهيئ الطالب إلى التعليم بجامع الزيتونة، كمتن ابن عاشور والآجرومية وغيرهما، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية، ووكل أمره في هذا إلى حاذق من حذاق اللسان الفرنسي من المواطنين.

وتلقى الشيخ المبادئ الأولى في قواعد العربية على الشيخ أحمد بن بدر الكافي، اعتماداً على شرح خالد الأزهري[1].

ولقد نقد الشيخ الفترة الأولى من حياته فقال : «إني على يقين أنني لو أتيح لي في فجر شبابي التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيراً من مواهبي، ولاكتسبت جماً من المعرفة، ولسلمت من التطوح في طرائق تبين لي بعد حين الارتداد عنها»[2].

أما انتسابه للتعليم فقد كان أساساً إلى جامع الزيتونة الأعظم، فبه نال شرف التعلم والتعليم للمواد اللغوية والشرعية، وتنقل بين حلقاته، جالساً إلى أشياخه أطواد العلم، مرتقياً عن طريقهم بين مراقب الدراسة، حاصلاً منهم على شهاداتهم له بالقراءة عليهم، لكثير من العلوم، التي كان يزاولها الطلاب في عهده.

---

(1) خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين، وكان يعرف بالوقاد (838-905هـ) : نحوي، من أهل مصر، ولد بجرجا (من الصعيد) ونشأ وعاش في القاهرة، وتوفي عائداً من الحج قبل أن يدخلها، من تصانيفه : المقدمة الأزهرية في علم العربية، موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، شرح الآجرومية، شرح البردة، شرح مقدمة الجزرية. ينظر : الأعلام (297/2).

(2) أليس الصبح بقريب (ص : 9).

فإنه لما بلغ الإمام الطاهر أربعة عشر عاماً من عمره التحق بجامع الزيتونة لطلب العلم، وذلك سنة (1310هـ) الموافق (1893م).

وكانت المواد التي تدرس بهذا المعهد الديني متنوعة، بين مقاصد ووسائل.

وعلى هذا الأساس درس علوم النحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق من جهة، وعلوم المقاصد كتفسير القرآن، والقراءات، والحديث ومصطلح الحديث، والكلام وأصول الفقه، والفقه والفرائض من جهة ثانية.

فقرأ في النحو : القطر، والمقدمة، والمكودي، والأشموني، والمغني بشرح الدماميني وغيرها.

وقرأ في البلاغة : الدمنهوري على السمرقندية، والتلخيص بشرح المطول للسعد، والمفتاح بشرح السيد.

وفي اللغة : المزهر للسيوطي[1]، والحماسة بشرح المرزوقي، والمثل السائر لابن الأثير.

وفي المنطق : السلم والتهذيب.

وفي علم الكلام : الوسطى، والعقائد النسفية، والعقائد العضدية بشرح السعد، وغيرها.

وفي الفقه : الدردير، وميارة على المرشد، والكفاية على الرسالة، والتاودي على التحفة.

وفي الفرائض : كتاب الدرة.

وفي أصول الفقه : الحطاب على الورقات، والتنقيح للقرافي، والمحلّي[2] للسبكي.

---

(1) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، ولد سنة (849هـ)، وتوفي سنة (911هـ)، من كتبه : الإتقان في علوم القرآن، وتاريخ الخلفاء، وتدريب الراوي في شرح تقريب النووي، وتفسير الجلالين، وتنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك. يُنظر : الأعلام (301/3).

(2) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (791-864هـ) أصولي، مفسر. مولده ووفاته بالقاهرة. عرفه ابن العماد بتفتازاني العرب. صنف كتاباً في التفسير مع الجلال السيوطي سمي تفسير الجلالين، وكنز الراغبين في شرح المنهاج في فقه الشافعية، والبدر الطالع في حل جمع الجوامع. ينظر : الأعلام (333/5).

وفي الحديث : صحيح البخاري، ومسلم، وكتب السنن، وشرح غرامي صحيح[1].

وفي السيرة : الشفاء للقاضي عياض بشرح الشهاب الخفاجي.

وفي التاريخ : المقدمة وغيرها.

نيله لشهادة التطويع :

تفوق الإمام في امتحاناته ومناظراته، وفي حياته العلمية والوظيفية بعد ذلك، وأول هذه النجاحات الباهرة حصوله على شهادة التطويع[2] في ربيع الأول (1317هـ) الموافق (11 جويلية 1899م).

وقد كتب له بذلك في دفتر دروسه شيوخ المجلس الشرعي، الذين تتكون منهم لجنة الامتحان آنذاك. ونص الشهادة ما يلي :

الحمد لله فاتح رموز العرفان، ومانح كنوز الفضل والإحسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الفضلاء الأعيان.

أما بعد : فإن الفقيه النبيه الألمعي المشارك سي[3] محمد الطاهر بن عاشور، صاحب هذا الدفتر، ممن تقدم لمجلس الامتحان السنوي الواقع بسراية المملكة عام التاريخ[4]. وقضى بتقدمه ما يلزم من واجبات فصول القرار الوزيري، المؤرخ في (6) صفر و(14) جوان الفارطين، الصادر في إجراء امتحان تلامذة جامع الزيتونة الأعظم -أدام الله عمرانه - الراغبين في الحصول على رتبة التطويع.

ومن تلك الواجبات إقراؤه لدرس من مختصر السعد في المعاني والبيان من قول المصنف : (والتخصيص لازم للتقديم غالباً..) إلى قوله : (ويفيد في الجمع) وأنتج النظر أن يكون هذا المتقدم مستحقاً لرتبة التطويع. فأذن له في ذلك لتتوفر رغبته العلمية ويجتهد في تحصيل الكمالات.

(1) غرامي صحيح منظومة في ألقاب الحديث لأحمد بن فرْح بن أحمد بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي (ت : 699هـ) اشتهرت بهذا لقوله في أولها : (غرامي صحيح والرجا فيك معضل). [يُنظر : الرسالة المستطرفة (215/1)].

(2) هي شهادة تخول لصاحبها - في ذلك الوقت - حق التدريس.

(3) سي : أسلوب تسمية منتشر في المغرب العربي، وهو تخفيف من كلمة «سيدي» ويطلق عند الإشادة والمدح.

(4) عام التاريخ : أي في التاريخ المدون.

والله ولي الإعانة، لا رب غيره سبحانه، بتاريخ يوم الثلاثاء في (4) ربيع الأنور و(11جويلية 1317هـ/1899م).

محمد بيرم، أحمد الشريف[1]، إسماعيل الصفائحي، محمد الطيب النيفر[2].

وهذه الشهادة هي التي تخول صاحبها، في ذلك الوقت، حق التدريس في الدرجات الأولى من التعليم بالمعهد[3].

دراسته العليا :

بعد حصوله على شهادة التطويع عاد إلى حضور دروس شيخه محمد النخلي، فقرأ عليه الوسطى في العقيدة، وكتاب المحلِّي على جمع الجوامع في أصول الفقه، والمطول في البلاغة، والأشموني في النحو، كان ذلك سنة (1318هـ) بتقييد الشيخ.

كما حضر صحبة صديقه الشيخ محمد الخضر حسين درس الأستاذ الشيخ عمر بن الشيخ في تفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب المواقف، ودرس الشيخ سالم لكتابي البخاري والموطأ بشرحيهما[4].

الإجازات العلمية :

كان للطاهر ابن عاشور ميزات عديدة كالذكاء الحاد، والهمة العالية، والحرص والجد في التحصيل والطلب، مع فهم ثاقب، وفكر واسع، وأساس علمي متين، الأمر الذي دعا الشيخ الإمام سالم بوحاجب أن يكتب له في نهاية دفتره بالإجازة الشريفة قائلاً في غضونها :

---

(1) أحمد الشريف بن محمد بن محمد بن علي السنوسي الخطابي : من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب. ولد سنة (1284هـ) وتفقه في (الجغبوب) وأقام في (التاج) بواحة الكفرة - ببرقة، تولى في العاصمة العثمانية تقليد السلطان محمد السادس السيف يوم ارتقائه العرش، وأنعم عليه برتبة الوزارة، وتوفي بالمدينة المنورة سنة (1351هـ). من كتبه : الفيوضات الربانية في الطريقة السنوسية، وكتاب في تراجم مشايخه ومشاهير من اجتمع بهم من أهل المغرب، ينُظر : معجم المؤلفين (243/1)، والأعلام (135/1).

(2) محمد الطيب النيفر، فقيه، محدث. ولد سنة (1247هـ)، له فتاوى وتقارير على صحيح البخاري. توفي سنة (1354هـ). ينُظر : معجم المؤلفين (112/10).

(3) يُنظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص : 157-158).

(4) يُنظر : المرجع السابق (158-159).

أكتفي بالإجازة بأنواعها المبينة في الأصول، لتأسيس المعارف على سند موصول... من تعلقت همته بالمهم المذكور، وانتظمت رغبته منه في سلك السعي المشكور... محرزاً قصب السبق في الميادين العرفانية بلا منازع، من أحرز شرفي العلم والنسب، واسترق الألباب كلما تكلم أو كتب، من تتشرف ببنوّته مني الروح، وبتهذيبه ينمحي النقص وتندمل الجروح، الشيخ المدرس سيدي الطاهر ابن العمدة اللوذعي الماجد الزكي المهذب اليلمعي، سيدي محمد بن الهمام النحرير من تقاصر العصر والمصر أن يأتيا له بنظير، كما يقصر القلم واللسان في الإعراب عن فضل شيخنا الشهير، سيدي محمد الطاهر ابن عاشور المفتي المالكي، برّد الله ضريحه، وأسكنه من الفردوس فسيحه.

فبناء على ذلك أقول - مقتبساً إنارة طرف الإيجاب من طرف القبول - : قد أجزت لابننا المذكور جميع محفوظاتي وملحوظاتي من معقول ومنقول، في فروع أو أصول، إجازة تامة مطلقة عامة[1].

وممن منحه فضيلة الإسناد وشرفه بربط حلقات اتصاله العالي بأكرم جناب، جده الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور، الذي أجازه بكل مروياته سنة (1321هـ) الموافق (1904م).

وله إجازات أخرى منها : إجازة العلامة محمود ابن الخوجة له.

وإجازة العالم النابغ عمر بن أحمد بن الشيخ سنة (1325هـ) الموافق (1908م)[2].

ب - مكانته العلمية وثناء العلماء عليه - رحمه الله تعالى - :

كان للإمام الطاهر ابن عاشور مكانة علمية كبيرة يلحظها المتتبع لسيرته، من خلال الوظائف العلمية والإدارية والشرعية التي مارسها، فقد نال حسن الظن، والاعتراف بالفضل والمكانة من علماء عصره، ومفكريهم، ونقادهم، وأدبائهم.

ولقد امتدحه الكثير من محبيه نثراً وشعراً، ومن ذلك :

(1) ينُظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص : 160).

(2) ينُظر : المرجع السابق (ص : 159) وما بعدها.

1- ما نعته به صديقه الشيخ محمد الخضر حسين في قوله : «وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة.... كنت أرى في لسانه لهجة الصدق، وسريرة نقية من كل خاطر سيئ، وهمة طماحة إلى المعالي، وجداً في العمل لا يمسه كلل، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه، بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم»[1].

2- وذكره العلامة الشيخ العالم اللغوي الأديب محمد البشير الإبراهيمي قائلاً : «علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره ؛ فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها. أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي».

3- وقال عنه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله[2] : «هو رجل القرآن الكريم، وإمام الثقافة الإسلامية المعاصرة... الرجل بدأ يتكلم عن اللغة، ويتكلم بها أديباً... أقرأ كلماته في التحرير والتنوير فأستغرب؛ لأنه وطأ كلمات مستغربة، وجعلها مألوفة، وحرر الجملة العربية من بعض الخبات الذي أصابها، في أيام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة، ولكن الرجل لم يلق حظه... ابن عاشور لا يمثل صورة من اللحم والدم، إنما يمثل تراثاً أدبياً علمياً عقائدياً أخلاقيا»[3].

4- وتحدث الأستاذ الدكتور مصطفى زيد عنه – بعد سبع سنين من إصداره الطبعة الأولى من كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، معجباً بتصرفاته وطريقته في الحديث عن المصلحة – قائلاً : «وتمضي الأعوام فلا نرى في المصلحة كلاماً ذا

---

(1) تونس وجامع الزيتونة (125-126)، تراجم المؤلفين التونسيين (3/306).

(2) ولد الشيخ محمد الغزالي في (5/ذي الحجة/ 1335هـ – 22/سبتمبر/ 1917م) ونشأ في أسرة كريمة ؛ فحفظ القرآن، وقرأ الحديث في منزل والده، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي، ثم بكلية أصول الدين في القاهرة سنة (1356هـ – 1937) وحينها اتصل بالإمام البنا وأصبح من المقربين إليه. وحصل على درجة «العالمية» سنة (1362هـ – 1943)، وتوفي في (19 من شوال 1416هـ – 9 من مارس 1996م) ودفن بالبقيع في المدينة المنورة. من مؤلفاته : فقه السيرة، خلق المسلم، عقيدة المسلم، وغيرها من عشرات المؤلفات الأخرى.

(3) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (28)، أبريل (1986م)، السنة الحادية عشرة، (ص : 44).

وزن، حتى خرج علينا شيخ جامع الزيتونة، السيد محمد الطاهر ابن عاشور بكتابه المقاصد»[1].

5- وعن الكتاب نفسه يقول الدكتور البوطي[2] : «من أهم ما يمتاز به هذا الكتاب فيما أعتقد، أنه أول مؤلف يعالج موضوعاً من أبرز وأهم الموضوعات في أصول الفقه، ألا وهو مقاصد الشريعة الإسلامية، ويفرده بالبحث والتحليل... لا ريب أن صنيع العلامة المرحوم ابن عاشور يعد تأسيساً كبيراً لذاتية هذا العلم، ورسماً لإطاره الذي ميزه عن غيره»[3].

6- أما الأستاذ الدكتور سعيد الأفغاني فقد كتب عنه قائلاً : «هو خطوة سديدة نحو إنشاء علم أصول الأصول في الفقه»[4].

7- وقال الشيخ إبراهيم الحمد عنه وعن تفسيره : «... فهو - أي : تفسيره التحرير والتنوير - عظيم حافل بما لذ وطاب من العلوم، ولا غرو في ذلك؛ فصاحبه عالم كبير، وجهبذ نحرير، له يد طولى، وقدح معلى في علوم شتى.

والذي يطّلع على مؤلفاته الكثيرة المتنوعة يراها تحمل طابعاً مميزاً، وطرازاً فريداً لا تجده إلا عند الندرة من العلماء، وفي القليل من المؤلفات.

ومع ذلك فإن هذا العالم لم يأخذ حظه من الذيوع والشهرة»[5].

وقال عنه أيضا : «وكان ذا عقل جبار، وذا تدفق وتدفع في العلم، فكأنه إذا كتب في أي فن أو موضوع يغرف من بحر، وينحت من صخر، فإذا رأيت عنوان الموضوع الذي يريد الكتابة فيه قلت : ماذا سيقول ؟ فإذا قرأت ما تحته رأيت العجب العجاب؛ لذا فإنك تحتاج وأنت تقرأ له أن تحضر ذهنك، ولا تتشاغل عنه.

(1) المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي (ص : 235).

(2) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ولد عام 1929م، رئيس قسم العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق، عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمّان، وعضو في المجلس الأعلى لأكاديمية أكسفورد، من كتبه : حرية الإنسان، فقه السيرة، النورسي (حياته وبعض آثاره)، قضايا فقهية معاصرة، نقض أوهام المادية الجدلية، من روائع القرآن.

(3) مجلة الوعي الإسلامي: عدد (28)، أبريل (1986م)، السنة الحادية عشرة، (ص : 45-46).

(4) على هامش كتاب تلخيص إبطال القياس من تحقيق إحسان عباس. جامعة دمشق (1970م).

(5) يُنظر : منهج ابن عاشور (ص : 3).

وكان ذا أسلوب محكم النسج، شديد الأسر، يذكر بأرباب البيان الأوائل، وكان إذا كتب استجمع مواهبه العلمية، واللغوية، والأدبية، والاجتماعية والتاريخية، والتربوية وغيرها ؛ لخدمة غرضه الذي يرمي إليه»[1].

8- ويقول الأستاذ الدكتور إسماعيل الحسني - مقارناً بين مقاصد الشاطبي في الموافقات ومقاصد الشريعة الإسلامية عند الإمام - : «فقد اعتقدت أنه لم يعد هناك مجال للبحث في مقاصد الشريعة كبحث متميز في علم الأصول؛ لأن الإمام الشاطبي[2] لم يترك جانباً من جوانبه إلا استوفاه وأتقنه. واستقر في ذهني بسبب ذلك أن البحث في المقاصد لن يتجاوز توضيح ما سطره رواد الفكر المقاصدي من الأصوليين، وخاصة الشاطبي... إلا أني ازددت شكاً في هذا التصور كلما أمعنت في دراسة فكرة المقاصد الشرعية عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، من خلال أهم مؤلفاته... واقتنعت اقتناعاً كاملاً بأني إزاء نظرية في المقاصد الشرعية، بعدما تُرد أصولها إلى تراث المقاصد، تعمل أيضاً على مراجعته وتكميله»[3].

9- ويقول عنه محمد الطاهر الميساوي : «ولكن على الرغم من سمات الغزارة والتنوع والشمول والأصالة، التي طبعت شخصيته، فاصطبغت بها آثاره وأعماله، فإن ما صرف له من عناية الباحثين، وجهود الدارسين، لا يكاد يفي بمعشار ما يستحق، بل إن طوائف كبيرة من المهتمين بحركة الفكر الإسلامي ومصائره في العصر الحديث، لا يكادون يعرفون عنه شيئاً ذا بال، ناهيك عن عامة المثقفين، وسائر جمهور المسلمين.

فمن العسير العثور على دراسة علمية صافية تترجم لشخصيته ترجمة موثقة ووافية، وتعرف بتراثه العلمي تعريفاً دقيقا، فضلاً عن أن تحيط بذلك التراث تحليلاً لمكوناته وأبعاده، واستجلاء لمواطن الأصالة والابتكار فيه»[4].

---

(1) ينُظر : المرجع السابق (ص : 13-14).

(2) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. من كتبه : الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام، وشرح الألفية، سماه المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية وغيرها، توفي سنة (790هـ). ينُظر : الأعلام (75/1)، معجم المؤلفين (118/1).

(3) نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور (ص : 19).

(4) ينُظر : مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور. تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي (ص : 16، 17).

ثالثاً : شيوخه وطلابه :

أ - شيوخه :

اكتسب الإمام محمد الطاهر بن عاشور ثقافة واسعة، شملت التفسير والحديث والقراءات، ومصطلح الحديث، والبيان واللغة، والتاريخ والمنطق، وعلم العروض، وأعمل فكره فيما حصله، وتوسع في ذلك وحلله.

فقد تخرج على أيدي ثلة من علماء عصره امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين، وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها، إلى جانب قدرة على التبليغ، ومعرفة بطرق التدريس، والتركيز على تربية الملكات في العلوم، ومن أشهرهم :

1. الشيخ عبد القادر التميمي[1]، ودرس عليه تجويد القرآن، وعلم القراءات، وبخاصة في رواية قالون.

2. الشيخ محمد النخلي[2]، ودرس عليه من كتب علوم الوسائل : القطر، والمكودي على الخلاصة، ومقدمة الإعراب في النحو، ومختصر السعد في البلاغة، والتهذيب في المنطق.

   وتخرج به في أصول الفقه، بدراسة الحطاب على الورقات، والتنقيح للقرافي، وفي الفقه المالكي بكتاب ميارة على المرشد، وكفاية الطالب على الرسالة.

3. وقرأ على الشيخ محمد صالح الشريف[3] كتاب الشيخ خالد الأزهري، والقطر لابن هشام، والمكودي على الخلاصة في النحو، والسلم في المنطق.

   وفي علوم المقاصد : مختصر السعد على العقائد النسفية، والتاودي على التحفة في الفقه.

---

(1) مدرس بجامع الزيتونة.

(2) من أشهر علماء الزيتونة الذين برعوا في العلوم النقلية والعقلية، وصفه الشيخ عبد الحميد ابن باديس تلميذه فقال : رجلان يشار إليهما بالرسوخ في العلم والتحقيق في النظر والسمو والاتساع في التفكير، أولهما : العلامة الأستاذ شيخنا محمد النخلي القيرواني رحمه الله، وثانيهما : العلامة الأستاذ شيخنا محمد الطاهر ابن عاشور. ينُظر : جريدة البصائر عدد (16). بتاريخ 24 أبريل 1936 الموافق 2 صفر 1355 (ص : 1)، نقلاً عن شيخ الجامع الأعظم (ص : 46).

(3) مدرس بجامع الزيتونة.

4. وعن الشيخ عمر ابن عاشور لامية الأفعال وشروحها في الصرف، وتعليق الدماميني على المغني لابن هشام في النحو، ومختصر السعد في البلاغة، والدردير في الفقه، والدرة في الفرائض.

5. ودرس على الشيخ محمد النجار الشريف[1] كتاب المكودي على الخلاصة في النحو، ومختصر السعد في البلاغة، والمواقف في علم الكلام، والبيقونية أو غرامي صحيح في مصطلح الحديث.

6. وقرأ على الشيخ محمد طاهر جعفر[2] شرح المحلّي على جمع الجوامع في أصول الفقه، والشهاب الخفاجي على الشفاء للقاضي عياض في السيرة النبوية.

7. وعلى الشيخ أحمد جمال الدين[3] القطر في النحو، والدردير في الفقه.

8. وعلى الشيخ محمد صالح الشاهد الدردير.

9. وعلى الشيخ محمد العربي الدُّرْعي[4] كفاية الطالب على الرسالة في الفقه[5].

ب - طلابه :

تخرج على يد الإمام الطاهر كثيراً من كبار الوزراء، وعظماء الكتاب، ومشاهير الحكام، ورجال الصحافة والاقتصاد، فقد كان يشهد دروسه طلبة كثيرون، وكان مرجعاً علمياً لأساتذة جامعة الزيتونة وعلمائها.

وكان من أبرز المتخرجين على يديه ابنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، وابنه الثاني الأستاذ عبد الملك بن عاشور، وحفيده عياض بن الفاضل بن عاشور، والشيخ محمد الحبيب بن الخوجه[6].

(1) محمد النجار أبو عبد الله محمد بن عثمان الشريف، مدرس بجامع الزيتونة، المولود سنة (1247هـ) من مؤلفاته : شمس الظهيرة، بغية المشتاق في مسائل الاستحقاق. توفي سنة (1313هـ). ينُظر : تونس وجامع الزيتونة ص 97.

(2) مدرس بجامع الزيتونة.

(3) مدرس بجامع الزيتونة.

(4) مدرس بجامع الزيتونة.

(5) ينُظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص : 155-156).

(6) يُنظر : شيخ الجامع الأعظم (66-67).

رابعا : آثاره ومصنفاته :

كان الإمام أول من حاضر بالعربية بتونس في هذا القرن.

أما كتبه ومصنفاته فقد وصلت إلى الأربعين، وهي غاية في الدقة العلمية، وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلّها كتابه في التفسير : «التحرير والتنوير»، وكتابه الثمين والفريد من نوعه : «مقاصد الشريعة الإسلامية»، وكتابه «حاشية التنقيح للقرافي»، و«أصول العلم الاجتماعي في الإسلام»، و«الوقف وآثاره في الإسلام»، و«نقد علمي لكتاب أصول الحكم»، و«كشف المغطى في أحاديث الموطأ»، و«التوضيح والتصحيح في أصول الفقه»، و«موجز البلاغة«، و«كتاب الإنشاء والخطابة»، و«شرح ديوان بشار وديوان النابغة»... إلخ.

ولا تزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطة منها : «مجموع الفتاوى»، وكتاب في السيرة، ورسائل فقهية كثيرة[1].

وقد أسهم العلامة محمد الطاهر ابن عاشور في العديد من المجلات العلمية، وسنذكر منها ما يلي : «السعادة العظمى»، «المجلة الزيتونية»، «مجلة المنار»، «مجلة الهداية الإسلامية»، «مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، «مجلة المجمع العلمي بدمشق»، «الثريا»، «مصباح الشرق».

وقد شغل مهمة عضو مراسل لمجمعي اللغة العربية بالقاهرة[2] ودمشق[3] منذ سنة (1955م)[4].

---

(1) نقلاً عن نشرية الكلمة الطيبة، السنة الأولى (العدد : 12)، محرم (1417هـ).

(2) كبرى مدن مصر وإفريقية اليوم. بناها القائد الفاطمي جوهر الصقلي عند فتحه مصر سنة (358هـ) لسيده المعز لدين الله الفاطمي، وسماها بالقاهرة المعزية، وكانت الفسطاط تقوم إلى جنوبها، ولكنها أضحت منذ ذلك الوقت عاصمة مصر، وازدهرت الازدهار الكبير في العهد الفاطمي وفي العهود التالية، وكانت من أكبر مراكز الإسلام ثقافة وحضارة وتجارة، وبها الجامع الأزهر، والجامعات العلمية الأخرى. ينُظر : معجم البلدان (361/3).

(3) مدينة قديمة ذات مجد عريق وتاريخ حافل، فتحها المسلمون سنة (14هـ)، كانت إحدى مراكز الأجناد في بلاد الشام، اتخذها معاوية بن أبي سفيان عاصمة الملك، منها خرجت أعداد لا تحصى من العلماء والأدباء والشعراء، تشتهر بجامعها الكبير الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك، وهي اليوم عاصمة الجمهورية العربية السورية، قيل سميت بذلك لأنهم دمشَقوا في بنائها أي أسرعوا. ينُظر : معجم البلدان (232/2).

(4) ينُظر : شيخ الجامع الأعظم (ص : 67-68).

خامساً : وظائفه وإصلاحاته :

أ - وظائفه :

نظراً لاجتماع كثير من الصفات والعلوم في الإمام فقد تقلد كثيراً من الوظائف والمهام، وهذا يدل على علو مكانته وتأهله، نذكر طرفاً من هذه الوظائف والأعمال على النحو التالي :

1. عين عضواً بمجلس إدارة الجمعية الخلدونية سنة (1323هـ) الموافق (1905م).
2. شارك في اللجنة المكلفة بوضع فهرست للمكتبة الصادقية، بوصفه عضواً في محرم (1323هـ) الموافق فبراير (1905م).
3. سمي نائب الدولة لدى النظارة العلمية سنة (1325هـ) الموافق (1907م).
4. عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم سنة (1326هـ) الموافق (1908م).
5. عين عضواً بمجلس المدارس، وبمجلس إدارة المدرسة الصادقية سنة (1326هـ) الموافق (1909م).
6. ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية ابتداء من ربيع الأنور (1327هـ) الموافق مارس (1910م).
7. التحق بعد ذلك بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة، فكان عضواً به سنة (1328هـ) الموافق (1910م).
8. عين عضواً بمجلس الأوقاف الأعلى سنة (1328هـ) الموافق (1911م).
9. اختير الإمام رحمه الله حاكماً بالمجلس المختلط العقاري سنة (1328هـ) الموافق (1911م).
10. عين قاضياً مالكياً بالمجلس الشرعي سنة (1332هـ- 1342هـ) الموافق (1913م - 1923م).
11. عين مفتياً في رجب (1341هـ) الموافق مارس (1923م).

12. عين مفتياً ثانياً مكلفاً بخطة باش مفتي سنة (1342هـ) الموافق (1924م).

13. فعضواً في مجلس الإصلاح الثالث سنة (1343هـ) الموافق (1924م).

14. فعضواً في مجلس الإصلاح الرابع سنة (1348هـ) الموافق (1930م).

15. وبحكم وظيفته الشرعية، عين عضواً في النظارة العلمية، وقاضياً أو كبير أهل الشورى في المجلس الشرعي.

16. ارتقى بعدها إلى خطة كبير أهل الشورى سنة (1346هـ) الموافق (1927م).

17. فشيخ الإسلام المالكي سنة (1351هـ) الموافق (1932م)[1].

18. ثم شيخاً للجامع الأعظم سنة (1351هـ) الموافق (1932م - 1933م).

19. انتخب عضواً بالمجمعين: مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (1950م)، والمجمع العلمي العربي بدمشق سنة (1955م).

20. عاد إلى مباشرة مهامه على رأس مشيخة الجامع الأعظم سنة (1365هـ - 1372هـ) الموافق (1945م - 1952م).

21. بإثر استقلال البلاد عين عميداً للجامعة الزيتونية سنة (1375هـ-1380هـ) الموافق (1956م- 1960م)[2].

ب- إصلاحاته :

بعد أن تكلم عن أساليب التعليم الزيتوني ومناهجه بلسان النقد في كتابه «أليس الصبح بقريب» الذي ألفه سنة (1907م-1321هـ) والذي ضمنه رؤيته للإصلاح، وحدد فيه أسباب تخلف العلوم، مصنِّفًا كل علم على حدة، واعتبر أن إصلاح حال الأمة لا يكون إلا بإصلاح مناهج التعليم، والقيام على هذا الجانب، وقد كتب كتابه هذا وعمره لم يتجاوز خمسًا وعشرين سنة، مما يدل على أن هذا الإمام الجليل كرّس حياته للنهوض بالجامع الأعظم، وبالتالي على مكمن الداء في تخلف الأمة، ولئن أحس الإمام بجسامة المهمة والبون الشاسع بين واقع المسلمين وما وصلت إليه الأمم

---

(1) ينُظر : تراجم المؤلفين التونسيين (3/304-305)، دائرة المعارف التونسية (1/40-43).

(2) ينُظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص 164-168)، شيح الجامع الأعظم (ص : 56-58)

الغربية، من امتلاك أسباب النهضة والرقي، إلا أنه لم يدّخر جهدًا ولم يثنِ عزمًا في السير في هذا الطريق المليء بالأشواك.

بدأ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور - بمساعدة ثلّة من الأنصار الأوفياء - في تخطيط مراحل الإصلاح، وتطبيق النُّظم التي يراها كفيلة بتحقيق الهدف الذي يصبو إليه؛ للخروج بهذا المعهد العظيم من كبوته.

وعُزّز موقف الإمام محمد الطاهر ابن عاشور بتسميته شيخًا للإسلام المالكي سنة (1932م)، ثم بتكليفه في شهر سبتمبر من نفس السنة (1932م) بمهام شيخ مدير الجامع الأعظم وفروعه، فتيسر له الشروع في تطبيق آرائه الإصلاحية، التي كانت شغله الشاغل.

وقد شملت عناية الإمام محمد الطاهر ابن عاشور إصلاح الكتب الدراسية، وأساليب التدريس ومعاهد التعليم، وقد اهتمت لجان من شيوخ الزيتونة بتشجيع منه بهذا الغرض، ونظرت في الكتب الدراسية على مختلف مستوياتها، وعمل الإمام على استبدال كتب كثيرة كانت منذ عصور ماضية تدرّس، وصبغ عليها قدم الزمان صبغة احترام وقداسة موهومة.

لقد حرص الإمام محمد الطاهر ابن عاشور على خاصتي التعليم الزيتوني: الصبغة الشرعية واللغة العربية، وللوصول إلى هذا الهدف لابد من تخصيص كتب دراسية شهد لها العلماء بغزارة العلم، وإحكام الصنعة وتنمية الملكات في التحرير؛ ليتخرج من الزيتونة العالم المقتدر على الخوض فيما درس من المسائل وتمحيصها ونقدها.

ولتحقيق هذه الأهداف، دعا الإمام محمد الطاهر ابن عاشور المدرسين إلى التقليل من الإلقاء، والإكثار من الأشغال التطبيقية، حتى تتربى للطالب ملكة بها يستقل في الفهم، ويعول على نفسه في تحصيل ثقافته العامة والخاصة، وقد حث المدرسين على نقد الأساليب والمناهج الدراسية، واختيار أحسنها أثناء الدرس، ومراعاة تربية الملكة بدلاً من شحن العقل بمعلومات كثيرة، قد لا يحسن الطالب التصرف فيها، فكانت دعوته للإصلاح ذات بُعْدَي التنظير والتطبيق الميداني[1].

---

(1) ينُظر: المجلة الزيتونية الجزء (7) المجلد (6، 7) (ص: 507)، ومجلة جوهر الإسلام، (عدد خاص بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور) سنة (1978م) عدد (3-4).

إلا أن الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضده من طرف معارضيه «الزيتونيين» من المتحفظين على خطواته الإصلاحية من جهة، والذين شعروا بنفوذه وقبوله من كل المحيطين به من جهة ثانية، جعلته يقدِّم استقالته في سبتمبر من السنة الموالية (1933م).

وفي سنة (1364هـ - 1945م) عيّن مرة ثانية شيخًا للجامع الأعظم وفروعه، وقوبلت عودة الإمام بحماس فياض من طرف الأوساط الزيتونية، والرأي التونسي بصفة عامة، واهتز المعهد الزيتوني وفروعه سرورًا، فانتظمت عدة تظاهرات تكريمًا وارتياحًا لعودة الإمام بالعاصمة، ومنها الاستقبال الحار الذي خصته به فروع سوسة[1] والقيروان وصفاقس[2] بمناسبة الزيارة التفقدية، التي قام بها الإمام ابن عاشور في مايو (1945م) فور تسميته من جديد على رأس إدارة التعليم الزيتوني، فانطلقت ألسنة الأدباء والشعراء بالقصائد الحماسية والأناشيد[3].

واستأنف الإمام تطبيق برنامجه الإصلاحي، فجعل الفروع الزيتونية تحت مراقبة إدارة مشيخة الجامع رأسًا، بعدما كانت ترجع شئونها بالنظر إلى السلطة الشرعية الجهوية.

كما زاد الإمام ابن عاشور في عدد الفروع الزيتونية التي ارتقت في مدة سبع سنوات (1949-1956م) من ثمانية إلى خمسة وعشرين - منها اثنان للفتيات في تونس وصفاقس - وصار عدد تلامذة الزيتونة وفروعها يناهز العشرين ألف تلميذ في حدود سنة (1956م).

كما امتدت شبكة فروع الزيتونة إلى القطر الجزائري بإنشاء فرعين في مدينة قسنطينة[4][5].

---

(1) من مدن تونس المعروفة على الساحل الشرقي القيروان.

(2) بلدة من بلاد تونس تقع إلى الجنوب من القيروان على ساحل خليج قابس.

(3) أنشد تلاميذه أناشيد مؤثرة، منها ما أنشده صغار تلامذة فروع سوسة :

- أيها الطاهر أهلاً بابن عاشور وسهلاً - قد حللت الصفو حلا - وجرى دمع السرور.

- أنت للعين ضياء - في اهتداء وارتياء - يا وريث الأنبياء، أنت للمعمور نور.

(4) قسنطينة أعرق المدن الجزائرية، وهي عاصمة الشرق الجزائري، كانت واحدة من أهم الحواضر الإسلامية في المغرب الأوسط، دخلت قسنطينة تحت راية الحكم العثماني، وأصبحت عاصمة المقاطعة الشرقية للجزائر، وفي عام (1937م) سقطت في قبضة الاحتلال الفرنسي، لكنها كانت منارًا لحركة المقاومة ضد المستعمر، ورفع راية الإصلاح الديني، والتي غذت المقاومة المسلحة التي كُللت بالاستقلال عام (1962م).

(5) جامع الزيتونة المَعْلم ورجاله (ص : 123).

وحرص الإمام ابن عاشور على أن يحسّن من أوضاع الطلبة المعيشية والاجتماعية، لما له من قيمة في رفع معنويات الطلبة الزيتونيين إزاء إخوانهم الميسورين، وأمام الضغوط من حولهم على القضاء على التعليم الزيتوني[1]، والحيرة التي كان عليها أغلب أبناء الزيتونة، والآفاق التي يمكن أن يرسموها لمستقبلهم.

وبعد اضطرابات وخلافات حول أمر التطوير، قررت السلطة إبعاد الإمام محمد الطاهر ابن عاشور عن مباشرة وظيفته مع إبقائه في خطته، وتكليف الشيخ علي النيفر بإدارة المشيخة.

وفي سنة (1956م) عاد الإمام ابن عاشور إلى مباشرة شئون التعليم الزيتوني، بعنوان شيخ عميد للجامعة الزيتونية من سنة (1956م) إلى (1960م)[2].

سادساً : أخلاقه وشمائله :

كان الشيخ ابن عاشور رحمه الله ذا أخلاق عالية تزينه، على رغم ما هو عليه من سعة اطلاع، وغزارة معرفة، وغيرها من الصفات التي تقتضي عند بعض الأغمار أن يكون صاحبها مغروراً، كما هو شأن بعض المتعالمين.

وكان رحمه الله مشتهراً بالصبر، وقوة الاحتمال لقوارع الدهر وكوارثه، ذا رباطة جأش وصمود لا يوصف.

وكان رحمه الله مترفعاً عن الدنايا، تواقاً إلى معالي الأمور، عفيف القلم، حلو المحاضرة، حسن المعاشرة لتلامذته خصوصاً والناس عموماً، لا ينتصر لنفسه.

بل كان الإمام رحمه الله رحب الصدر، لا يشنع على منتقديه وفتاويه، بل يلمح باحترام ولطف وأدب، لا يستفزه الخصوم بنقدهم، فعند إرادته الرد على أحد، تعلو رده مسحة من الأدب الجم، وترك الاستنقاص والازدراء للخصوم، فلم ينزل طيلة حياته إلى الإسفاف في القول، كما هو شأن المناقشات التي كانت في ذلك العصر، مع أنه رحمه الله كان بليغ العبارة، طليق اللسان.

---

(1) المرجع السابق (ص : 123).

(2) يُنظر : شيخ الجامع الأعظم (55-59).

يقول فيه صديقه في الطلب الشيخ محمد الخضر حسين : «للأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة.

وأذكر أنه كان يوماً في ناحية من جامع الزيتونة، ومعه أديبان من خيرة أدبائنا، وكنت أقرأ درساً في ناحية أخرى من الجامع، فبعث إلي بورقة، بها هذان البيتان :

تألقت الآداب كالبدر في السحر　　وقد لفظ البحران موجهما الدرر
فما لي أرى منطيقهما اليوم غائبا　　وفي مجمع البحرين لا يفقد الخضر[1]

سابعاً : وفاته :

كانت وفاته رحمه الله بالمرسى عن (94) سنة، يوم الأحد (13 رجب 1394هـ) الموافق (12 أغسطس 1973م). وكان قد رزق ثلاثة بنين، هم: العلامة محمد الفاضل ابن عاشور - وكان قد توفي قبله بثلاث سنوات - وعبد الملك، وزين العابدين، وبنتين، رحمهم الله.

ووري جسد الإمام رحمه الله الثرى في مقبرة الزلاج من مدينة تونس، بعد تركه لبصمات خير وإصلاح، نرجو الله أن يجعلها نافعة لصاحبها عنده[2].

---

(1) ينُظر : المرجع السابق (ص : 63).
(2) ينُظر : شيخ الإسلام الإمام الأكبر (ص : 168-169)، شيخ الجامع الأعظم (ص : 68).



الفصل الثاني :

التعريف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية



الفصل الثاني

التعريف بالشيعة الإمامية الإثني عشرية

- المبحث الأول : تعريف الشيعة ونشأتها :

أولا : تعريف الشيعة :

التعريف اللغوي :

الشيعة في اللغة : الأتباع والأنصار، وكلّ قوم اجتمعوا على أمر فهم (شِيعَةٌ)، ثم صارت (الشيعة) نبزاً[1] لجماعة مخصوصة، والجمع : (شِيَعٌ) مثل : سدرة وسدر، و(الأَشْيَاعُ) جمع الجمع، و(شَيَّعْتُ) رمضان بست من شوال أتبعته بها، و(شَيَّعْتُ) الضيف : خرجت معه عند رحيله ؛ إكراماً له، وهو التوديع[2].

1- قال الفيروزآبادي رحمه الله : «شيعة الرجل بالكسر : أتباعه وأنصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً لهم خاصاً»[3].

2- وفي المعجم الوسيط : «(الشيعة) الفرقة والجماعة، وفي التنزيل العزيز : ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَن عِتِيًّا﴾ [مريم : 69].

و(الشيعة) : الأتباع والأنصار، وفي التنزيل العزيز : ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص :15]»[4].

---

(1) نبزاً : لقباً. يُنظر : لسان العرب (413/5) مادة «نبز».

(2) المصباح المنير (329/1) كتاب الشين مادة «شاع».

(3) القاموس المحيط (ص : 949) باب العين فصل الشين.

(4) المعجم الوسيط (ص : 503) مادة «شايعه».

3- وقال ابن منظور رحمه الله[1] : «والشيعة : أَتباع الرجل وأَنصاره، وجمعها شيع، وأَشياع جمع الجمع... وأَصل الشيعة : الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأَهل بيته رضوان الله عليهم أَجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل : فلان من الشيعة، عرف أَنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا، أَي : عندهم.

وأَصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة»[2].

إذاً : فالشيعة من حيث المدلول اللغوي تعني : القوم، والصحب، والأتباع، والأعوان، والأنصار المطيعين.

التعريف الاصطلاحي :

1- قال الجرجاني رحمه الله[3] في التعريفات : «الشيعة : هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وقالوا : إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده»[4].

2- وقال الشهرستاني رحمه الله[5] في كتابه الملل والنحل : «الشيعة : هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية،

---

(1) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (630-711هـ)، الإمام اللغوي الحجة. ولد بمصر (وقيل : في طرابلس الغرب) وتوفى في مصر، ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. أشهر كتبه : لسان العرب، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. ومن كتبه : مختار الأغاني، ومختصر مفردات ابن البيطار، ومختصر تاريخ دمشق، ومختصر تاريخ بغداد. ينُظر : الأعلام (108/7).

(2) لسان العرب (188/8) مادة «شَيَعَ».

(3) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، ولد بسنة (740هـ)، من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد، ودرس في شيراز. ولما دخلها تيمور سنة (789هـ) فر الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي سنة (816هـ). له نحو خمسين مصنفاً، منها : التعريفات، ومقاليد العلوم، وتحقيق الكليات، والحواشي على المطول للتفتازاني. ينُظر : الأعلام (215/6).

(4) التعريفات (171/1) باب الشين.

(5) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني (479-548هـ)، من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام، وأديان الأمم، ومذاهب الفلاسفة. ولد في شهرستان، ثم انتقل إلى بغداد، فأقام فيها ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي فيها، من كتبه : الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام، والإرشاد إلى عقائد العباد. ينُظر : الأعلام (215/6).

إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحيه، تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بتنصيبهم، بل هي قضية أصولية.

وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبرؤ قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية»[1].

3- وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله[2] - في صدد ذكره للشيعة -: «وإنما قيل لهم الشيعة : لأنهم شايعوا عليًا - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[3].

4- وقال عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله : «اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم، ومذهبهم جميعًا متفقين عليه : أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصومًا من الكبائر والصغائر، وإن عليًا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة»[4].

---

(1) الملل والنحل (145/1).

(2) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة.كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة سنة (260هـ). وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد سنة (324هـ). من مصنفاته : إمامة الصديق، ومقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة - رجع فيه إلى منهج السلف -، ومقالات الملحدين، والرد على ابن الراوندي، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. ولابن عساكر كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري». يُنظر : تاريخ بغداد (346/11)، الأعلام للزركلي (263/4).

(3) مقالات الإسلاميين (5/1).

(4) مقدمة ابن خلدون (ص : 196-197).

5- وقال المناوي رحمه الله[1] : «الشيعة : الذين بايعوا علياً وقالوا : إنه الإمام بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإن الإمامة حق لأولاده. وأصل الشيعة من يتقوى بهم الإنسان»[2].

فالحاصل من هذه التعريفات :

أن الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم أجمعين، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة من غيرهم، وأن الخلفاء الذين سبقوا علياً رضي الله عنه قد اغتصبوا الخلافة.

تعريف الإمامية :

وهذا التعريف يشمل طوائف شيعية كثيرة، تعتبر الشيعة الإمامية إحداها[3].

ويعرف هذه الفرقة من فرقة الشيعة شيخهم المفيد[4] في كتابه العيون والمحاسن فيقول : «الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة، والعصمة، ووجوب النص، وإنما حصل لهم هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة هذه الأصول، فكل من جمعها فهو إمامي»[5].

ويقول في كتابه أوائل المقالات : «الإمامية علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، وأوجب النص الجلي، والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر

(1) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ولد سنة (952هـ)، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، كان قليل الطعام كثير السهر، له نحو ثمانين مصنفاً، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة (1031هـ). من كتبه : كنوز الحقائق في الحديث، والطبقات الصغرى ويسمى إرغام أولياء الشيطان، والتوقيف على مهمات التعاريف. ينُظر : الأعلام (204/6).

(2) التوقيف على مهمات التعاريف (443/1) باب الشين فصل الياء.

(3) يُنظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص : 85)، مقالات الإسلاميين (66/1، 88، 140).

(4) محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الملقب بالشيخ المفيد، المتوفى سنة (413هـ) قال عنه النجاشي : (شيخنا وأستاذنا فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والعلم له كتب). الفهرست للنجاشي، (ص : 283-287)، ويُنظر : الفهرست للطوسي، (ص : 157-158).

(5) العيون والمحاسن (91/2).

الإمامة في ولد الحسين بن علي[1]، وساقها إلى الرضا علي بن موسى[2] عليه السلام»[3].

ويقول الشهرستاني رحمه الله : «الإمامية هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين»[4].

ويقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله : «.. وهم يُدْعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب»[5].

تعريف الإثني عشرية :

وتنقسم هذه الفرقة إلى فرق متعددة، فقد جاء في كتاب الفرق بين الفرق : «وأما الإمامية المفارقة للزيدية[6] والكيسانية[7] فإنها خمس عشرة فرقة»[8].

لكن لقب الإمامية بعد ذلك اشتهر إطلاقه على إحدى هذه الفرق، وهي الإثنا عشرية :

---

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله المدني، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، حفظ عنه، استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة. يُنظر : التقريب (1334).

(2) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الهاشمي، يلقب بالرضا، صدوق، والخلل ممن روى عنه، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث ومائتين ولم يكمل الخمسين. يُنظر : التقريب (4804).

(3) أوائل المقالات (ص : 44).

(4) الملل والنحل (162/1).

(5) مقالات الإسلاميين (86/1).

(6) الزيدية هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (80-122هـ)، وسموا بالزيدية نسبة إليه، وهو أول من أطلق تسمية الرافضة على الشيعة، وذلك حينما سئل عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما، وكان ذلك في آخر خلافة هشام بن عبد الملك. والزيدية يوافقون المعتزلة في العقائد، وهم فرق، منهم من لم يحمل من الانتساب إلى زيد إلا الاسم فهم روافض في الحقيقة يقولون : إن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غير علي، وهؤلاء الجارودية أتباع أبي الجارود، ومنهم من يقترب من أهل السنة كثيراً وهم أصحاب الحسن بن صالح بن حي الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولد علي رضي الله عنه. يُنظر : مقالات الإسلاميين (ص 56)، الملل والنحل (154/1)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/76-77).

(7) إحدى فرق الإمامية، وهم الذين يقولون : إن الإمامة كانت حقاً لمحمد بن الحنفية، وسموا بذلك لأن المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان، وهي إحدى عشرة فرقة. يُنظر : مقالات الإسلاميين (18/1)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (62/1).

(8) الفرق بين الفرق (ص : 23).

قال السمعاني[1] رحمه الله : «وعلى هذه الطائفة - يشير إلى الإثني عشرية - يطلق الآن الإمامية»[2].

وقال ابن خلدون رحمه الله : «وأما الإثنا عشرية فربما خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم»[3].

فالإثنا عشرية هي إحدى فرق الشيعة الإمامية، وقد ذكر عبد القاهر البغدادي[4] رحمه الله أنهم سموا بالإثني عشرية لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

وقال شيخهم محمد جواد مغنية[6] : »الإثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً تعينهم بأسمائهم»[7].

الرافضة :

من الألقاب التي أطلقت على هذه الفرقة - الشيعة الإمامية الإثني عشرية - واشتهرت بها لقب «الرافضة» وهذا اللقب أطلقه كثير من أئمة أهل السنة والجماعة المتقدمين على هذه الفرقة، والسبب في هذا ؛ أنهم (رفضوا) أي : تركوا زيد بن علي عليه السلام حين نهاهم عن الطعن في الصحابة[8].

---

(1) عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (506-562هـ)، نسبته إلى سمعان (بطن من تميم)، أبو سعد : مؤرخ رحالة من حفاظ الحديث، مولده ووفاته بمرو، رحل إلى أقاصي البلاد، ولقي العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، من أشهر تصانيفه : الأنساب، تاريخ مرو، تذييل تاريخ بغداد. يُنظر : الأعلام (55/4).

(2) الأنساب (344/1).

(3) تاريخ ابن خلدون (201/1).

(4) عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور، عالم متفنن، من أئمة الأصول، ولد ونشأ في بغداد، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور ومات في إسفرائين سنة (429هـ). من تصانيفه : أصول الدين، فضائح المعتزلة، والفرق بين الفرق. ينظر : الأعلام (48/4).

(5) الفرق بين الفرق (ص : 64).

(6) أحد مشايخ الشيعة الإثني عشرية المعاصرين، رئيس المحكمة الجعفرية في بيروت. من تصانيفه : الإثنا عشرية وأهل البيت، الشيعة في الميزان، الخميني والدولة الإسلامية، تفسير الكاشف، الشيعة والحاكمون، هذه هي الوهابية، إمامة علي بين العقل والقرآن.

(7) الإثنا عشرية وأهل البيت (ص : 15).

(8) يُنظر : المصباح المنير (232/1) كتاب الراء.

قال الأصمعي[1] رحمه الله : «كانوا بايعوه، ثم قالوا له : ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى، وقال : كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما، فرفضوه، وارفضوا عنه فسموا رافضة»[2].

وقال الرازي[3] رحمه الله : «إنما سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك[4] فطعن عسكره على أبي بكر فمنعهم من ذلك، فرفضوه، ولم يبق معه إلا مائتا فارس، فقال لهم - أي زيد بن علي - : رفضتموني، قالوا : نعم، فبقي عليهم هذا الاسم»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[6] رحمه الله تعالى : «الخلفاء الراشدون الأربعة ابتلوا بمعادات بعض المنتسبين إلى الإسلام من أهل القبلة ولعنهم وبغضهم وتكفيرهم، فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف، ولهذا قيل للإمام أحمد : من الرافضي ؟ قال : الذي يسب أبا بكر وعمر. وبهذا سميت الرافضة ؛ فإنهم

(1) عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (122-216هـ) : راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جده أصمع، ومولده ووفاته في البصرة. كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، تصانيفه كثيرة : منها : الإبل، المترادف، الخليل، شرح ديوان ذي الرمة. ينظر : الأعلام (162/4).

(2) لسان العرب (156/7) مادة «رفض».

(3) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده سنة (544هـ) في الري وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة (606هـ). كان يحسن الفارسية. من تصانيفه : مفاتيح الغيب، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين. يُنظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (65/2-67)، الأعلام (313/6).

(4) هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (71-125هـ)، أحد خلفاء بني أمية، ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة (105هـ)، نشبت في أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك في ما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان واستيلاء المسلمين على بعض بلاده، توفي في الرصافة على أربعة فراسخ من الرقة غرباً. كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه. ينظر : الأعلام (86/8).

(5) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص : 52).

(6) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية (661-728هـ)، الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. من كتبه : مجموعة الفتاوى، السياسة الشرعية، والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والصارم المسلول على شاتم الرسول، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام. ينظر : الأعلام (144/1).

رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهم لهما، فالمبغض لهما هو الرافضي، وقيل : إنما سموا رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر»[1].

وقال أيضاً رحمه الله : «ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم، فقال لهم : رفضتموني ؛ فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه»[2].

وقال ابن كثير[3] رحمه الله : «فيها - أي : سنة ثنتين وعشرين ومائة - كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان سبب ذلك : أنه لما أخذ البيعة ممن بايعه من أهل الكوفة[4] أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك، فانطلق رجل يقال له : سليمان بن سراقة إلى يوسف بن عمر[5] نائب العراق فأخبره - وهو بالحيرة[6] يومئذ - خبر زيد بن علي هذا ومن معه من أهل الكوفة، فبعث يوسف بن عمر يتطلبه ويلح في طلبه، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : «ما قولك - يرحمك الله - في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل البيت ؟ فقال : إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر، ولكن

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (4/435).

(2) منهاج السنة (1/8).

(3) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (701-774هـ)حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة (706هـ)، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه : البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم. ينظر : الأعلام (1/320).

(4) مدينة أسسها المسلمون عند فتح العراق أسسها سعد بن أبي وقاص سنة (17هـ) ؛ لتكون معسكراً للجيش الإسلامي في الجانب الغربي من نهر الفرات، وعندما تولى الخلافة أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه اتخذ الكوفة عاصمةً له. ينظر : معجم البلدان (4/490-494).

(5) يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم أبو يعقوب، الثقفي : أمير، أحد ولاة الأمويين. كانت منازل أهله في البلقاء (بشرقي الأردن)، ولي اليمن لهشام بن عبد الملك، ثم نقله هشام إلى ولاية العراق وأضاف إليه إمرة خراسان، واستمر إلى أيام يزيد بن الوليد، فعزله يزيد وقبض عليه، وحبسه في دمشق، قال عنه الذهبي : كان مهيباً جباراً ظلوماً، قتل سنة (127هـ). الأعلام (8/243).

(6) مدينة قريبة من الكوفة، كانت سكناً لملوك اللخميين العرب في الجاهلية، واسم الحيرة يعني البلد المسور. وكانت تسمى (الحيرة البيضاء) لحسنها. وفيها أقام الملوك اللخميون القصرين الشهيرين : الخورنق والسدير. يُنظر : معجم البلدان (2/328).

القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذاً ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإحياء السنن وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيراً لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ»[1].

وقال الخوانساري[2] في كتابه روضات الجنات : «فالروافض هم أولئك الذين رفضوا من أهل الكوفة صحبة زيد بن علي رضي الله عنه حين منعهم من الطعن في الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً رضي الله عنهم جميعاً، وتبرءوا منه حيث لم يتبرأ منهم»[3].

الجعفرية :

كذلك من الألقاب التي أطلقت على الشيعة الإمامية الإثني عشرية لقب «الجعفرية» ؛ نسبة إلى جعفر الصادق[4] إمامهم السادس - كما يزعمون - وهو من باب تسمية العام باسم الخاص. روى الكشي[5] أن : من يدعون التشيع لجعفر سموا بالجعفرية، وأن هذه التسمية نقلت إلى جعفر فغضب ثم قال : «إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه»[6].

(1) البداية والنهاية (9/329-330)، ويُنظر : تاريخ الأمم والملوك (4/204).

(2) محمد باقر بن زين العابدين بن محمد باقر الهزار ثم الخوانساري الشيعي الإمامي، المتوفى بعد سنة (1287هـ). له من التصانيف : أحسن العطية في شرح الألفية في فقه الشيعة الإمامية، وروضات الجنان في أحوال العلماء والسادات. يُنظر : هدية العارفين (2/146).

(3) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (1/324).

(4) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو عبد الله الصادق (80-148هـ)، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ولذلك كان يقول : ولدني أبو بكر مرتين. كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم. يعتبره الشيعة الإثني عشرية الإمام السادس من أئمتهم الإثني عشر، نسبوا إليه كثيراً من رواياتهم وفقههم، حتى أطلق على مذهبهم المذهب الجعفري. يُنظر : تهذيب الكمال (5/74-97)، تقريب التقريب (ص : 950).

(5) محمد بن عمر بن عبد العزيز، أبو عمرو الكشي : من فقهاء الشيعة الرافضة وعلمائهم، نسبته إلى (كش) من بلاد ما وراء النهر. اشتهر بكتابه : معرفة أخبار الرجال، اقتصر به على بعض ما قيل فيهم أو روي عنهم. وكان معاصراً للعياشي، أخذ عنه وتخرج عليه في داره بسمرقند، توفي نحو (340هـ). يُنظر : الأعلام (6/311).

(6) رجال الكشي (ص : 255).

وجاء في الكافي أن بعض الشيعة اشتكى من ذلك لجعفر فأجابه : «ما أقل والله من يتبع جعفراً منكم، إنما أصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي»[1].

ثانياً : نشأة الشيعة :

أول ما بدأ التشيع في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه وأرضاه.

قال الدكتور السنهوتي : «إن الأصول الأولى لمذهب التشيع وضعت بذورها على يد ذلك الأفاك الأثيم - أي : ابن سبأ[2] - في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، وكان قصده من وراء ذلك إحداث مؤامرة التخريب السياسي والديني، كما يتمنى اليهود في كل عصر وأوان للعقلية الإسلامية»[3].

ومن أمثلة التشيع في ذلك الحين أيضاً الطعن والثلب في عثمان رضي الله عنه، واعتقاد تفضيل علي رضي الله عنه على من قبله من الخلفاء، ثم غلا أناس في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتقدوا فيه الألوهية، وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودي[4]، وبلغ أمرهم علياً رضي الله عنه، وتعاظم الأمر، فرأى استحقاق من كان هذا قوله الإحراق، فقضى على أكثرهم، وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ... أوقدت ناري ودعوت قنبرا[5]

(1) الكافي (77/2).

(2) سيأتي التعريف به في أثناء الكلام.

(3) عقائد الإمامية الإثني عشرية وأصولها (ص : 12).

(4) عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبئية، التي كانت تقول بألوهية علي. أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام، رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة، ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببدعته، كان يقال له : ابن السوداء لسواد أمه، توفي عام (40هـ). ينُظر : الأعلام للزركلي (88/4).

(5) ينُظر : تاريخ الإسلام للذهبي 643/3)، وأصل القصة في صحيح البخاري (1098/3) (2854)، وتفصيل القصة ذكرها الحافظ في الفتح ثم قال : رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص، وسنده حسن. ينُظر : الفتح (270/12).

قال ابن حجر رحمه الله[1] : «عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ضال مضل، أحسب أن علياً حرقه بالنار، وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، فنفاه علي بعد ما هم به... وله أتباع يقال لهم : السبئية، معتقدون إلهية علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته»[2].

وابن سبأ هو الذي أتى بالأصول العامة للشيعة الإثني عشرية، كقوله : إن علياً رضي الله عنه هو الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا باعتراف كتب الشيعة التي قالت : إن ابن سبأ هو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه هي عقيدة النص على علي رضي الله عنه بالإمامة، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة.

وقالت السبئية كذلك برجعة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد موته، وكان ابن سبأ يقول : «لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص : 85] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى»[3].

والرجعة أصل من أصول اعتقاد الشيعة الإثني عشرية كما سيأتي بيانه[4].

وكذلك هو - أي : ابن سبأ - الذي بدأ بأمر الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، وصار اليوم ديناً للإمامية الإثني عشرية[5].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قال أبو إسحاق الفزاري عن شُعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب : إن سويد بن غفلة[6] دخل على عليٍّ في

(1) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر (773-852هـ) : من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين)، أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ. حتى أصبح حافظ الإسلام، له تصانيف كثيرة، منها : فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ولسان الميزان، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر. ينُظر : الأعلام (178/1).

(2) لسان الميزان (289/3).

(3) تاريخ دمشق (29-4).

(4) ينُظر : (ص : 91-94) من هذا البحث.

(5) ينُظر : (ص : 299-320) من هذا البحث.

(6) سويد بن غفلة، أبو أمية الجعفي، مخضرم من كبار التابعين، قدم المدينة يوم دفن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مسلماً في حياته، ثم نزل الكوفة، ومات سنة ثمانين، وله مائة وثلاثون سنة. ينُظر : التقريب (2695).

غمارته فقال : إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ. وكان عبد الله أول من أظهر ذلك فقال علي : ما لي ولهذا الخبيث الأسود ؟ ثم قال : معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن[1]، وقال : لا يساكنني في بلدة أبداً»[2].

حقيقة شخصية ابن سبأ :

إذاً : فابن سبأ هو أول من أذكى عود الفتنة، وأطل برأس الرفض الغالي ؛ ولذا كان يسميه الشيخ أبو زهرة رحمه الله[3] بـ : الطاغوت الأكبر، الذي كان على رأس الطوائف الناقمة على الإسلام، والذين يكيدون لأهله، ويرى أن فتنة ابن سبأ وزمرته كانت من أعظم الفتن التي نبت في ظلها المذهب الشيعي.

فهو الذي قام بإثارة الناس على خليفتهم، بالدعوة إلى انحرافاته وأفكاره، وكان ذلك ببث دعاته في الأمصار، فبدأ بالحجاز ثم البصرة[4] ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على أحد منهم، فأخرجوه إلى مصر ولبث فيها عمراً، فأطلق من هناك نفاثاته المسمومة[5].

فشخصية عبد الله بن سبأ ليست أسطورة كما يدعي ذلك بعض الإمامية الإثني عشرية والكتاب، أمثال مرتضى العسكري[6] في كتابه : عبد الله بن سبأ، حيث يقول :

---

(1) تقع على جانبي دجلة قريباً من بغداد، وتتألف من سبعة مدن هي : طيسفون، بهرسير، قصر كسرى (الإيوان)، الرومية، ساباط، أسبانبر، السلوقية، وكانت المدائن دار ملك الأكاسرة. يُنظر : الروض المعطار في أخبار الأقطار (9/1).

(2) لسان الميزان (289/3).

(3) محمد بن أحمد أبو زهرة، من أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده سنة (1316هـ) بمدينة المحلة الكبرى، وتربى بالجامع الأحمدي، وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي، عين أستاذاً محاضراً للدراسات العليا في الجامعة، وعضواً للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، له كتب كثيرة منها : أحكام التركات والمواريث، ومحاضرات في مقارنات الأديان، ومحاضرات في المجتمع الإسلامي، وكانت وفاته بالقاهرة سنة (1394هـ). يُنظر : الأعلام (25/6).

(4) مدينة تقع على شط العرب قريبة من مصبه في الخليج العربي، اختطها عتبة بن غزوان. يُنظر : معجم البلدان (431-430/1).

(5) يُنظر : تاريخ المذاهب الإسلامية (1/31-33).

(6) مرجع شيعي معاصر، وعميد كلية أصول الدين ببغداد سابقاً. من كتبه : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ومعالم المدرستين، خمسون ومائة صحابي مختلق.

«عبد الله بن سبأ شخصية أسطورية»[1].

وقال أيضاً : «وهكذا ينتهي سند جميع من أورد الأسطورة السبئية إلى هذه المصادر الأربعة التي ترويها عن سيف وحده لا شريك له في ذلك»[2].

وأمثال طه حسين[3]، حيث يقول في كتابه الفتنة الكبرى :

«ويتخيل إلي أن الذين يسرفون في أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديداً ؛ وأول ما نلاحظه أنا لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة، التي قصت أمر الخلاف على عثمان، فلم يذكره ابن سعد[4] حين قص ما كان من خلافة عثمان وانتفاض الناس عليه، ولم يذكره البلاذري[5] في أنساب الأشراف، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلاً، وذكره الطبري[6] عن سيف بن عمر[7] وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر»[8].

---

(1) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى (279/2).

(2) المرجع السابق (56/1).

(3) طه بن حسين بن علي بن سلامة (1307-1393هـ) ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا بالصعيد المصري، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. بدأ حياته في الأزهر ثم بالجامعة المصرية القديمة. وسافر في بعثة إلى باريس وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم عميداً لتلك الكلية فوزيراً للمعارف. من كتبه : في الأدب الجاهلي، وفي الشعر الجاهلي، وقادة الفكر، ومع أبي العلاء في سجنه. وغير ذلك من مؤلفاته التي تحمل سموم الاستشراق. توفي بالقاهرة. ينظر : الأعلام (231/3-232).

(4) محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله، مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد سنة (168هـ) في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها سنة (230هـ). صحب الواقدي المؤرخ زماناً، فكتب له وروى عنه، وعرف بكاتب الواقدي. يُنظر : سير أعلام النبلاء (664/10-667)، الأعلام (136/6).

(5) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، مؤرخ، جغرافي، نسابة، وله شعر، من أهل بغداد. جالس المتوكل العباسي، ومات سنة (279هـ) في أيام المعتمد. كان يجيد الفارسية، وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير)، من كتبه : فتوح البلدان، والقرابة وتاريخ الأشراف، أجزاء منه، ويسمى (أنساب الأشراف)، يُنظر : الأعلام (267/1).

(6) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (224-310هـ)، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. من تصانيفه : تاريخ الأمم والملوك، المشهور بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري. ينظر : الأعلام (267/1).

(7) سيف بن عمر التميمي، صاحب كتاب الردة، ويقال : الضبي – ويقال غير ذلك – الكوفي، ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه، مات في زمن الرشيد. يُنظر : التقريب (2724).

(8) الفتنة الكبرى (1321).

وكذا غيرهما من المستشرقين، أي : أنكروا شخصية عبد الله بن سبأ.

وكلام الدكتور طه حسين يؤيد ما قاله مرتضى العسكري في كتابه المذكور آنفاً، الذي مضمونه : أن سيف بن عمر هو العمدة في ذكر عبد الله بن سبأ، ومعلوم أنه ضعيف عند المحدثين.

والرد على هذه الشبه فيما يلي :

أولاً : أن كتب أهل السنة لم تنفرد بذكر هذه الشخصية، بل قد ذكرته كتب الشيعة كذلك، ولو كان مجرد أسطورة لما ذكروه، سيما أنه مما يشنع به على الشيعة، وممن ذكره من الشيعة من يلي :

1. أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي[1]، وهو يعد من كبار الشخصيات الشيعية في القرن الثالث الهجري، فقد أقام فصلاً خاصاً عن عبد الله بن سبأ، في كتابه الذي بعنوان : فرق الشيعة[2].
2. أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، ذكره في كتابه المعروف برجال الكشي، وهو من أقدم كتب الجرح والتعديل عند الشيعة الإثني عشرية، وفيه خمس روايات تذكر هذه الشخصية - أي : شخصية ابن سبأ - من غير طريق سيف بن عمرو[3].
3. محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي، الملقب عندهم بالصدوق[4]، وقد ذكره في علل الشرائع، وفي الخصال[5].

---

(1) الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي، أبو محمد، فلكي عارف بالفلسفة. كانت تدعيه المعتزلة والشيعة. وهو من أهل بغداد. من كتبه : فرق الشيعة، والفرق والمقالات، توفي سنة (310هـ). ينظر : الأعلام (224/2).

(2) يُنظر : فرق الشيعة (22/1) وما بعدها.

(3) يُنظر : رجال الكشي (ص : 107-108)

(4) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ولد سنة (306هـ)، ويلقب بالصدوق. من كتبه : إكمال الدين وإتمام النعمة بإثبات الرجعة، والأمالي، وعيون أخبار الرضا، ومن لا يحضره الفقيه. وتوفي سنة (381هـ). يُنظر : رجال النجاشي (ص 389)، الأعلام للزركلي (274/6).

(5) يُنظر : علل الشرائع (ص : 344). والخصال (ص : 628).

4. محمد بن الحسن بن علي الطوسي[1]، أبو جعفر من كبار محدثي الإمامية الإثني عشرية، ذكره في كتابه تهذيب الأحكام، وفي الأمالي، من غير طريق سيف بن عمر في الكتابين[2].

5. محمد بن الحسن الحر العاملي[3]، ذكره في وسائل الشيعة (آل البيت)، من غير طريق سيف بن عمر[4].

6. سعد بن عبد الله القمي الأشعري[5]، ذكره في كتابه المقالات والفرق[6].

7. نعمة الله الجزائري[7] في كتابه الأنوار النعمانية[8].

وغير هؤلاء من أئمة الشيعة الإثني عشرية ومرجعياتهم وكتابهم[9] ونكتفي بمن أوردناهم.

---

(1) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (385-460هـ)، هو عندهم شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، وهو مؤلف كتابين من كتبهم الأربعة (التي هي كالكتب الستة عند أهل السنة)، وهما : تهذيب الأحكام والاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار، توفي بالنجف. يُنظر : الأعلام (84/6).

(2) يُنظر : تهذيب الأحكام (322/2). والأمالي (234/1).

(3) محمد بن الحسن بن علي العاملي، الملقب بالحر : فقيه إمامي، مؤرخ. ولد في قرية مشغرة (من جبل عامل بلبنان) تبعد عن بيروت العاصمة (70)كم، توفي في طوس (بخراسان) سنة (41104هـ). له تصانيف، منها : أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل، والجواهر السنية في الأحاديث القدسية. يُنظر : الأعلام (90/6).

(4) يُنظر : وسائل الشيعة (487/6).

(5) سعد بن عبد الله الأشعري القمي، أبو القاسم : فقيه إمامي، من أهل (قم) سافر كثيراً في طلب الحديث. من كتبه : المقالات والفرق، ومناقب رواة الحديث، ومثالب رواة الحديث، وفضل قم والكوفة. توفي سنة (300هـ). يُنظر : الأعلام (86/2).

(6) يُنظر : المقالات والفرق (ص : 20).

(7) نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني الجزائري، ولد سنة (1050هـ)، أديب، مدرس، من فقهاء الإمامية. نسبته إلى جزائر البصرة. ولد في قرية الصباغية من قراها، وقرأ بها ثم بشيراز فأصفهان، وعاد إلى الجزائر، وتوفي بقرية جايدر. له كتب، منها : الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية، ومقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام، ولوامع الأنوار في شرح عيون الأخبار، ومقامات النجاة، ونور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية. توفي سنة (1112هـ). يُنظر : معجم المؤلفين (110/13)، الأعلام (39/8).

(8) يُنظر : الأنوار النعمانية (234/2).

(9) منهم على سبيل المثال : الممقاني في كتابه تنقيح المقال (183/2) وعلي الشهرستاني في كتابة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم (127/1)، والميرزا النوري في مستدرك الوسائل (185/5) (90/9)، وفي غيرهما من المواطن من كتابه. وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (7/5) (120/8)، والخوئي في معجم رجال الحديث مترجماً له (205/11)، وفي (205/4) (263/15)، وفي غيرها. وعلي الأبطحي في تهذيب المقال (99/5)، ومحمد بن جرير الطبري الشيعي في نوادر المعجزات (ص : 21). وابن البطريق الأسدي الحلي في هامش العمدة (ص : 461). وهاشم البحراني في مدينة المعاجز (226/1) (110/2)، وغيرهم كثير.

ثانياً : إن كلام مرتضى العسكري - ومن كان على شاكلته - في أن كل الراويات التي ذكرت ابن سبأ مدارها على سيف بن عمر كلام غير صحيح، فقد وردت روايات أخرى ذكرت ابن سبأ وهي من غير طريق سيف بن عمر، وهي روايات أسانيدها مقبولة معتبرة، منها ما يلي :

أ- قال الإمام عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله[1] في السنة : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني، أخبرنا محمد بن الحسن الأسدي، أخبرنا هارون بن صالح الهمداني، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن أبي الجلاس قال : سمعت علياً يقول لعبد الله بن سبأ : (ويلك ! ما أفضى إلي شيئاً كتمه أحداً من الناس، ولقد سمعته يقول : إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً، وإنك لأحدهم)[2].

وأخرجه أبو يعلى رحمه الله[3] في مسنده : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي، وقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن الحسن بإسناد مثله[4].

وأخرجه ابن عساكر رحمه الله[5] في تاريخ دمشق من طريق أبي يعلى رحمه الله[6]، وأخرجه ابن أبي عاصم[7] رحمه الله في السنة، فقال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي به[8].

---

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الرحمن (213-290هـ)، من حفاظ الحديث، له : الزوائد، على كتاب الزهد لأبيه، وزوائد المسند، زاد به على مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث، ومسند أهل البيت. يُنظر : التقريب (3205)، الأعلام (65/4).

(2) السنة لعبد الله بن أحمد (565/2-566).

(3) أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، أبو يعلى : حافظ، من علماء الحديث، ثقة مشهور، نعته الذهبي بمحدث الموصل. تفرد ورحل الناس إليه. له كتب منها : المعجم، ومسندان كبير وصغير، توفي بالموصل سنة (307هـ). ينظر : الأعلام (/171).

(4) يُنظر : مسند أبي يعلى (ص : 449).

(5) علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، المؤرخ، الحافظ، الرحالة. ولد سنة (499هـ). كان محدث الديار الشامية، مولده ووفاته في دمشق. توفي سنة (571)، من مؤلفاته : تاريخ دمشق الكبير، يعرف بتاريخ ابن عساكر. يُنظر : الأعلام (273/4).

(6) يُنظر : تاريخ دمشق (29/9).

(7) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني، أبو بكر ابن أبي عاصم، ويقال له ابن النبيل : عالم بالحديث، من أهل البصرة، ولد سنة (206هـ)، وولي قضاء أصبهان سنة (269-282هـ). له مصنفات كثيرة، منها : المسند الكبير، والآحاد والمثاني، وكتاب السنة. توفي سنة (287هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (430/13-439)، الأعلام (189/1).

(8) يُنظر : السنة لابن أبي عاصم رقم (982).

قال الهيثمي رحمه الله[1] في مجمع الزوائد : رجاله ثقات[2].

ب- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في لسان الميزان : قال أبو إسحاق الفزاري عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة دخل على علي رضي الله عنه في إمارته فقال : «إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر ويرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك، فقال علي : مالي ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال : معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال : لا يساكنني في بلد أبداً، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائه عليهما بطوله وفي آخره : لا يبلغني عن أحد فضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري»[3].

ورجال الإسناد المذكور مسلسل بالثقات، وأبو الزعراء هو عبد الله بن هانئ، وقد وثقه العجلي وابن سعد، وقال البخاري رحمه الله[4] : لا يتابع في حديثه، وذكره ابن حبان[5] رحمه الله في الثقات، ووثقه أيضاً أبو عبد الله البوشنجي رحمه الله كما في الكفاية[6]، وظاهر السند الاتصال.

(1) علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري، حافظ. له كتب وتخاريج في الحديث، منها : مجمع الزوائد ومنبع والفوائد، وترتيب الثقات لابن حبان، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين، وزوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة. توفي سنة (807هـ). يُنظر : الأعلام (266/4).

(2) مجمع الزوائد (333/7).

(3) لسان الميزان (344/3).

(4) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم، أبو عبد الله بن أبي الحسن البخاري (194-256هـ)، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، كان إماماً مجتهداً، من أفراد العلم مع الدين والورع والتأله، أهم تصانيفه : الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، وهو أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وله كذلك : الضعفاء، وخلق أفعال العباد، والأدب المفرد. ولد في بخارى وتوفي بقرية من قرى سمرقند. ينظر : تهذيب الكمال (430/24-467)، تاريخ بغداد (4/2-34).

(5) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حبان : الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان، ولد في بست من بلاد سجستان، أحد المكثرين من التصنيف. من كتبه : المسند الصحيح، وروضة العقلاء، والأنواع والتقاسيم، ومعرفة المجروحين من المحدثين، وعلل أوهام أصحاب التواريخ. يُنظر : سير أعلام النبلاء (92/16-102)، الأعلام (78/6).

(6) يُنظر : الكفاية (ص : 376).

وقد وجد أصل الإسناد عند الخطيب البغدادي رحمه الله[1] في الكفاية فقال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن حمدان النيسابوري بخوارزم، قال: أملى علينا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، قال: حدثنا أبو صالح الفراء محبوب بن موسى قال: أخبرنا أبو إسحاق الفزاري، قال: حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء أو زيد بن وهب، أن سويد بن غفلة دخل على علي بن أبي طالب في إمارته فقال: يا أمير المؤمنين! فذكره بنحوه.

ثم قال الخطيب: قال أبو عبد الله البوشنجي: هذا الحديث الذي سقناه ورويناه من الأخبار الثابتة؛ لأمانة حماله، وثقة رجاله، وإتقان آثريه، وشهرتهم بالعلم في كل عصر من أعصارهم، إلى حيث بلغ من نقله إلى الإمام الهادي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى كأنك شاهد حول المنبر وعلي فوقه، وليس مما يدخل إسناده وهن ولا ضعف لقول الراوي: عن أبي الزعراء أو عن زيد بن وهب لما لعله توهمه شكاً فيه، وليس مثل هذا الشك يوهن الخبر ولا يضعف به الأثر؛ لأنه حكاه عن أحد الرجلين، وكل منهما ثقة مأمون وبالعلم مشهور، إنما لو كان الشك فيه أن يقول: عن أبي الزعراء أو عن غيره كان الوهن يدخله، إذ لا يعلم الغير من هو، فأما إذا صرح الراوي وأفصح بالناقلين أنه عن أحدهما، فليس هذا بموضع ارتياب، تفهموا رحمكم الله[2].

فالحاصل: أن هذا الخبر قد أثبته ووثق رجاله إمامان حافظان، الأول: أبو عبد الله البوشنجي رحمه الله[3]، والثاني: أبو بكر الخطيب رحمه الله، بتقريره لأبي عبد الله البوشنجي، فالأثر ثابت من هذه الطريق.

---

(1) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزية)، منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، من مصنفاته: تاريخ بغداد، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، والفقيه والمتفقه، توفي سنة (463هـ). يُنظر: الأعلام (172/1).

(2) الكفاية (ص: 376).

(3) محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي العبدي: شيخ أهل الحديث في زمانه، بنيسابور. من أئمة اللغة وكلام العرب. له تصانيف. توفي سنة (291هـ). يُنظر: الأعلام (294/5).

وله طرق أخرى أخرجها خيثمة رحمه الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه (122-124) والأجري رحمه الله[1] في الشريعة رقم (1829) و(1830) و(1196)، واللالكائي رحمه الله[2] في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (1295/7) وابن الأثير رحمه الله[3] في أسد الغابة (154/4، 155) والمقدسي رحمه الله[4] في النهي عن سب الأصحاب (ص : 71) وبحشل رحمه الله[5] في تاريخ واسط (166) كلهم من طريق الحسن بن عمارة[6]، عن المنهال بن عمرو[7]، عن سويد بن غفلة... به.

---

(1) محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجري، فقيه شافعي محدث. نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة (330هـ)، ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها. له تصانيف كثيرة، منها : أخبار عمر بن عبد العزيز، وأخلاق حملة القرآن، وأخلاق العلماء، والشريعة، والغرباء. توفي سنة (360هـ). يُنظر : الأعلام (97/6).

(2) هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية. من أهل طبرستان. استوطن بغداد. وخرج في آخر أيامه إلى الدينور فمات بها. له : شرح السنة، وأسماء رجال الصحيحين، توفي سنة (418هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (419/17-420)، الوافي بالوفيات (154/27)، الأعلام (71/8).

(3) علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل، وتوفي بها سنة (360هـ). من تصانيفه : الكامل، مرتب على السنين، بلغ فيه عام (629هـ)، أكثر من جاء بعده من المؤرخين عيال على كتابه هذا، وأسد الغابة في معرفة الصحابة. يُنظر : سير أعلام النبلاء (354/22-356)، الأعلام (331/4).

(4) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المقدسي الأصل، الصالحي الحنبلي، أبو عبد الله، ضياء الدين، عالم بالحديث، مؤرخ. من أهل دمشق، مولداً ووفاة. من كتبه : الأحكام، ومناقب أصحاب الحديث، والأحاديث المختارة، توفي سنة (643هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء 126/23-131)، الأعلام (255/6).

(5) أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي، أبو الحسن، بحشل، محدث (واسط) في عصره. وكان من الحفاظ الثقات. له : تاريخ واسط، توفي سنة (292هـ). يُنظر : الوافي بالوفيات (33/9)، الأعلام (305/1).

(6) الحسن بن عمارة البجلي مولاهم، أبو محمد الكوفي، قاضي بغداد، متروك. يُنظر : التقريب (1264).

(7) المنهال بن عمرو الأسدي مولاهم الكوفي، صدوق ربما وهم من الخامسة. يُنظر : التقريب (6918).

والحسن بن عمارة متروك، ولكن تابعه محمد البكري عند ابن قدامة[1] في منهاج القاصدين (106) والعشاري[2] في فضائل الصديق (33) مختصراً.

وأخرجه أبو نعيم رحمه الله[3] في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم (184 – 187) من طريق أبي الربيع الزهراني، حدثنا حسين بن محمد الحنفي، حدثنا يحيى أبو سليمان الحنفي، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن سويد بن غفلة قال : «مررت بنفر من الشيعة وهم يقولون : أبا بكر وعمر... وينتقصونهما... إلخ».

وأخرج أصلها ابن شاهين رحمه الله[4] في شرح مذاهب أهل السنة (198) فالأثر ثابت.

ج- وقال ابن عساكر رحمه الله في تاريخ دمشق: أخبرنا أبو البركات الأنماطي، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسن وأبو الفضل أحمد بن الحسن، قالا : أخبرنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله، أخبرنا أبو علي الصواف، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا محمد بن العلاء، أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن مجالد، عن الشعبي[5] قال : «أول من كذب عبد الله بن سبأ»[6].

---

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة ابن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي موفق الدين، أبو محمد الفقيه الحنبلي، ولد سنة (541هـ)، وتوفي سنة (260هـ)، من تصانيفه : لمعة الاعتقاد، وذم الوسواس، والمغني، وتحريم النظر في كتب أهل الكلام، وروضة الناظر وجنة المناظر، والكافي في الفروع. يُنظر : الأعلام (67/4).

(2) محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب الحربي، ابن العشاري، فقيه حنبلي من علماء الزهاد، من أهل الحربية (في غربي بغداد) والعشاري لقب لجده وكان طويلاً. صنف صاحب الترجمة فضائل أبي بكر الصديق. يُنظر : الأعلام (276/6).

(3) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ومعرفة الصحابة، وطبقات المحدثين والرواة، ودلائل النبوة، وذكر أخبار أصبهان، توفي سنة (430هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (453/17-464)، والأعلام (157/1).

(4) عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين، أبو حفص، واعظ علامة، ولد سنة (297هـ)، من أهل بغداد، كان من حفاظ الحديث. له : كتاب السنة، والتفسير، وتاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم، ومعجم الشيوخ، والترغيب في فضائل الأعمال. توفي سنة (385هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (601/17)، الأعلام (40/5).

(5) عامر بن شراحيل، الشعبي الحميري، أبو عمرو (19-103هـ) من التابعين، وأحد أئمة السلف، يضرب المثل بحفظه، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه. يُنظر : تقريب التهذيب (287/1)، الأعلام (251/3).

(6) تاريخ دمشق (331/9).

هذا الأثر رجاله ثقات، خلا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، فقد وثق وفيه كلام، أحسن أحواله أن يكون حسن الحديث، ومجالد هو ابن سعيد، قال فيه الحافظ في التقريب : ليس بالقوي[1].

د- قال محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني[2] رحمه الله في كتابه الإيمان : رقم (80) حدثنا إبراهيم بن عيينة، قال : حدثنا عبد الواحد بن أيمن، قال : «كان الحسن بن محمد الحنفية يأمر أن أقرأ هذا الكتاب على الناس : أما بعد : - فذكر وصية طويلة - قال في أواخرها : ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا، أن يقولوا : هدينا بوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي، يزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن، ولو كان نبي الله كاتماً شيئاً مما أنزل الله لكتم شأن امرأة زيد : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب : 37] وقوله : ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم : 1] وقوله : ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ [الإسراء : 74]».

رجال السند : إبراهيم بن عيينة قال فيه ابن حجر في التقريب : صدوق يهم[3]، وقال الذهبي رحمه الله في الميزان : حديثه صالح[4] هذا حاصل ما رجحاه في ترجمته.

عبد الواحد بن أيمن وثقه أبو حاتم وابن معين واعتمد توثيقه الذهبي، وقال الحافظ : لا بأس به، وهو من رجال البخاري ومسلم[5].

فالحاصل : أن الأثر حسن، وهذه الوصية مشهورة، فقد أشار إليها الحافظ رحمه الله في التهذيب، والإمام محمد بن سعد رحمه الله في الطبقات[6]. وكذا غيرهما.

ونكتفي بهذه الآثار، وهناك غيرها من الآثار أعرضنا عن إيرادها؛ لأن المراد الإشارة إلى بطلان ادعاء العسكري ومن على شاكلته، من أنه لم ينقل أمر ابن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر، وقد حصل المراد بما أوردنا.

---

(1) تقريب التهذيب (520/1).

(2) محمد بن يحيى بن أبى عمر، أبو عبد الله العدني الدراوردي، ويقال له : ابن أبى عمر، عالم بالحديث، كان قاضي (عدن) وجاور بمكة. وحدث عن فضيل بن عياض وطبقته، وسمع منه مسلم بن الحجاج والترمذي : له : المسند في الحديث. توفي سنة (243هـ). يُنظر : الأعلام (135/7).

(3) تقريب التهذيب (92/1).

(4) ميزان الاعتدال (175/1).

(5) تهذيب الكمال (446/18).

(6) يُنظر : طبقات ابن سعد (328/5).

ثالثاً : أن أعشى همدان[1] الشاعر الذي توفي سنة (83هـ) قد أشار لابن سبأ، فعندما هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي[2] وأنصاره من أهل الكوفة، بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة قال :

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وأني بكم يا شرطة الكفر عارف[3]

رابعاً : أن الجاحظ[4] المتوفى (255هـ) قد ذكره كما في البيان والتبيين[5].

خامساً : أن ابن حبيب[6] المتوفى (245هـ) أثبت وجوده، وذلك حين اعتبره ابن إحدى الحبشيات، كما في كتابه المحبر[7].

وإنما الذي دعا بعض الإمامية الإثني عشرية والكتاب إلى إنكار شخصية ابن سبأ، هو أنه يهودي خبيث ماكر، أطبق السلف والخلف على ذمه، وهو أول من وضع بذرة الرفض وأصوله العامة، ولذا نجد بعض الشيعة الإثني عشرية مثل : القمي[8]

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ابن نظام ابن جشم الهمداني، شاعر اليمانيين بالكوفة، وفارسهم في عصره. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به. وكان من الغزاة في أيام الحجاج، ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه، ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه. يُنظر : الأعلام (312/3).

(2) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق. كان أبوه من أجلة الصحابة، ولد المختار عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رواية، وأخباره غير مرضية، حكاها عنه ثقات مثل : سويد بن غفلة، والشعبي وغيرهما، وذلك مذ طلب الإمارة إلى أن قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة سبع وسبعين، وكان قبل ذلك معدوداً في أهل الفضل والخير، يرائي بذلك كله، فظهر ما كان يضمر، والله أعلم. يُنظر : الأعلام (192/7).

(3) ديوان أعشى همدان (ص : 148).

(4) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان (163-255هـ)، الشهير بالجاحظ : كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. له تصانيف كثيرة، منها : الحيوان، والبيان والتبيين، وسحر البيان، والبخلاء، والمحاسن والأضداد. ينظر : الأعلام (74/5).

(5) يُنظر : البيان والتبيين (81/3).

(6) محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، من موالي بني العباس، علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. مولده ببغداد ووفاته بسامراء. له كتب منها : كتاب المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، ومختلف القبائل ومؤتلفها، والمحبر، وشرح ديوان الفرزدق. يُنظر : الأعلام (78/6).

(7) يُنظر : المحبر (ص : 308).

(8) يُنظر : المقالات والفرق (ص : 15).

والنوبختي[1] ومحمد حسين آل كاشف الغطا[2][3] وغيرهم، يزعمون أن التشيع بدأ في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ليخفوا البداية الحقيقية لهم، والأصول الأجنبية لمذهبهم.

وقولهم هذا ظاهر البطلان ؛ فلم تكن للأفكار الرافضية أي ذكر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أو قبل وجود ابن سبأ، والمصادر الشرعية والتاريخية أكبر شاهد على ذلك.

جماع القول في النشأة :

جماع القول في النشأة : أن الآراء التي نطق بها ابن سبأ في علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه وبعده هي الطلائع التي يرتكز عليها الفكر الشيعي الآن، وهي التي يدافع عنها علماء الشيعة الإثني عشرية، ويؤولون لها آيات القرآن الحكيم، وما شاءوا من السنة المطهرة.

من أجل ذلك قرر جمهور العلماء : أن الفكر الشيعي هو بمثابة تقليد للفكر اليهودي، وأن عبد الله بن سبأ هو واضع بذور التشيع في البيئة الإسلامية، وهذا هو الحق الذي عناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله : «إن أصل مذهب الشيعة من إحداث المنافقين الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار، ونفاهم إلى البلدان... وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود ؛ قالت اليهود : لا يصلح الملك إلا في آل داود. وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي - ثم ساق أوجه المشابهة بين الرافضة واليهود -»[4].

فالحاصل : أنه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه انبثقت روائح التشيع السياسية، ثم وضعت في الخفاء بذوره العقائدية، وفي عهد علي رضي الله عنه نمت هذه البذور وعلت قليلاً، ومع مرور الزمن وتتابع الأحداث اشتد عودها، وطالت فروعها، وخرجت الثمار من أكمامها، خاصة بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، حيث تفاعل

---

(1) يُنظر : فرق الشيعة (ص : 17).

(2) محمد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء (1294-1373هـ) من علماء الإمامية. صنف كتباً كثيرة، منها : الآيات البينات، وأصل الشيعة وأصولها، وعين الميزان. ينظر : الأعلام (6/106-107).

(3) يُنظر : أصل الشيعة (ص : 43).

(4) منهاج السنة (1/23-24).

الجانب الديني والعقائدي مع الجانب السياسي، فتمخض هذا التفاعل عن فكر مذهبي متكامل، عرف بعد ذلك بالفكر الشيعي ولم يكن لهذا الفكر أصالة إسلامية لا في نشأته التي بدأت في عهد عثمان رضي الله عنه، ولا في وقت تكامله؛ لأنه جمع من فوق موائد مختلفة يهودية وفارسية وغيرهما، ومن ثم قيل : إن هذا الفكر تقليدي ودخيل؛ لأن أربابه الذين شرعوا في نشأته، ووضعوا بذوره قصدوا منذ البداية النيل من الإسلام وتشويه عقائده[1].

- المبحث الثاني : أهم عقائدهم التي خالفوا بها أهل السنة والجماعة :

هناك كثير من العقائد التي خالفت بها الشيعة الإمامية الإثنا عشرية الإسلام وأهله، ونحوا بأتباعهم منحى بعيداً عن جادة الحق والصواب، وفي هذا المبحث سنورد أهم عقائدهم المخالفة للإسلام وأهله؛ ليرى المنصف مدى بعد هذه الطائفة عن منهاج النبوة، وسنورد عقائدهم في النقاط التالية :

أولاً : عقيدة تحريف القرآن :

الشيعة الإمامية الإثنا عشرية يقولون بتحريف القرآن الكريم، ويعتقدون أن القرآن الكامل هو عند الإمام المهدي المنتظر، وأنه سيظهره عند ظهوره.

وقد تظافرت الروايات المنسوبة إلى أئمتهم في كتبهم في إثبات هذا القول وتقريره، ولهجت ألسنة علمائهم بتوضيحه وتحريره، ونقل بعض علمائهم إجماع طائفتهم عليه، وبلغ الأمر بهم في تقرير وإثبات هذا القول أن ألف أحد شيوخهم وعلمائهم وهو النوري الطبرسي[2] - من كبار علماء النجف[3] - كتاباً في أواخر القرن الثالث عشر الهجري أسماه: فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، سرد فيه أكثر من ألفي رواية عن أئمته دالة على هذا القول - أي : تحريف القرآن.

---

(1) يُنظر : قضية التأويل بين الشيعة وأهل السنة عرض وتقويم (ص : 61، 62).

(2) حسين بن محمد تقي النوري المازندراني الطبرسي، فقيه إمامي. ولد في قرية (يالو) من قرى نور (إحدى كور طبرستان)، توفي سنة (1320هـ) في الغري (بالكوفة)، من كتبه : نفس الرحمن في فضائل سلمان، ومستدرك الوسائل، وفصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، والفيض القدسي في أحوال المجلسي. يُنظر : الأعلام (258/2).

(3) مدينة تقع شمالي الكوفة وشرق نهر الفرات وجنوبي كربلاء. يُنظر : معجم البلدان (271/5).

وقد ذكر هذه المسألة الإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسيره التحرير والتنوير، لذا سنورد الكلام بالتفصيل عنها عند الكلام عن موقف الطاهر بن عاشور من الشيعة في تفسيره[1].

وللشيعة الإثنِي عشرية عقائد أخرى في كتاب الله سبحانه وتعالى، منها : أن القرآن ليس بحجة إلا بقيِّم :

ففي الكافي للكليني أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «القرآن لا يكون حجة إلا بقيم... ثم قال : فأشهد أن علياً عليه السلام كان حجة القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

ومن عقائدهم فيه : أن علم القرآن ومعرفته محصور بالأئمة :

فقد ورد في الكافي للكليني وغيره أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله فسره لرجل واحد وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب»[3].

ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك)[4].

ومن عقائدهم فيه أيضاً : أن له - أي : القرآن - ظاهراً وباطناً، وأن معانيه الباطنة تخالف معانيه الظاهرة، ولهذا تراهم ينزلون جل ما في القرآن الكريم من أخبار وأحداث على أئمتهم الإثني عشر وعلى أعدائهم، محتجين بأن هذه المعاني هي المعاني الباطنة المرادة :

وقد ذكر هذه المسألة أيضاً الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، لذا سنورد الكلام بالتفصيل عنها عند التعليق على كلامه عليها، وسنذكر أمثلة من تأويلاتهم الباطنية لكتاب الله سبحانه، مما لا يقبله عقل، ولا يسنده نقل[5].

---

(1) يُنظر : (ص : 170-190) من هذا البحث.

(2) الكافي (188/1)، ويُنظر : علل الشرائع (ص : 192)، ووسائل الشيعة (141/18).

(3) الكافي (25/1)، ويُنظر : بحار الأنوار (72/25).

(4) يُنظر : بحار الأنوار (94/38)، والفصول المهمة في أصول الأئمة (596/1).

(5) يُنظر : (ص : 321-330) من هذا البحث.

ثانياً : عقيدة الإمامة :

أهم عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية هي عقيدة الإمامة، فهي الأصل الذي تدور عليه أحاديثهم، وترجع إليه عقائدهم، ويُلمس أثره في فقههم وأصولهم، وتفاسيرهم وسائر علومهم.

وهي أن الله سبحانه وتعالى عهد بالخلافة وولاية أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم لأحد عشر إماماً من بعده كلهم من نسله.

ويعتقدون كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على ذلك في عدة مواطن، وأنه نصب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم غدير خم، كما أنه صلى الله عليه وسلم بين أن الأئمة من بعده اثنا عشر، ونص عليهم جميعاً بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده، وهم :

1- أبو الحسن علي بن أبي طالب[1].

2- أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب[2].

3- أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب[3].

4- أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[4].

5- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[5].

---

(1) تقدمت ترجمته يُنظر : (ص : **خطأ ! الإشارة المرجعية غير معرّفة**). من هذا البحث.

(2) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات شهيداً بالسم سنة تسع وأربعين وهو ابن سبع وأربعين، وقيل : بل مات سنة خمسين، وقيل بعدها. يُنظر : التقريب (1260).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، زين العابدين، ثقة ثبت عابد فقيه، فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه. من الثالثة، مات سنة ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك. يُنظر : التقريب (4715).

(5) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، ثقة فاضل، من الرابعة، مات سنة مائة وبضع عشرة. يُنظر : التقريب (6151).

6- أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1].

7- أبو إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2].

8- أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3].

9- أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[4].

10- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[5].

11- أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[6].

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أبو الحسن: سابع الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم، ومن أعبد أهل زمانه، وأحد كبار العلماء الأجواد. ولد في الأبواء، وسكن المدينة، توفى في بغداد (183هـ). يُنظر : الأعلام (321/7).

(3) تقدمت ترجمته.

(4) أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، المعروف بالجواد، أحد الأئمة الاثني عشر أيضاً، كان رفيع القدر كأسلافه، ذكياً، طلق اللسان، قوي البديهة. ولد في المدينة سنة (195هـ) وانتقل مع أبيه إلى بغداد. وتوفي والده فكفله المأمون العباسي ورباه، وزوجه ابنته (أم الفضل) وقدم المدينة ثم عاد إلى بغداد فتوفي بها سنة (220هـ). يُنظر : وفيات الأعيان (175/4)، الأعلام (270/6-271).

(5) علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن العسكري (214-254هـ)، عاشر الأئمة الإثني عشر عند الشيعة الرافضة، استقدمه المتوكل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بغداد ثم إلى سامراء فقدمها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر إلى أن توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله. يُنظر : تاريخ بغداد (56/12-57)، الأعلام للزركلي (323/4).

(6) أبو محمد الحسن بن علي العسكري، الإمام الحادي عشر عند الإمامية، ولد في المدينة سنة (232هـ)، وانتقل مع أبيه (الهادي) إلى سامراء في العراق وكان اسمها مدينة العسكر، فقيل له : العسكري كأبيه نسبة إليها. وتوفي بسامراء سنة (260هـ). يُنظر : وفيات الأعيان (94/2)، الأعلام للزركلي (200/2).

12- أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1].

ولهذه العقيدة عندهم شروط وأحكام وتفصيلات عديدة، ليس هذا موضع إيرادها، فالذي نريد أن نبينه هنا هو مفهوم هذه العقيدة، ومنزلتها في دينهم، ولذلك سنورد الآثار التي نسبوها إلى أئمتهم وأقوال علمائهم في ذلك، فنقول :

يقول ابن بابويه القمي مبيناً مفهوم الإمامة عندهم، واعتقادهم لهذا المفهوم : «يعتقدون[2] بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله تعالى»[3].

وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي «باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد»[4]، و«باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا»[5].

ويبين شيخهم كاشف الغطاء أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة : «إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، كما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي لطف من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بها»[6].

ولذلك قال شيخهم المجلسي[7] : «إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال».

---

(1) محمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخلف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي إلى الآن. وهو موهوم معدوم. يُنظر : سير أعلام النبلاء 13/119-120)، وفيات الأعيان (4/176).

(2) أي : الإمامية.

(3) عقائد الصدوق (ص : 106).

(4) الكافي (1/227).

(5) المرجع السابق (1/286).

(6) أصل الشيعة وأصولها (ص : 58).

(7) محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، من علماء الشيعة الرافضة، ولي مشيخة الإسلام في أصفهان، وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث. من تصانيفه : بحار الأنوار، كتاب العقل والعلم والجهل، كتاب التوحيد، مرآة العقول. توفي سنة (1111هـ). يُنظر : الأعلام (6/48).

ثم قال : «ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة»[1].

وهم يعتبرون هذه العقيدة سبب إيجاد العالم ونشأته وخلقه، وأنها أفضل الأعمال وأهمها، وفي ذلك يقول هاشم البحراني[2] : «فبحسب الأخبار الواردة في أن الولاية أصل الإيمان مع توحيد الله عز وجل بحيث لا يصح الدين إلا بذلك كله، بل إنها سبب إيجاد العالم وبناء حكم التكليف وشرط قبول الأعمال، والخروج عن حد الكفر والشرك، وإنها التي عرضت كالتوحيد على الخلق جميعاً، وأخذ عليها الميثاق، وبعث لها الأنبياء، وأنزلت فيها الكتب، وكلف بها جميع الأمم ولو ضمنا، وأن نسبة النبوة في الإمامة كنسبتها إلى التوحيد في تلازم الإقرار بها، وبقريبتها بحيث أن الكفر بكل في حكم الكفر بالآخر، ولا يفيد الإيمان ببعض دون بعض»[3].

ويقول أيضاً : «وفي تفسير الإمام عليه السلام أنه قال : إن ولاية محمد، وآل محمد صلوات الله عليهم هي الفرض الأقصى، والمراد الأفضل، ما خلق الله أحداً من خلقه، ولا بعث أحداً من رسله؛ إلا ليدعوهم إلى ولاية محمد وعلي وخلفائه، ويأخذ عليهم العهد ليقيموا عليه وليعلموا به سائر عوام الأمم»[4].

ويقول المجلسي : «ولا ريب في أن الولاية، والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام، والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال، والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية ؛ لأنها مفتاحهن»[5].

ويقول الشيخ المظفر : «نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها»[6].

---

(1) بحار الأنوار (82/26).

(2) هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني الكتكاني التوبلي، من مفسري الشيعة الإمامية. نسبته إلى توبلي وكتكان من قرى البحرين. وشهرته البحراني، من تصانيفه : البرهان في تفسير القرآن، والدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد، وسلاسل الحديد منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، توفي سنة (1107هـ)، ينظر : الأعلام (66/8).

(3) مقدمة البرهان (ص 19).

(4) المرجع السابق (ص 24).

(5) مرآة العقول (102/7).

(6) عقائد الإمامية (ص : 49).

وفي ذلك لهم روايات مفتراة منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمتهم الإثني عشر، ومن ذلك :

ما نسبوه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله وسمعته يقول : (يا علي ! ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً)[1].

وما رواه شيخهم الصفار عن أبي الحسن رحمه الله أنه قال : «ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمد وولاية وصيه علي عليه السلام»[2].

وما رواه أيضاً عن أبي جعفر الباقر رحمه الله في قول الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه : 115] أنه قال : «عهد إليه في محمد، والأئمة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنهم هكذا، وإنما سمي أولو العزم؛ لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم أن ذلك كذلك والإقرار به»[3].

وروى الكليني[4] عنه رحمه الله أنه قال : «بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه»[5] يعني الولاية.

وفي رواية أخرى : «قلت - أي الراوي - : وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال : الولاية أفضل»[6].

(1) بصائر الدرجات الكبرى (ص 92-93).

(2) المرجع السابق (ص 92-93).

(3) المرجع السابق (ص : 90)، ويُنظر : الكافي (416/1)، وعلل الشرائع (122/1).

(4) محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، من كبار محدثي الإمامية، من أهل كلين (بالري) كان شيخ الشيعة ببغداد، وتوفى فيها سنة (329هـ). من كتبه : الكافي في علم الدين. يُنظر : الأعلام (145/7).

(5) الكافي (18/2).

(6) المرجع السابق (18/2).

حتى قالوا في أخبارهم – أيضًا – بأنه : «عرج بالنبي صلى الله عليه وآله السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوصى الله عز وجل فيها إلى النبي بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض»[1].

وقال هادي الطهراني[2] : «إن أعظم ما بعث الله تعالى نبيه من الدين إنما هو أمر الإمامة»[3].

يقول البحراني : «إن الوصية بالولاية، والأمر بتعيين علي عليه السلام للإمامة والخلافة كان بالمشافهة من دون سائر الفرائض، وأنه عمدة ما خاطب الله به نبيه في مقام قاب قوسين أو أدنى، وقد صرح الصادق بذلك حيث قال كما في الكافي بعد أن ذكر حكاية المعراج وتوصية الله بالولاية : [والله ما جاءت ولاية علي من الأرض ؛ ولكن جاءت من السماء مشافهة].

ولا يخفى أن هذا أدل دليل على كمال الاهتمام بشأن هذا الأمر ومزيد القصد إلى بيانه»[4].

ويبلغ غلوهم في الإمامة إلى أن يعتبروها درجة أعلى من درجة النبوة والرسالة :

قال شيخهم نعمة الله الجزائري : «الإمامة العامة التي هي فوق درجة النبوة والرسالة..»[5].

وقال هادي الطهراني : «الإمامة أجل من النبوة، فإنها مرتبة ثالثة شرف الله تعالى بها إبراهيم بعد النبوة والخلة..»[6].

---

(1) بحار الأنوار (69/23)، الخصال (ص 600-601).

(2) محمد هادي بن محمد أمين الطهراني (1253-1321هـ)، نزيل النجف، من علماء الإمامية. ولد ونشأ بطهران وانتقل إلى أصفهان، ثم استقر في النجف إلى أن توفي. من كتبه : محجة العلماء في الأدلة العقلية، وودائع النبوة. ينظر : الأعلام (127/7).

(3) ودايع النبوة (ص 115).

(4) مقدمة تفسير البرهان (ص : 26).

(5) زهر الربيع (ص 12).

(6) ودايع النبوة (ص 114).

ثالثاً : التقية :

قبل أن نخوض في مسألة التقية لا بد لنا من معرفة ماهيتها وحقيقتها عند القوم، حتى يتسنى للمسلم معرفة الموقف الشرعي منها ؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

تعريف التقية :

لغة :

قال الفيروزآبادي : «اتقيت الشيء، وتقيته أتقيه، وأتقيه تقيا، وتقيةً وتقاءً ككساء : حذرته»[1].

وقال المُطَرِّزيُّ : «(التَّقيَّة) : اسم من (الاتّقاء)، وتاؤها بدل من الواو ؛ لأنها فَعيلة من (وَقَيْتُ)، وهي أن يقيَ نفسَه من اللائمة أو من العقوبة بما يُظهِر، وإن كان على خلاف ما يضمر»[2].

اصطلاحاً :

يعرف المفيد التقية عندهم قائلاً : «التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا»[3].

وقال الشهرستاني في تعليقه على أوائل المقالات للمفيد : «التقية إخفاء أمر ديني لخوف الضرر من إظهاره»[4].

وعرفها الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله : «التقية : الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير»[5].

(1) القاموس المحيط (ص : 1731) باب الواو والياء فصل الواو.
(2) المغرب في ترتيب المعرب (367/2) باب الواو مع القاف.
(3) شرح عقائد الصدوق (ص : 261).
(4) أوائل المقالات (ص : 96).
(5) فتح الباري (314/12).

مكانة التقية عند الشيعة الإثني عشرية وحكمها :

التقية عند الشيعة الاثني عشرية هي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، ومما يدل على ذلك المنقولات التالية :

قال ابن بابويه القمي في اعتقاداته : «اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة»[1].

وجاء في مستدرك الوسائل : عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «لو قلت : إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا...»[2].

بل نسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تارك التقية كتارك الصلاة)[3]، ثم زادوا في درجة التقية فجعلوها «تسعة أعشار الدين»، ثم لم يكفهم ذلك فجعلوها هي الدين كله، فلا دين عندهم لمن لا تقية له.

فقد جاء في أصول الكافي وغيره : أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له»[4].

وعدوا ترك التقية ذنبًا لا يغفر على حد الشرك بالله سبحانه وتعالى.

فقالت أخبارهم : «يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين : ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان»[5].

ورووا عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»[6].

---

(1) الاعتقادات (ص 114).
(2) مستدرك الوسائل (274/12)، ومن لا يحضره الفقيه (80/2)، ووسائل الشيعة (94/7)، وبحار الأنوار (414-412/75).
(3) جامع الأخبار (ص : 110)، وبحار الأنوار (75-412).
(4) الكافي (217/2)، المحاسن (ص : 259)، ووسائل الشيعة (460/11)، وبحار الأنوار (423/75).
(5) تفسير الحسن العسكري (ص : 130)، وسائل الشيعة (474/11)، بحار الأنوار (415/75).
(6) الكافي (222/1).

وقال : «.. أبى الله عز وجل لنا ولكم في دينه إلا التقية»[1].

والتقية عندهم حالة مستمرة، وسلوك جماعي دائم، لا يمكن التخلي عنها إلا بالتخلي عن الإسلام !

قال ابن بابويه في كتابه «الاعتقادات» المسمى دين الإمامية : «والتقية واجبة، لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة»[2].

وروت كتب الشيعة الإثني عشرية عن علي بن موسى الرضا رحمه الله أنه قال : «لا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية. فقيل له : يا ابن رسول الله ! إلى متى ؟ قال : إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا»[3].

ويؤكدون على أن تكون عِشْرة الشيعةِ الإثني عشرية مع أهل السنة بالتقية، ومما يدل على ذلك ما يلي :

ترجم الحر العاملي في وسائل الشيعة لِبابٍ من الأبواب بقوله : «باب وجوب عشرة العامة[4] بالتقية»[5].

ونسبوا لأبي عبد الله أنه قال : «من صلى معهم - أي : أهل السنة- في الصف الأول فكأنما صلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في الصف الأول»[6].

وقال : «من صلى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة»[7].

وقال صاحب كشف الغطاء : «التقية إذا وجبت فمتى أتي بالعبادة على خلافها بطلت، وقد ورد فيها الحث العظيم، وأنها من دين آل محمد، ومن لا تقية له لا إيمان له»[8].

---

(1) المرجع السابق (218/2).
(2) الاعتقادات (ص : 114-115).
(3) إكمال الدين (ص : 355)، وسائل الشيعة (465/11-466).
(4) أي : أهل السنة والجماعة. ينظر : معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص : 76).
(5) وسائل الشيعة (470/11).
(6) بحار الأنوار (421/75).
(7) جامع الأخبار (ص : 110)، بحار الأنوار (412/75).
(8) كشف الغطاء (ص : 61).

بل إن التقية عندهم تجري حتى وإن لم يوجد ما يبررها، فأخبارهم تحث الشيعي على استعمال التقية حتى مع من يأمن جانبه، لكي تصبح له سجية وطبيعة، فيمكنه التعامل بها حينئذ مع من يحذره ويخافه بدون تكلف ولا تصنع.

فقد روت كتبهم : «عليكم بالتقية، فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه ؛ لتكون سجيته مع من يحذره»[1].

بل هي عندهم أحب العبادات إلى الله تعالى.

فقد روى الكليني :.. عن هشام الكندي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : «والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، فقلت : ما الخبء ؟ قال : التقية»[2].

وجاء في الكافي وغيره :.. عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله – رضي الله عنه – قال : «كان أبي – عليه السلام – يقول : وأي شيء أقر لعيني من التقية»[3]، وفي رواية : «ما خلق الله شيئًا أقر لعين أبيك من التقية»[4].

رابعاً : عقيدة الرجعة :

الرجعة : هي الرجوع إلى الحياة الدنيا بعد الموت كما صرح بذلك علماء اللغة[5].

أما معنى الرجعة عند الإمامية الإثني عشرية فسنأخذه من أفواههم ؛ لأنهم أصحابها المعتقدين لها، والداعين إليها.

يقول محدث الإمامية الإثني عشرية محمد بن الحسن الحر العاملي في كتابه الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة : «اعلم أن الرجعة هي الحياة بعد الموت قبل القيامة، وهو الذي يتبادر من معناها، وصرح به العلماء هنا كما يأتي، ويفهم من مواقع استعمالها، ووقع التصريح به في أحاديثها»[6].

---

(1) أمالي الطوسي (199/1)، وسائل الشيعة (466/11)، بحار الأنوار (395/75).
(2) الكافي (219/2)، ويُنظر : معاني الأخبار (ص : 162)، وسائل الشيعة (462/11).
(3) المرجع السابق (220/2).
(4) الخصال (ص : 22)، جامع الأخبار (ص : 110)، وسائل الشيعة (11/460-464)، بحار الأنوار (394/75).
(5) يُنظر : المصباح المنير (220/1) كتاب الراء مادة «رَجَع»، والقاموس المحيط (ص : 930) باب العين فصل الراء.
(6) يُنظر : الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة (ص : 19).

وقال الشيخ الأحسائي في كتاب الرجعة : «اعلم أن الرجعة سر من سر الله، والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب، والمراد بها : رجوع الأئمة - عليهم السلام - وشيعتهم وأعدائهم ممن محض من الفريقين الإيمان أو الكفر محضاً، ولم يكن ممن أهلكه الله في الدنيا بالعذاب، فإن من أهلكه الله في الدنيا بالعذاب لا يرجع إلى الدنيا»[1].

وقال آية الله السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني في معنى الرجعة : «الرجعة : عبارة عن حشر قوم عند قيام القائم الحجة بن الحسن - عليه السلام - ممن تقدم موتهم، من أوليائه وشيعته ؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، وقوم من أعدائه ينتقم منهم، وينالون بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته، ويبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدونه من علو كلمته، وهي عندنا - الإمامية الإثنا عشرية - تختص بمن محض الإيمان ومحض الكفر، والباقون مسكوت عنهم»[2].

وقال شيخهم محمد رضا المظفر : «عقيدتنا في الرجعة : أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقاً ويذل فريقاً آخر، ويديل المحقين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد - عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام - ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان، أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت»[3].

إجماع الشيعة الإثني عشرية على القول بالرجعة :

الشيعة الإثنا عشرية جميعهم يقولون بالرجعة، وقد نقل غير واحد من علمائهم المشهورين إجماعهم على القول بها.

قال ابن بابويه القمي في كتابه الاعتقادات : «اعتقادنا[4] في الرجعة أنها حق، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة : 243]»[5].

---

(1) يُنظر : الرجعة (ص : 11).
(2) عقائد الإمامية الإثني عشرية (2/228).
(3) عقائد الإمامية (ص : 118)
(4) يعني : الإمامية.
(5) الاعتقادات (ص : 60).

وقد علق محمد بن الحسن الحر العاملي على كلام ابن بابويه القمي هذا بقوله : «وقد صرح في أول الكتاب بأن ما فيه اعتقاد الإمامية، وذكره في أول باب وأحال الباقي عليه، وهذا يدل على الإجماع من جميع الشيعة»[1].

وقال المفيد في كتابه : أوائل المقالات، تحت عنوان : القول في الرجعة : «وقد جاء القرآن بصحة ذلك، وتظاهرت به الأخبار، والإمامية بأجمعها عليه إلا الشذاذ منهم»[2].

وقد نقل أيضاً إجماع الإمامية الإثني عشرية على القول بالرجعة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي في كتابه الإيقاظ من الهجعة، والذي استدل فيه باثني عشر دليلاً على صحتها.

فقال : «والدليل الرابع : إجماع جميع الشيعة الإمامية وإطباق الطائفة الإثني عشرية على اعتقاد صحة الرجعة، فلا يظهر منهم مخالف يعتد به من العلماء السابقين ولا اللاحقين»[3].

ثم ذكر بعض من صرحوا بثبوت الإجماع من علماء الإمامية الإثني عشرية.

فقال : «وقد نقله الشيخ الجليل أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي[4]، في كتاب : مجمع البيان في تفسير القرآن... وممن نقل الإجماع الشيخ حسن بن سليمان بن خالد القمي، في رسالة له في الرجعة، قال فيها ما هذا لفظه: الرجعة مما أجمع عليه علماؤنا، بل وجميع الإمامية، وقد نقل الإجماع منهم على هذه المسألة الشيخ المفيد والسيد المرتضى وغيرهما.

وقال صاحب الصراط المستقيم كلاماً طويلاً في الرجعة ظاهره نقل الإجماع أيضاً»[5].

---

(1) الإيقاظ من الهجعة (ص : 42).
(2) أوائل المقالات (ص : 89).
(3) الإيقاظ من الهجعة (ص : 33-34).
(4) الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي : مفسر محقق لغوي، من علماء الشيعة الرافضة، من تصانيفه : مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان، إعلام الورى بأعلام الهدى، توفي في سبزوار (548هـ). يُنظر : الأعلام (5/148).
(5) الإيقاظ من الهجعة (ص : 34-43).

وقال محمد باقر المجلسي في كتابه الأربعين - بعد أن ذكر الرجعة وما جاء فيها من الروايات - : «اعلم أيها الطالب للحق واليقين ! أني لا أظنك ترتاب في أصل الرجعة بعدما رويت لك من الأخبار المعتبرة المأخوذة من تأليفات ثقات علمائنا الأخيار، المنتهية إلى الأئمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفار، مع إجماع الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهارها بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أسفارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشنع المخالفون عليهم بذلك في زبرهم وأسفارهم، وكيف يشك مؤمن بعصمة أئمته - عليهم السلام - في أمر روي عنهم في أكثرٍ من مائتي حديث صريح، أوردتها في الكتاب الكبير، ورويتها في نيف وأربعين رجلاً من العلماء الأعلام، رووها في أزيد من خمسين كتاباً من مؤلفاتهم المشهورة»[1].

وممن صرح بالإجماع من المعاصرين الشيخ محمد رضا المظفر، حيث قال: «نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظاهرت بها الأخبار عن بيت العصمة والإمامية بأجمعها عليه، إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها : رجوع الدولة والأمر والنهي»[2].

خامساً : عقيدة الطينة :

ملخص عقيدتهم هذه : هي أن الشيعي خلق من طينة خاصة، والسني خلق من طينة أخرى، فجرى المزج بين الطينتين، فما يكون في الشيعي من معاص وجرائم هو من تأثره بطينة السني، وما في السني من صلاح وأمانة هو بسبب تأثره بطينة الشيعي، فإذا كان يوم القيامة فإن سيئات وموبقات الشيعة توضع على أهل السنة، وحسنات أهل السنة تعطى للشيعة.

فقد رووا عن إسحاق القمي أن أبا جعفر الباقر رحمه الله قال له : «يا إسحاق! ليس تدرون من أين أوتيتم ؟ قلت : لا، والله جعلت فداك إلا أن تخبرني، فقال : يا إسحاق! إن الله لما كان متفرداً بالوحدانية ابتدأ الأشياء من لا شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيام مع لياليها، ثم نضب الماء عنها، فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين، وهي طينتنا أهل البيت، ثم قبض قبضة من أسفل ذلك الطين وهي طينة شيعتنا، ثم اصطفانا لنفسه، فلو أن طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما

---

(1) الأربعين (ص : 432).
(2) عقائد الإمامية (ص : 119)

زنى أحد منهم، ولا سرق ولا لاط ولا شرب المسكر، ولا اكتسب شيئاً مما ذكرت، ولكن الله أجرى الماء المالح على أرض ملعونة سبعة أيام ولياليها، ثم نضب الماء عنها، ثم قبض قبضته، وهى طينة ملعونة من حمأ مسنون، وهي طينة خبال، وهي طينة أعدائنا، فلو أن الله ترك طينتهم كما أخذها لم تروهم في خلق الآدميين، ولم يقروا بالشهادتين ولم يصوموا ولم يصلوا ولم يزكوا ولم يحجوا البيت، ولم تروا أحداً منهم بحسن خلق، ولكن الله جمع الطينتين - طينتكم وطينتهم - فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ومزجهما بالماءين، فما رأيت من أخيك من شر لفظ أو زنا أو شيء مما ذكرت - من شرب مسكر أو غيره - ليس من جوهريته، وليس من إيمانه، إنما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت.

وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق أو صوم أو صلاة أو حج بيت أو صدقة أو معروف فليس من جوهريته، إنما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها، وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت : جعلت فداك ! فإذا كان يوم القيامة فمه ؟ قال لي : يا إسحاق ! أيجمع الله الخير والشر في موضع واحد ؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله مسحة الإيمان منهم، فردها إلى شيعتنا، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردها على أعدائنا، وعاد كل شيء إلى عنصره الأول.

قلت : جعلت فداك ! تؤخذ حسناتهم فترد إلينا وتؤخذ سيئاتنا فترد إليهم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو»[1].

سادساً : عقيدتهم في المتعة :

من المعلوم أن الشريعة لم تنزل دفعة واحدة، وإنما نزل تشريعها تدريجياً، كالتدرج في افتراض الصلاة، والصيام، وتحريم الخمر، ووجوب القتال، وغيرها من الأحكام، ومن هذه الأحكام التي نزل تشريعها تدريجياً تحريم المتعة، فقد كانت جائزة في مبدأ الإسلام، ثم حرمت، وانتهى الأمر بتحريمها.

---

(1) بحار الأنوار (5/247-248)، وعلل الشرائع (ص : 490-491)، والأنوار النعمانية (1/259).

فلا يصح شرعاً للمسلم أن يتمسك بحكم هذه المسألة في مبدأ الأمر ؛ لأنه قد جاءت نصوص تخرج عنه، وإلا لما اجتنب حرام ولا فعل واجب.

لكن نجد أن الشيطان قد لبس على الشيعة الإثني عشرية، فأبوا إلا العكوف على هذا الأمر، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل جعلوه ديناً يدينون لله سبحانه به، ويتقربون إليه، ويتعبدون بفعله وإقامته، حتى جعلوه من ضروريات مذهبهم، وتبرؤوا ممن لم يؤمن به :

يقول شيخهم المجلسي : «ومما عد من ضروريات دين الإمامة استحلال المتعة»[1].

ويروون عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا، ولم يستحل متعتنا»[2].

بل نسبوا - كذبا وزوراً وبهتاناً - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار، ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار، ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار)[3].

وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان)[4].

وروى الكاشاني[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين عليه السلام، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن عليه السلام، ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن تمتع أربع فدرجته كدرجتي)[6].

---

(1) الاعتقادات (ص : 90، 91).

(2) يُنظر : من لا يحضره الفقيه (458/3)، وبحار الأنوار (92/53).

(3) منهج الصادقين (492/2).

(4) المرجع السابق (493/2).

(5) فتح الله بن شكر الله الكاشاني الشيعي، محدث، مؤرخ، فقيه، مفسر. من مؤلفاته : منهج الصادقين، زبدة التفاسير، شرح نهج البلاغة، تنبيه الغافلين وتذكرة العارفين، ملاذ الفقهاء، ومادة التاريخ. يُنظر : معجم المؤلفين (51/8).

(6) منهج الصادقين (356/1).

بل ويتطاولون على النبي صلى الله عليه وسلم ويجعلون المتعة خلة من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيروون عن بكر بن محمد أنه سأل جعفر الصادق رحمه الله عن المتعة، فقال : «إني لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقضها»[1].

وجاء في كتاب منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «المتعة من ديني ودين آبائي، فالذي يعمل بها يعمل بديننا، والذي ينكرها ينكر ديننا، بل إنه يدين بغير ديننا، وولد المتعة أفضل من ولد الزوجة الدائمة، ومنكر المتعة كافر مرتد»[2].

والمتعة عندهم جائزة ولو بزانية مشهورة بالزنا أو امرأة متزوجة، فمن الأول قول الخميني[3] : «يجوز التمتع بالزانية على كراهية، خصوصاً لو كانت من العواهر والمشهورات بالزنا، وإن فعل فليمنعها من الفجور»[4].

ومن الثاني ما نقله الطوسي في تهذيب الأحكام : عن محمد بن عبد الله الأشعري قال : قلت للرضا (ع) : «الرجل يتزوج بالمرأة فيقع في قلبه أن لها زوجاً، فقال : وما عليه؟! أرأيت لو سألها البينة كان يجد من يشهد أن ليس لها زوج ؟»[5].

ونقل الطوسي أيضاً : «أنه قيل لأبي عبد الله (ع) : إن فلاناً تزوج امرأة متعة، فقيل له : إن لها زوجا، فسألها، فقال أبو عبد الله (ع) : لم سألها ؟»[6].

ويدخل تحت هذه المسألة مسألة إعارة الفرج، ومعنى إعارة الفرج أن يعطي الرجل جاريته لصديقه أو ضيفه النازل عنده ليتمتع بها كيفما شاء، وإلى أي وقت شاء.

---

(1) من لا يحضره الفقيه (463/3)، وسائل الشيعة (12/21)، بحار الأنوار (299/100).

(2) منهج الصادقين (356/1).

(3) روح الله مصطفى أحمد الموسوي الخميني، ولد سنة (1900م) في خومين، وهي بلدة تقع جنوبي طهران، من رجالات الشيعة المعاصرين، قاد ثورة شيعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وقد قال بفكرة ولاية الفقيه. من أهم كتبه : تحرير الوسيلة، والحكومة الإسلامية، وكشف الأسرار، هلك سنة (1989م).

(4) يُنظر : تحرير الوسيلة (292/2).

(5) تهذيب الأحكام (254/7).

(6) المرجع السابق (253/7).

روى الطوسي في الاستبصار عن أبي الحسن الطارئ أنه قال : «سألت أبا جعفر (ع) عن إعارة الفرج ؟ قال : لا بأس به»[1].

وروى أيضاً عن زرارة أنه قال : «قلت لأبي جعفر (ع) : الرجل يحل جاريته لأخيه؟ قال : لا بأس به، له ما أحل له منها»[2].

وروى الطوسي في التهذيب والاستبصار والحر العاملي في وسائل الشيعة وغيرهما عن محمد بن مضارب قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : «يا محمد ! خذ هذه الجارية تخدمك، وتصيب منها، فإذا خرجت فارددها إلينا»[3].

وبعد هذا العرض السريع لأهم عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي خالفوا بها الإسلام وأهله، يرى القارئ مدى بعد هذه الفرقة عن هدي ربها، وهدي نبيها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومذاهب علماء أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من آل بيت رسول الله وغيرهم، ومدى ولوغهم في العظائم، التي يقشعر البدن من نقلها، والله المستعان.

---

(1) الاستبصار (141/3).

(2) المرجع السابق (139/3).

(3) تهذيب الأحكام (242/7)، والاستبصار (136/3)، ووسائل الشيعة (126/21).

الفصل الثالث :

موقف أئمة المالكية وعلمائهم من الشيعة



الفصل الثالث

موقف أئمة المالكية وعلمائهم من الشيعة

لقد كان علماء المالكية كغيرهم من علماء الإسلام الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق بتبيين هذا الدين للناس، فقاموا بالدور البارز في الذود عن حياض الدين.

فقد انبروا لدفع شبهات أهل الضلال والانحراف، من الإمامية الإثني عشرية وغيرهم، نصحاً للأمة وبراءة للذمة، ابتداء من إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله، إلى علمائهم في العصر الحديث، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وفي هذا الفصل سنورد بعضاً من أقوال وفتاوى علماء المالكية في الشيعة الإمامية الإثني عشرية ؛ ليعلم موقفهم من هذه الطائفة ومعتقداتها.

موقف إمام دار الهجرة من الشيعة الاثني عشرية :

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض المالكي رحمه الله : «وسأل رجل مالكًا فقال: من أهل السنة يا أبا عبد الله[1] ؟ قال : الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري»[2].

حكم الشيعة الاثني عشرية عند الإمام مالك :

أما حكم الشيعة الإثني عشرية عند الإمام مالك فهو كما يلي :

نقل القاضي عياض رحمه الله في مداركه :

---

(1) هو الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وقد تقدمت ترجمته.

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (2/41-42).

«قال مالك : أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض. قيل : النواصب؟ قال : هم الروافض، رفضوا الحق ونصبوا له العداوة والبغضاء»[1].

ومن الأسباب التي جعلت الإمام مالك رحمه الله يكفرهم تعرضهم لأم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها بالثلب والقذف.

ويدل على ذلك ما روي عنه رحمه الله أنه قال : «من سب أبا بكر وعمر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له : لم يقتل في عائشة ؟ قال : لأن الله تعالى يقول في عائشة رضي الله عنها : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : 17]. قال مالك : فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل»[2].

ومعلوم : أن الشيعة الإثني عشرية يستحلون سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقذفها، كما هو شائع ذائع في كتبهم[3].

موقف أئمة وفقهاء المالكية من الشيعة الإثني عشرية :

1- قال ابن عبد البر رحمه الله[4] في الاستذكار - بعد ذكره لحديث : (... ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة)- : «فعلى هذين القولين جماعة علماء السلف إلا الروافض، وهم لا يعدون خلافاً ؛ لشذوذهم فيما ذهبوا إليه في هذا الباب عن سبيل المؤمنين، ولا حجة لهم في قول الله تعالى : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل : 16] وقوله : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم : 6] ؛ لأن سليمان إنما ورث من داود النبوة والعلم والحكمة»[5].

---

(1) المرجع السابق (49/2).

(2) المحلى (414/11-415).

(3) يُنظر : (ص : 288-289) من هذا البحث.

(4) الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي (368-463هـ) صاحب التصانيف الفائقة، ولد بقرطبة، وولي قضاء لشبونة وشنترين، وتوفي بشاطبة، قال عنه الإمام الذهبي رحمه الله : كان إماماً ديناً ثقة متقناً علامة متبحراً صاحب سنة واتباع... ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين. له مصنفات كثيرة، منها : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. يُنظر : سير أعلام النبلاء (499/15)، الأعلام (240/8).

(5) الاستذكار (591/8).

وقال رحمه الله أيضاً عند كلامه على مسألة الطلاق بالثلاث :

«ادعى داود الإجماع في هذه المسألة، وقال : ليس الحجاج بن أرطأة ومن قال بقوله من الرافضة ممن يعترض به على الإجماع ؛ لأنه ليس من أهل الفقه»[1].

وقال رحمه الله في كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :

«وأما الروافض فليس قولهم مما يشتغل به ولا يحكى مثله، لما فيه من الطعن على السلف، والمخالفة لسبيل المؤمنين»[2].

وقال رحمه الله أيضاً :

«قيل لأبي عبد الله : فإن قال رجل : أنا أذهب إلى حديث أبي أيوب[3] : حُبب إليّ الغسل. قال : نحن لا نذهب إلى قول أبي أيوب، ولكن لو ذهب إليه ذاهب صلينا خلفه، قال : إلا أن يترك رجل المسح من أهل البدع، من الرافضة الذين لا يمسحون وما أشبهه، فهذا لا نصلي خلفه»[4].

2- وقال العلامة القرطبي[5] رحمه الله في كتابه الجامع لأحكام القرآن :

«... وقد طعن الرافضة قبحهم الله تعالى في القرآن»[6].

وقال رحمه الله أيضاً :

«قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة : 67] قيل : معناه أظهر التبليغ ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفًا من المشركين، ثم أمر بإظهاره

(1) المرجع السابق (8/6).

(2) التمهيد (161/8).

(3) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب من كبار الصحابة، شهد بدراً، ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عليه، مات غازيا الروم سنة خمسين. وقيل : بعدها. يُنظر : تقريب التهذيب (188/1).

(4) التمهيد (140/11).

(5) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي : من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط بمصر) وتوفي فيها سنة (671هـ)، من أهم كتبه : الجامع لأحكام القرآن، المشهور بتفسير القرطبي، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة. يُنظر : الأعلام (322/5)، وطبقات المفسرين للسيوطي (79/1).

(6) الجامع لأحكام القرآن (56/1).

في هذه الآية، وأعلمه الله أنه يعصمه من الناس، وكان عمر رضي الله عنه أول من أظهر إسلامه وقال : لا نعبد الله سرًا. وفي ذلك نزلت : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : 64] فدلت الآية على رد قول من قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئًا من أمر الدين تقية، وعلى بطلانه، وهم الرافضة، ودلت على أنه صلى الله عليه وسلم لم يُسرَّ إلى أحدٍ شيئًا من أمر الدين؛ لأن المعنى : بلِّغ جميع ما أنزل إليك ظاهرًا، ولولا هذا ما كان في قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة :67] فائدة»[1].

وقال رحمه الله أيضاً :

«قال ابن العربي[2] : تعلق الرافضة - لعنهم الله - بهذه الآية - أي : قوله تعالى : ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب : 33] - على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها»[3].

وقال رحمه الله أيضاً :

«وقال العوام بن حوشب[4] : أدركت صدر هذه الأمة يقولون : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم ؛ فتجسروا الناس عليهم.

وقال الشعبي رحمه الله : تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود : من خير أهل ملّتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى. وسئلت النصارى : من خير أهل ملّتكم ؟ فقالوا : أصحاب عيسى. وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا نارًا

(1) المرجع السابق (242/6).

(2) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي الأندلسي الحافظ المشهور خاتم علماء الأندلس، وآخر حفاظها، كان مقبلاً على نشر العلم وبثه، ولد سنة(468هـ)، وتوفي بالعدوة ودفن بفاس سنة (543هـ). يُنظر : وفيات الأعيان 296/4-297).

(3) الجامع لأحكام القرآن (181/14).

(4) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني، أبو عيسى الواسطي، ثقة ثبت فاضل، توفي سنة (148هـ). يُنظر : تهذيب الكمال (427/22-429)، تقريب التهذيب (433/1).

للحرب أطفأها الله بسيف دمائهم وإدحاض حجتهم. أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة»[1].

3- وقال العلامة القرافي رحمه الله[2] المالكي في كتابة الذخيرة : «... لما في الصحيح : أنه عليه السلام نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم وكبر أربع تكبيرات، ولأنها كالركعات فلا يزيد على الأربع، فلو زاد الإمام خامسة صحت الصلاة ؛ لأنها مروية في غير هذا الحديث ومختلف فيها، ومع ذلك فروى ابن القاسم عنه : لا يتّبع فيها ؛ لأنها من شعار الشيعة»[3].

وقال رحمه الله أيضاً :

«ثم الفاسق إن كان فسقه مظنوناً قبلت روايته بالاتفاق، وإن كان مقطوعاً به قبل الشافعي[4] رواية أرباب الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ؛ لتجويزهم الكذب لموافقة مذهبهم، ومنع القاضي أبو بكر من قبولها»[5].

وقال رحمه الله أيضاً عند ذكره لحكم الإجماع :

«وهو عند الكافة حجة، خلافا للنظام والشيعة والخوارج ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء : 115] وثبوت الوعيد على المخالفة يدل على وجوب المتابعة»[6].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن (30/18).

(2) أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة، وهو مصري المولد والمنشأ، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها : أنوار البروق في أنواء الفروق، والأحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام، والذخيرة. توفي ببغداد سنة (684هـ). يُنظر : الأعلام (95/1).

(3) الذخيرة (463/2).

(4) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطلبي، أبو عبد الله الشافعي المكي، أبو عبد الله، نزيل مصر، إمام عصره وفريد دهره، المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، أحد الأئمة الأربعة المتبعين، ولد في غزة (بفلسطين) سنة (150هـ)، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، قصد مصر سنة (199هـ)، فتوفي بها سنة (204هـ). من أشهر تصانيفه : الأم، المسند، أحكام القرآن، الرسالة. ينظر : تهذيب الكمال 380-355/24)، الأعلام (26/6).

(5) الذخيرة (121-120/1).

(6) المرجع السابق (114/1).

4- وجاء في التاج والإكليل لمختصر خليل للعلامة محمد بن يوسف العبدري[1] المالكي رحمه الله - نقلاً عن القاضي رحمه الله[2] - :

«وكذلك يكفر من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده، كالعيسوية[3] وكالجرمية[4]، وكأكثر الرافضة»[5].

وجاء فيه أيضاً :

«فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان بالإجماع على الجملة، ولا تكترث بقول الروافض : إنه موقوف على ظهور الإمام»[6].

5- وقال أبو الحسن المالكي رحمه الله[7] في كفاية الطالب :

«وقصد الشيخ بهذا والذي قبله الرد على المعتزلة والرافضة، الزاعمين أنه لا علم له - أي : الله سبحانه - ولا قدرة له»[8].

6- وقال الحطاب الرعيني رحمه الله[9] في مواهب الجليل :

---

(1) محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري، الغرناطي الشهير (بالْمَوَّاق) أبو عبد الله، فقيه مالكي، كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته، من أهم مصنفاته: التاج والإكليل في شرح مختصر خليل، سنن المهتدين في مقامات الدين، توفي سنة(897هـ). يُنظر : الأعلام (7/154-155)، معجم المؤلفين (12/133).

(2) هو القاضي عياض، وقد تقدمت ترجمته.

(3) أتباع أبي عيسى بن يعقوب الأصفهاني، وهم يثبتون نبوة محمد يقولون : هو رسول الله إلى العرب لا إلى العجم ولا إلى بني اسرائيل. يُنظر : الملل والنحل للشهرستاني (1/214)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص : 83).

(4) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : «الجرمية والبابكية نسبة إلى بابك الجرمي الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل». البداية والنهاية (11/62).

(5) التاج والإكليل لمختصر خليل(6/280).

(6) المرجع السابق (3/396).

(7) علي بن محمد بن محمد بن خلف المنوفي المصري الشاذلي، أبو الحسن (857-939هـ)، من فقهاء المالكية، مولده ووفاته بالقاهرة، له تصانيف، منها : عمدة السالك، وتحفة المصلي، وغاية الأماني، وكفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، معونة القاري لصحيح البخاري، وغيرها من التصانيف. يُنظر : الأعلام (5/11).

(8) كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني (1/78).

(9) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعينى، أبو عبد الله، المعروف بالحطاب (902-954هـ) : فقيه مالكي، أصله من المغرب. ولد واشتهر بمكة سنة ومات في طرابلس الغرب، من كتبه : قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل. يُنظر : الأعلام (7/58).

«وفي إرشاد أبي المعالي : لا يكترث بقول الروافض أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موقوفان على ظهور الإمام»[1].

وقال رحمه الله أيضاً :

«قلت : هذا ونحوه من نصوص المذهب يبين لك حال بعض القضاة، في تقديمهم من يعرفون جرحته شرعاً للشهادة بين الناس في الدماء والفروج، ويعتذرون بالخوف من موليهم القضاء، مع أنهم فيما رأيت لا يخافون منه إلا عزلته عن القضاء، ولله در الشيخ أبي زكريا يحيى الصوفي صالح بجاية، روي عنه بسند صحيح أنه كان يقول : اللهم العن الشيعة ومغيري الشريعة»[2].

وقال رحمه الله أيضاً - عند الكلام على الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم- :

«قال أَبو عمران : وإنما أَحدثه الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة، فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة، وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وأَيضا : فإِن التشبه بأَهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم»[3].

7- وقال الخرشي رحمه الله[4] في شرح مختصر خليل :

«وأتى المؤلف بـ(على) من قوله : وعلى آله، جرياً على مذهب أهل السنة، ورداً على من يقول بكراهة الفصل بينه وبين آله بـ : (على) وهو مذهب الرافضة»[5].

وقال رحمه الله في الكتاب نفسه - عند كلامه على الإمام ابن شعبان المالكي[6] - : «وإِليه انتهت رياسة المالكِين بِمصر، ووافق موته دخول بني عبيد

(1) مواهب الجليل (8/5).
(2) المرجع السابق (44/6).
(3) المرجع السابق (33/1).
(4) محمد بن عبد الله بن علي أبو عبد الله الخرشي، المعروف بالخرشي المالكي (1010-1101هـ)، من تصانيفه: الدرة السنية على حل ألفاظ الأجرومية. وشرح مختصر الشيخ خليل، والفرائد السنية شرح مقدمة السنوسية. يُنظر : هداية العارفين (302/6).
(5) شرح مختصر خليل (28/1).
(6) أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان الفقيه، كان رأس فقهاء المالكية بمصر في وقته وأحفظهم لمذهب مالك، مع التفنن في سائر العلوم من الخبر والتاريخ والأدب إلى التدوين والورع، كان واسع الرواية كثير الحديث =

الروافض، وكان شديد الذم لهم، وكان يدعو على نفسه بالموت قَبل دولتهم، ويقول : اللهم أَمتني قَبل دخولهم مصر، فكان ذلك»[1].

وقال رحمه الله أيضاً :

«قوله : (وهو مذهب الرافضة) هم فرقة من الشيعة تابعوا زيد بن علي[2]، ثم قالوا: تبرأْ من الشيخين، فأبى وقال : كانا وزيري جدي، فتركوه ورفضوه، فلذلك سموا رافضة، ثم استعمل هذا اللَقب في كلَ من غلا في هذا المذهب وأَجاز الطعن في الصحابة كما أَفاده صاحب المصباح»[3].

وقال رحمه الله - عند كلامه عن التختم - :

«ثم رأيت في جامع الفتاوى من كتب الحنفية : ولا يلبسه في اليمين ؛ لأنه يشبه الروافض»[4].

وقال رحمه الله - عند حديثه عن تسنيم القبور - :

«وهو أَثبت من رواية تسطيحها ؛ لأَنه زي أَهل الكتاب وشعار الروافض»[5].

ومثل هذا في حاشية الصاوي على الشرح الصغير[6].

8- وقال العلامة أحمد بن غنيم النفراوي الأَزهري[7] المالكي رحمه الله في كتابه الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله :

=مليح التأليف شيخ الفتوى حافظ البلد وإليه انتهت رئاسة المالكيين بمصر، من تصانيفه : الزاهي الشعباني المشهور في الفقه، ومختصر ما ليس في المختصر، والرواة عن مالك، توفي سنة (355هـ). يُنظر : الديباج المذهب (ص : 345-346).

(1) شرح مختصر خليل (49/1).

(2) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين المدني، وهو الذي ينسب إليه فرقة الزيدية، خرج في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل بالكوفة سنة (122هـ)، وكان مولده سنة (80هـ). يُنظر : التقريب (2149)، الأعلام (59/3).

(3) شرح مختصر خليل (28/1).

(4) المرجع السابق (100/1).

(5) المرجع السابق (129/2).

(6) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (560/1).

(7) أحمد بن غانم القاهري المالكي الشهير بالنفراوي، الإمام العالم العامل المحدث الفاضل الفقيه، كان فرداً من أفراد العالم علماً وفضلاً وذكاء، له كتب منها : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، توفي يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة (1120)، ودفن بالقرافة. يُنظر : الأعلام (192/1).

«(تنبيهات) الأول : ما ذكره المصنف من عدم جواز اتخاذ الكلاب في غير المسائل الثلاث، مقيد بما إذا لم يضطر إلى اتخاذها؛ لحفظ محله أو حفظ نفسه وإلا جاز، كما وقع للمصنف حين سقط حائط داره، وكان يخاف على نفسه من الشيعة فاتخذ كلباً، ولما قيل له : كيف تتخذه ومالك نهى عن اتخاذ الكلاب في غير المواضع الثلاثة ؟ فقال : لو أدرك مالك زماننا لاتخذ أسداً ضارياً»[1].

فليتأمل خوف هذا العالم الجليل - وهو ابن أبي زيد القيرواني المالكي رحمه الله - من مكر الشيعة، الذين لا يتورعون عن الفتك بالسني، بل يستبيحون دمه وماله مهما تيسر لهم ذلك، كما في كتبهم، وخالف إمام مذهبه - رغم توقيره وإجلاله له - لمكان الضرورة، وهي الخوف من بطش الشيعة، وليس هذا بغريب.

وقال رحمه الله أيضاً :

«(تنبيهات) : الأول : قَد قدمنا ما يعلم منه أَن البحث عن أَحوال الصحابة وعما شجر بينِهم ليس من عقائد الإيمان ولا مما ينتفع به في الدين، بل ربما أَضر باليقين، وإِنما ذكر القوم بعض شيء مما يتعلَق بها صوناً للقاصرِين عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة»[2].

9- وجاء في حاشية العدوي للعلامة أبي الحسن الصعيدي العدوي رحمه الله[3] :

«قوله : (من الشيعة) فرقة من الفرق الخارجين عن أهل السنة والجماعة، فإن قلت : ما يعتقدون ؟ قلت : يعتقدون ويقولون : كل من كان لا يحب عليًا أكثر من الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر»[4].

---

(1) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (2/344).

(2) المرجع السابق (1/106).

(3) علي بن أحمد بن مُكَرَّم الصعيدي العدوي، أبو الحسن (1112-1189هـ)، يُلقَّب بالعَدَوي نسبة إلى بني عَدِيّ (بالقرب من منفلوط) حيث ولد، فقيه، اشتغل بالحديث وعلومه، من أهم مصنفاته : حاشية على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، وحاشية على شرح العزية للزرقاني، وحاشية على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقي. توفي بالقاهرة. يُنظر : معجم المطبوعات (2/1314)، الأعلام (4/260).

(4) حاشية العدوي (2/496).

خلاصة ما تقدم :

هذه نبذة من كلام علماء المالكية رحمهم الله في الشيعة الإثني عشرية، ونلخص مجمل نظرتهم إلى الشيعة الإثني عشرية من خلال المنقولات الماضية، فيما يلي :

1. اعتبارهم أقوال الغلاة من الشيعة أقوالاً كفرية، يكفر أصحابها.

2. اعتبارهم خلاف الإمامية الإثني عشرية خلافاً شاذاً لا يعتد به.

3. تحرزهم من الصلاة خلف الإمامية الإثني عشرية.

4. اعتبارهم أن مذهب الإمامية الإثني عشرية مخالف لسبيل المؤمنين.

5. حرصهم على مخالفتهم فيما هو من شعائرهم.

6. خوفهم من غدرهم وبطشهم، وقد ذكرنا في موطن آخر من هذه الرسالة استحلالهم لدماء أهل السنة وأموالهم[1].

7. دعاؤهم عليهم.

8. ذمهم لهم، وكراهيتهم لهم.

9. رميهم بالغلو، واعتبارهم من أهل الأهواء والابتداع.

(1) يُنظر : (ص : 120-123) من هذا البحث.

الفصل الرابع

موقف الشيعة الإثني عشرية من أهل السنة وعلمائهم



الفصل الرابع

موقف الشيعة الإثني عشرية من أهل السنة وعلمائهم

- المبحث الأول : موقف الشيعة الإثني عشرية من أهل السنة والجماعة :

إن معتقد الشيعة الإثني عشرية فيه ما فيه لمن علمه، لكنهم يزدادون قبحاً عندما يتخذون مواقف عدائية مِنْ كل مَنْ خالفهم، فيستبيحون ماله ودمه، ويقدمون قتاله على قتال اليهود والنصارى ! إلى غير هذا مما سيراه القارئ في هذا المبحث، منقولاً عن أئمتهم وعلمائهم.

فلأجل خطورة هذا الأمر ووجوب ظهوره لعامة المسلمين ؛ حتى لا ينجروا خلف سراب أبواق التقريب، وينخدعوا بالتصريحات الكاذبة الصادرة من بعض رموز الشيعة الإثني عشرية في العالم، رأيت جمع نزر يسير في هذا المبحث من أقوال أئمتهم ومراجعهم، في بيان موقفهم ممن خالفهم من أبناء أهل السنة والجماعة.

وقد لخصت موقفهم في النقاط التالية :

اعتقاد الشيعة الإثني عشرية أن أهل السنة والجماعة نواصب :

الشيعة الإثنا عشرية إذا أرادت أن تسب أهل السنة فغالباً ما تصفهم وتسميهم بالنواصب، حتى لا يثيروا الرأي العام ضدهم، وإلا فإن مكانة أهل البيت عند أهل السنة معلومة، ومحترمة مصونة، وهم يتبرؤون من طريقة النواصب والروافض الغلاة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في العقيدة الواسطية - : «ويتبرؤون - أي : أهل السنة والجماعة - من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل»[1].

(1) مجموع الفتاوى (154/3).

لكن الشيعة الإثني عشرية ترى أن مخالفيهم يدخلون في مسمى النواصب، أي : الذين ينصبون العداء لأهل البيت، ويدخل أهل السنة والجماعة دخولاً أولياً في هذا.

يقول عالمهم وشيخهم يوسف البحراني[1] في كتابه المعروف الحدائق الناضرة : «فالناصب حيثما أطلق في الأخبار وكلام القدماء فإنما يراد به المخالف»[2].

ويقول أيضاً : «فهذا تفسير الناصب في أخبارهم - أي : الأئمة - الذي تعلقت به الأحكام من النجاسة، وعدم المناكحة، وحل المال والدم ونحوه، هو عبارة عن المخالف مطلقاً عدا المستضعف»[3].

وأخرج الحلي في السرائر أن محمد بن علي بن عيسى قال : «كتبت إلى علي بن محمد (ع)[4] عن الناصب، هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت واعتقاد إمامتهما ؟ فرجع الجواب : من كان على هذا فهو ناصب»[5].

ويقول شيخهم حسين آل عصفور الدرازي البحراني[6] الشيعي في كتابه المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية :

«على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على علي - عليه السلام - غيره»[7].

ويقول نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية ما نصه :

---

(1) يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني، من آل عصفور، من فقهاء الإمامية، من البحرين، توفي بكربلاء سنة (1186هـ). من كتبه : أنيس المسافر وجليس الخواطر، ويقال له : الكشكول، والحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة. يُنظر : الأعلام (215/8).

(2) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (157/18).

(3) المرجع السابق (157/18-159).

(4) وهو الإمام العاشر عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية.

(5) السرائر لابن إدريس الحلي (583/3)، ويُنظر : وسائل الشيعة 490/9-491).

(6) حسين بن محمد بن أحمد ابن عصفور الدرازي الشاخوري البحراني، من فقهاء الإمامية، من البحرين، من قرية (الشاخورة) قتل في معركة بالبحرين سنة (1216هـ). له تصانيف كثيرة، منها : المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، الحقائق الفاخرة، النفحة القدسية في فقه الصلاة اليومية، يُنظر : الأعلام (257/2)، معجم المؤلفين (44/4).

(7) المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية (ص : 157).

«ويؤيد هذا المعنى : أن الأئمة - عليهم السلام - وخواصهم أطلقوا لفظ الناصبي على أبي حنيفة وأمثاله، مع أن أبا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لأهل البيت عليهم السلام، بل كان له انقطاع إليهم، وكان يظهر لهم التودد»[1].

ويقول شيخهم الدرازي البحراني في كتابه السابق :

«بل أخبارهم - عليهم السلام - تنادي بأن الناصب هو ما يقال له عندهم : سني»[2].

ويقول أيضاً : «ولا كلام في أن المراد بالناصبة هم أهل التسنن»[3].

وذكر شيخهم محسن المعلم في كتابه النصب والنواصب تحت عنوان : (النواصب في العباد) أكثر من مائتي ناصب - على حد زعمه - ثم ذكر منهم : أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأم المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك[4]، وحسان بن ثابت[5]، والزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب[6]، وسعد بن أبي وقاص[7] وطلحة بن عبيد الله[8]، والإمام الأوزاعي، والإمام مالكاً وأبا موسى

---

(1) الأنوار النعمانية (307/2).

(2) المحاسن النفسانية (ص : 147).

(3) المرجع السابق (ص : 147).

(4) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، خدمه عشر سنين، مات سنة (92هـ)، وقد جاوز المائة. يُنظر : التقريب (565)، وسير أعلام النبلاء (3/395-405).

(5) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة (54هـ)، وله مائة وعشرون سنة. يُنظر : التقريب (1197)، والإصابة (2/62-64).

(6) سعيد بن المسيب الإمام شيخ الإسلام فقيه المدينة أبو محمد المخزومي، أجل التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وسمع من عمر شيئاً وهو يخطب، وسمع من عثمان، وزيد بن ثابت، وعائشة، وسعد، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وخلق، كان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوالاً بالحق فقيه النفس. يُنظر : تذكرة الحفاظ (1/54).

(7) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق، من العشرة المبشرين بالجنة، أول من رمى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة (55هـ) على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة. يُنظر : التقريب (2259)، وتهذيب التهذيب (3/419).

(8) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، من الأجواد. وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام. قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة. ودفن بالبصرة سنة (36 هـ). يُنظر : الأعلام (3/229).

الأشعري[1]، وعروة بن الزبير[2]، وابن حزم[3]، وابن تيمية، والإمام الذهبي، والإمام البخاري[4]، والزهري[5]، والمغيرة بن شعبة[6]، وأبا بكر الباقلاني[7]، والشيخ حامد الفقي[8] رئيس أنصار السنة المحمدية في مصر، ومحمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب[9]، ومحمود شكري الآلوسي[10]... وغيرهم كثير[11].

---

(1) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أمّره عمر، ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، مات سنة (50هـ). يُنظر : التقريب (3542).

(2) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني، ثقة، فقيه، مات سنة (94هـ)، ومولده في أوائل خلافة عثمان. يُنظر : التقريب (4561).

(3) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد (384-456هـ)، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. ولد بقرطبة. رحل إلى بادية ليلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. من أشهر مصنفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى، وجمهرة الأنساب. ينظر : الأعلام (254/4)..

(4) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، من تصانيفه : الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، يعتبر أصح الكتب بعد كتاب الله، وكتاب خلق أفعال العباد، والأدب المفرد. توفي سنة (256هـ)، وله اثنتان وستون سنة. يُنظر : التقريب (5727)، الأعلام (34/6).

(5) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة (124هـ). يُنظر : التقريب (6296).

(6) المغيرة بن شعبة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، أسلم قبل الحديبية، وولي إمرة البصرة، ثم الكوفة، مات سنة (50هـ). يُنظر : التقريب (6840)، وسير أعلام النبلاء (31/3).

(7) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، من كبار المتكلمين والأصوليين، انتهت إليه رئاسة المالكية في وقته ولد سنة (338هـ) في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة (403هـ). كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. من كتبه : إعجاز القرآن، والإنصاف، والبيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة، وكشف أسرار الباطنية، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. يُنظر : الأعلام (176/6).

(8) محمد حامد الفقي. من علماء المسلمين. ولد في نكلي العنب إحدى قرى مديرية البحيرة بمصر، فحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر، ونال شهادة عالمية، وأسس جماعة أنصار السنة المحمدية. من تصانيفه : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها. توفي سنة (1378هـ). يُنظر : معجم المؤلفين (172/9-173).

(9) محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، ولد بدمشق في حي القيمرية في تموز (1886م)، وبها تلقى علومه الأولية والثانوية. وتوفي في القاهرة في كانون الأول عام (1969م). من آثاره : توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري (شرح مختصر). والخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الاثني عشرية. وغيرها. يُنظر : الأعلام (282/5).

(10) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسى الحسينى، أبو المعالي : مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. ولد في بغداد سنة 1273هـ/1857م، وتصدر للتدريس، وحمل على أهل البدع في الإسلام، فعادوه ووشوا به للوالي. وتوفى في بغداد سنة1342 هـ/ 1924م. له مصنفات كثيرة منها: بلوغ الأرب في أحوال العرب، وعقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر، وغاية الأماني في الرد على النبهاني. يُنظر : الأعلام 172/7).

(11) يُنظر : النصب والنواصب (ص : 259).

بل في بعض أخبارهم أن الناصب: هو من نصب العداء للشيعة، فقد روى ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت ؛ لأنك لا تجد أحداً يقول : أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنكم تتولّونا وأنكم من شيعتنا»[1].

والذي لا شك فيه ولا مرية أن لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم منزلة رفيعة ودرجة عالية من الاحترام والتقدير عند أهل السنة والجماعة، حيث يرعون حقوق آل البيت التي شرعها الله لهم فيحبونهم ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التي قالها يوم غدير خم : (أذكركم الله في أهل بيتي)[2].

فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت وتحريم إيذائهم أو الإساءة إليهم بقول أو فعل وكتب أهل السنة -ولله الحمد والمنة - مليئة وزاخرة بذكر مناقب أهل البيت وبيان عقيدتهم الحقة نحوهم، والتي مبناها على الكتاب والسنة، لا غلو ولا إجحاف طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم[3].

تكفير الشيعة الإثني عشرية لأهل السنة :

مر معنا أن الإثني عشرية تسمي أهل السنة (نواصب) وبنوا على ذلك وعلى غيره تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

يدل على ذلك ما قاله نعمة الله الجزائري في حكم النواصب (أهل السنة) : «إنهم كفار أنجاس بإجماع علماء الشيعة الإمامية، وإنهم شر من اليهود والنصارى»[4].

ومن أسباب تكفير الشيعة الإثني عشرية لأهل السنة هو أنهم لا يقولون بالإمامة، وهي أصل من أصول الدين عند الشيعة الإثني عشرية ؛ لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد نص على اثني عشر إماماً :

فهم يروون عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال :

---

(1) علل الشرائع (601/2)، وسائل الشيعة (486/9).

(2) صحيح مسلم(1873/4) (2408).

(3) يُنظر : العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (ص : 59).

(4) الأنوار النعمانية (206/2-207)، ويُنظر : بحار الأنوار (390/23).

«نحن الذين فرض الله طاعتنا. لا يسع الناس إلا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء»[1].

وينسبون إليه أيضاً أنه قال: «المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا»[2].

وأنه قال أيضاً: «الناصبي شر من اليهود. قيل: وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟! فقال: إن اليهودي منع لطف النبوة وهو خاص، والناصبي منع لطف الإمامة وهو عام»[3].

وأورد البحراني عنه أيضاً أنه قال: «لما نزلت الولاية لعلي قام رجل من جانب الناس فقال: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلها بعده إلا كافر، فجاءه إنسان فقال: يا عبد الله! من أنت؟ فسكت فرجع السائل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! إني رأيت رجلاً في جانب الناس وهو يقول: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلها إلا كافر، فقال: يا فلان! ذلك جبريل؛ فإياك أن تكون من يحل العقدة فنكص»[4].

وروى البرقي عنه أنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى جعل علياً علماً بينه وبين خلقه ليس بينهم وبينه علم غيره فمن تبعه كان مؤمناً، ومن جحده كان كافراً، ومن شك فيه كان مشركا»[5].

وروى ابن بابويه القمي عنه أيضاً عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأئمة بعدي اثنا عشر: أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم[6]، فهم خلفائي، وأوصيائي، وأوليائي، وحجج الله على أمتي بعدي، المقر بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر)[7].

---

(1) الكافي (187/1)، بحار الأنوار (325/32).
(2) رسالة الاعتقادات(ص: 103)، بحار الأنوار (366/8).
(3) الألفين (ص 3).
(4) مدينة المعاجز (ص 49).
(5) المحاسن النفسانية (ص: 89)، ويُنظر: الكافي (437/1).
(6) اسم من أسماء مهديهم المنتظر الثاني عشر.
(7) اسم من أسماء مهديهم المنتظر الثاني عشر.

ويقول رئيس محدثيهم ابن بابويه القمي - الملقب عندهم بالصدوق في رسالة الاعتقادات ما نصه :

«واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام : أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء ! واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة : أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله !!»[2].

وقد نقل هذه الأقوال وأقرها علامتهم محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار[3].

ويقول علامتهم ابن المطهر الحلي[4] في كتابه الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «الإمامة لطف عام والنبوة لطف خاص ؛ لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام؛ لما سيأتي، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص، وإلى هذا أشار الصادق عليه السلام بقوله عن منكر الإمامة أصلاً ورأساً : وهو شرهم»[5].

أي : أن منكر الإمامة شر من منكر النبوة !

ويقول شيخهم يوسف البحراني في الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة : «وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ؤرسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام ؟! مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين»[6].

(1) من لا يحضره الفقيه (132/4).
(2) رسالة الاعتقادات (ص : 104).
(3) يُنظر : بحار الأنوار (27/61-62).
(4) الحسن - ويقال: الحسين - بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، جمال الدين (648-726هـ) المشهور عند الشيعة بالعلامة، نسبته إلى الحلة في العراق وكان من سكانها. مولده ووفاته فيها. له كتب كثيرة. منها : منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة، والذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، وله : منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تلخيص المرام في معرفة الأحكام، مختلف الشيعة في أحكام الشريعة. ينظر : الأعلام 2/227-228).
(5) الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ص : 23).
(6) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (153/18).

ويقول شيخهم محمد محسن - المعروف بالفيض الكاشاني[1] - في منهاج النجاة : «ومن جحد إمامة أحدهم - أي : الأئمة الاثني عشر - فهو بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام !!»[2].

ويقول الملا محمد باقر المجلسي في بحار الأنوار : «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار !»[3].

ويقول الشيخ عبد الله الممقاني[4] في تنقيح المقال : «وغاية ما يستفاد من الأخبار : جريان حكم الكافر والمشرك في الآخرة، على كل من لم يكن اثني عشري»[5].

وقال المجلسي في بحار الأنوار نقلاً عن شيخهم المفيد :

«اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى له، من فرض الطاعة فهو كافر ضال، مستحق للخلود في النار»[6].

ويقول المجلسي أيضاً : «ثم بين عليه السلام وجوب الإقرار بجميع الأئمة عليهم السلام، واشتراط الإيمان به بأنه لو أقر رجل بجميع الأنبياء، وأنكر واحداً منهم لم ينفعه إيمانه كما قال تعالى : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾[البقرة : 285].

فكذلك من أنكر واحداً من الأئمة عليهم السلام لم ينفعه إقراره بسائر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لأن كلمة الأنبياء والأوصياء متفقة، وكل منهم مصدق بمن سواهم فإنكار واحد منهم إنكار للجميع»[7].

---

(1) محسن بن مرتضى بن فيض الله محمود الكاشي (1008-1090هـ)، مفسر من علماء الإمامية، ورد اسمه محسن بن مرتضى، ومحسن بن محمد، ومحمد محسن. وقيل له : الفيض. وعرف جده بفيض الله وبالفيض. وجاءت نسبته الكاشي والكاشاني والقاشاني. ويقال له : ملا محسن فيض الكاشي. من كتبه : الصافي في تفسير كلام الله الوافي، ومنهاج النجاة، وعين اليقين. ينظر : الأعلام (290/5).

(2) منهاج النجاة (ص : 48).

(3) بحار الأنوار (390/23).

(4) عبد الله بن محمد حسن بن عبد الله الممقاني (1290-1351هـ)، من فقهاء الشيعة الرافضة، من أهل النجف، من كتبه : تنقيح المقال في علم الرجال، ومرآة الكمال في الآداب والسنن، ومناهج المتقين. يُنظر : الأعلام (133/4).

(5) تنقيح المقال (208/1).

(6) بحار الأنوار (390/23).

(7) مرآة العقول (311/2).

ويقول شيخهم النعماني[1] : «وليتأمل متأمل من ذوي الألباب والعقول، والمتعلقين لولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هذا المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله عليهما السلام فمن شك في واحد من الأئمة عليهم السلام، أو بات ليلة لا يعرف فيها إمامه، ونسبتهم إياه إلى الكفر، والشرك، والنفاق، وأنه إن مات على ذلك مات ميتة جاهلية نعوذ بالله منها..»[2].

ويقول شيخهم الآملي[3] : «فتنقسم الأمة بعد النبي قسمان : قسم مؤمن بما قرره الرسول بعد وفاته وهم المؤمنون، وقسم لا يرضى بما قرره الرسول وهم المشركون، فالقسم المتبع أوامر الرسول ونواهيه بعد غيبته: هم حزبه ووصيه، السائرون على وصيته، المتبعين لأمر الله والرسول، والقسم المباين لأوامر الله ورسوله بعد غيبته: هم الذين خرجوا عن طاعة الله ورسوله، واتبعوا أهواءهم، ونقضوا عهد الله ورسوله في طاعة الإمام، كما جرى لبني إسرائيل مع السامري وهارون، وكما جرى للعرب وعلي بن أبي طالب عليه السلام حذو الكف بالكف، والقدم بالقدم، وسمى حزب الإمام الموالي بأمر الله ورسوله أهل النص، وحزب المنقلبين أهل الإجماع»[4].

ويقول أيضاً : «وتعتقد[5] أنه متى أقام الإنسان الصلاة وآتى الزكاة، وأمر الناس بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام حدود الله وفرائضه وسننه، ولم يبق عليه في الدين أمر ولا نهي إلا أتى به ومات ولم يعرف زريق[6] وغندر[7] لم يمت كافراً، ومن أتى بمثل

---

(1) أبو عبد الله محمد بن جعفر النعماني، تلميذ الكليني، المعروف بابن زينب، قدم بغداد وخرج إلى الشام ومات بها، له كتب منها : الغيبة، والرد على الإسماعيلية. قال عنه النجاشي : (عظيم القدر، شريف المنزلة، صحيح العقيدة، كثير الحديث). يُنظر : رجال النجاشي (ص 383)، رجال ابن داود (ص 160).

(2) الغيبة (ص : 86).

(3) حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسني الآملي، بهاء الدين الطبري القاشي، فقيه متكلم، مفسر، من أهل (آمل) بطبرستان. نشأ بالحلة واستقر ببغداد وصنف كتبا منها: الكشكول في بيان ما جرى على آل الرسول، والأركان في فروع شرائع أهل الايمان، والمعتمد من النقول فيما أوحي إلى الرسول، ومدارج السالكين في مراتب العارفين، ونص النصوص في شرح الفصوص، لابن عربي. توفي بعد سنة (782هـ). يُنظر : الأعلام (290/2).

(4) الكشكول فيما جرى على آل الرسول (ص 31).

(5) أي : الشيعة الإثني عشرية.

(6) يعنون به أبا بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه. يُنظر: تفسير العياشي (263/2)، تفسير القمي (326/2، 424).

(7) يعنون به عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. ينظر : تفسير القمي (326/2، 424).

ذلك كله ومات ولم يعرف إمامه علي عليه السلام ؛ مات كافراً ؛ لأن زيد وعمرو ليسا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، بل علي بن أبي طالب أصل آل محمد»[1].

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة الإثني عشرية عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول : «لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون : إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول : إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»[2].

فأهل السنة كفار عند الشيعة الإثني عشرية بلا خلاف بينهم !

إباحة الشيعة الإمامية لدماء أهل السنة وأموالهم :

التطبيق العملي لمسألة التكفير السابقة هو استباحة الإمامية الإثني عشرية لدماء أهل السنة وأموالهم.

يدل على هذا ما رواه ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع أن داود بن فرقد قال : «قلت لأبي عبد الله (ع) : ما تقول في الناصب ؟ قال : حلال الدم، لكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في بحر ؛ لكي لا يشهد به عليك فافعل، قلت : فما ترى في ماله ؟ قال : خذه ما قدرت»[3].

ورووا عن جعفر الصادق رحمه الله أيضاً أنه قال : «خذ مال الناصب حيثما وجدته، وادفع إلينا الخمس»[4].

وفي رواية أخرى : «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[5].

ونقل هذا الخبر شيخهم الدرازي البحراني في المحاسن النفسانية، ووصفه أنه مستفيض، فقال :

(1) الكشكول (ص 26-27).
(2) الأنوار النعمانية (2/279).
(3) علل الشرائع (2/601).
(4) تهذيب الأحكام (6/387)، الوافي (6/43).
(5) تهذيب الأحكام (6/387).

«إن الأخبار الناهية عن القتل وأخذ الأموال منهم[1] إنما صدرت تقية أو مناً كما فعل علي عليه السلام بأهل البصرة، فاستناد شارح المفاتيح في احترام أموالهم إلى تلك الأخبار غفلة واضحة لإعلالها بالمن كما عرفت، وأين هو عن الأخبار التي جاءت في خصوص تلك الإباحة مثل قولهم عليهم السلام في المستفيض : [خذ مال الناصب أينما وقعت وادفع لنا الخمس] وأمثاله.

والتحقيق في ذلك كله حل أموالهم ودمائهم في زمن الغيبة دون سبيهم حيث لم تكن ثمة تقية، وإن كل ما جاء عنهم عليهم السلام بالأمر بالكف فسبيله التقية أو خوفاً على شيعتهم»[2].

ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري بعد أن بين معنى الناصب :

«والثاني في جواز قتلهم واستباحة أموالهم، قد عرفت أن أكثر الأصحاب ذكروا للناصبي ذلك المعنى الخاص في باب الطهارات والنجاسات، وحكمه عندهم كالكافر الحربي في أكثر الأحكام، وأما على ما ذكرناه له من التفسير فيكون الحكم شاملاً كما عرفت...».

ثم أورد الروايتين السابقتين عن جعفر الصادق رحمه الله، ثم قال :

«قال ابن إدريس (ره)[3] : الناصب المعني في هذين الخبرين أهل الحرب ؛ لأنهم ينصبون الحرب للمسلمين، وإلا فلا يجوز أخذ مال مسلم ولا ذمي على وجه من الوجوه.

وللنظر فيه مجال أمَّا أولاً : فلأن الناصبي قد صار في الإطلاقات حقيقة في غير أهل الحرب، ولو كانوا هم المراد لكان الأولى التعبير عنهم بلفظهم من جهة ملاحظة التقية، لكن لما أراد عليه السلام بيان الحكم الواقعي عبر بما ترى.

وأما قوله : (لا يجوز أخذ مال مسلم، ولا ذمي) فهو مسلّم، ولكن أنى لهم والإسلام وقد هجروا أهل بيت نبيهم المأمور بودادهم في محكم الكتاب بقوله تعالى : ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى : 23]).

فهم قد أنكروا ما علم من الدين بالضرورة.

(1) أي : أهل السنة والجماعة.

(2) المحاسن النفسانية (ص : 167).

(3) اختصار تصالح عليه الشيعة في كتبهم يعني : رحمه الله.

وأما إطلاق الإسلام عليهم في بعض الروايات فلضرب من التشبيه والمجاز، والتفاتاً إلى جانب التقية التي هي مناط هذه الأحكام.

وفي الروايات أن علي بن يقطين[1] وهو وزير الرشيد رحمه الله[2] قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، وكان من خواص الشيعة فأمر غلمانه وهدموا سقف المحبس على المحبوسين، فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل للإمام مولانا الكاظم عليه السلام، فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه : [بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث إنك لم تتقدم إلي فكفّر عن كل رجل قتلته بتيس والتيس خير منه].

فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد؛ فإن ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي والمجوسي فإنها ثمانمائة درهم، وحالهم في الآخرة أخس وأنجس»[3].

وفي العصر الحاضر قال مرجعهم الكبير آية الله الخميني في كتابه تحرير الوسيلة : «والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب في إباحة ما اغتنم منهم ! وتعلق الخمس به، بل الظاهر : جواز أخذ ماله أين وجد، وبأي نحو كان، ووجوب إخراج خمسه»[4].

قال الإمام الشوكاني[5] رحمه الله : «لا أمانة لرافضي قط، على من يخالفه في مذهبه، ويدين بغير الرفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصة تلوح له، لأنه عنده مباح الدم والمال، وكل ما يُظهره من المودة فهو تقية، يذهب أثره بمجرد إمكان الفرصة»[6].

---

(1) علي بن يقطين بن موسى، أبو الحسن مولى بني أسد (124-182هـ)، ولد بالكوفة، كان يبطن التشيع ويظهر موافقة أهل السنة، ويعمل لدى حكامهم ويستغل منصبه في خدمة الشيعة ويرجع في تصريف أموره لأئمتهم، توفي ببغداد، وأبوه حي. يُنظر : معجم المؤلفين (262/7).

(2) هارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن المنصور العباسي، أبو جعفر : خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد سنة (149هـ) بالري، وبويع بالخلافة سنة (170هـ) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه. وكان عالماً فصيحاً، شجاعاً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة، توفي سنة (193هـ) في سناباذ من قرى طوس. يُنظر : الأعلام (62/8).

(3) الأنوار النعمانية (308/2)، ويُنظر : النصب والنواصب (ص : 622).

(4) يُنظر : تحرير الوسيلة (352/1)، وهداية العباد (273/1).

(5) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة (1229هـ)، ومات حاكماً بها. له (114) مؤلفاً، منها : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. وقطر الولي في معرفة الولي، وغيرها. يُنظر : الأعلام (298/6).

(6) أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص : 95).

تعاون الشيعة الإثني عشرية مع الكفار على أهل السنة على مر الزمان ونماذج منه :

ترى الإمامية الإثني عشرية أن كفر أهل السنة أغلظ من كفر اليهود والنصارى ؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون وهؤلاء كفار مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع ؛ ولهذا يعاونون الكفار على المسلمين قديماً وحديثاً كما يشهد التاريخ بذلك[1].

فقد حدثتنا كتب التاريخ عما جرى في بغداد عند دخول هولاكو[2] فيها، بمساعدة الرافضيين النصير الطوسي[3] ومحمد بن العلقمي[4]، فإنه ارتكب أكبر مجزرة عرفها التاريخ، والتي قتل خلالها مئات الآلاف من المسلمين في بغداد.

فقد كان محمد بن العلقمي وزيراً للخليفة العباسي المستعصم بالله[5]، وكان النصير الطوسي وزيراً لهولاكو، وكانت تجري بينهما مراسلات سرية، فتمكنا من إقناع هولاكو بدخول بغداد، وإسقاط الخلافة العباسية[6] !!

وقد أثبت هذا العمل علماء الإمامية الإثني عشرية، فضلاً عن علماء السنة :

قال شيخهم محمد باقر الموسوي في ترجمة نصير الدين الطوسي ما نصه :

---

(1) يُنظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (28/478-479).

(2) هولاكو بن تُولي خان بن جنكيز خان ملك التتار ومقدمهم، كان طاغيةً من ملوك التتار، وهو على قاعدة المغل في عَدَم التقييد بدين، لكنّ زوجته تنصرت، استولى على الممالك في أيسرِ مدةٍ، وتوفي بالصَّرع، هلك وله ستون سنة أو نحوها في سنة (664هـ). يُنظر : الوافي بالوفيات (8/147).

(3) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، كان رأساً في العلوم العقلية، والأرصاد والرياضيات. علت منزلته عند (هولاكو). ولد سنة (597هـ) بطوس (قرب نيسابور)، صنف كتباً منها : منهاج الكرامة، تحرير أصول إقليدس، وتلخيص المحصل اختصر فيه المحصل للفخر الرازي، وغيرها. توفي سنة (672هـ). يُنظر : الأعلام (7/30).

(4) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن علي، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي، المعروف بابن العلقمي : وزير المستعصم العباسي. وصاحب الجريمة النكراء، في ممالاة «هولاكو» على غزو بغداد، ارتقى إلى رتبة الوزارة (سنة 642هـ). ووثق به «المستعصم». مات ودفن في مشهد موسى بن جعفر ببغداد، يُنظر : الأعلام (5/321).

(5) عبد الله المستعصم ابن منصور المستنصر ابن محمد الظاهر ابن أحمد الناصر، آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد ببغداد سنة (609هـ)، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة 640هـ) والدولة في شيخوختها، فألقى زمام الأمور إلى الأمراء والقواد. واعتمد على وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي. وبموته انقرضت دولة بني العباس في العراق. يُنظر : الأعلام (4/140).

(6) يُنظر : تفاصيل هذه الحادثة في البداية والنهاية (13/200-203).

«هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل... ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغي والفساد وإخماد دائرة الجور والإلباس بإبداد دارة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغاة إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار»[1].

ويعتبر الخميني ما قام به هذان الوزيران وما قام به علي بن يقطين وزير الرشيد رحمه الله نصراً حقيقياً للإسلام والمسلمين فيقول :

«وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك، حتى لو أدّى الامتناع إلى قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين، مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمهما الله»[2].

وأيضاً مما يدل على استباحتهم لدماء أهل السنة : ما فعله الشاه إسماعيل الصفوي[3]، حيث أجرى من دماء أهل السنة أنهاراً في بلاد خراسان[4].

قال الدكتور موسى الموسوي :

---

(1) روضات الجنات (1/300-301).

(2) الحكومة الإسلامية (ص : 142).

(3) إسماعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ إبراهيم بن الخوجه علي بن الشيخ موسى بن الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي (892-930هـ)، أسس الدولة الصفوية وهو في مقتبل العمر، واستولى على بغداد سنة (915هـ) وأعلن في سنة (916هـ) للمرة الأولى في تاريخ إيران أن مذهبها الرسمي مذهب الشيعة، حاربه السلطان سليم سنة (920هـ) فانتصر عليه في معركة تشالديران التي جرح فيها شاه إسماعيل وهرب ومات بعد هذه الهزيمة بعشر سنوات، عن (38) عاما قضى (24) عاماً منها في الحكم، ودفن في أردبيل إلى جانب أبيه.

(4) بلاد واسعة تشكل الشمال الشرقي في إيران وتمتد بين جرجان وطبرستان من جهة، وبين ما وراء النهر من جهة أخرى. وكان يتبعها من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر وسجستان (أفغانستان الحالية)، وكان هذا الإقليم ينقسم إلى أربعة أرباع، وينسب كل ربع إلى إحدى المدن الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة عواصم الإقليم بصورة منفردة أومجتمعة، وهذه المدن هي : نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ. ينظر : معجم البلدان (2/350).

«وأعمل الشاه «إسماعيل» السيف في رقاب الذين لم يعلنوا تشيعهم، ومن طريف القول أن نذكر هنا : أن سكان مدينة «أصفهان» كانوا من الخوارج، فعندما وصلهم أمر الشاه بقبول التشيع أو قطع الرقاب، طلبوا منه أن يمهلهم أربعين يوماً ؛ ليكثروا فيها من سب الإمام «علي» ثم يدخلوا في المذهب الجديد، فأمهلهم الشاه كما أرادوا، وهكذا انضمت «أصفهان» إلى المدن الشيعية الأخرى»[1].

هذا من القديم، فقد كانوا من أسباب سقوط الخلافة العباسية، وكذا كان لهم دور كبير في إسقاط الخلافة العثمانية، وكان لدولتهم الفاطمية أثر لا يخفى في حرب الإسلام وأهله، وتقريب الشرك وحزبه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «والرافضة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين، والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق، بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام، وقتل المسلمين وسبي حريمهم»[2].

والحاصل : أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية تعتقد إباحة دم السني وماله عند القدرة، وتستعمل التقية عند عدم وجودها، وترى أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ للإجماع على أن كفر الردة أغلظ من الكفر الأصلي !!

اعتقاد الشيعة الإثني عشرية نجاسة أهل السنة :

تعتقد الشيعة الإثنا عشرية نجاسة أهل السنة، وأنهم أولاد زنا أو شر منهم، ويدل على ذلك ما يلي :

روى البرقي وابن بابويه القمي عن أبي عبد الله رحمه الله أنه قال :

«إن نوحاً عليه السلام حمل في السفينة الكلب والخنزير ولم يحمل فيها ولد الزنا، والناصب شر من ولد الزنا»[3].

---

(1) الشيعة والتصحيح (ص : 71).

(2) مجموع الفتاوى (28/527-528).

(3) ثواب الأعمال للصدوق (ص : 211)، وبحار الأنوار (27/236)، وجواهر الكلام (6/69).

وروى الكليني عن أبي عبد الله رحمه الله : «أنه كره سؤر ولد الزنا، وسؤر اليهودي والنصراني والمشرك، وكل ما خالف الإسلام، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب»[1].

وفي رواية أخرى ذكرها الكليني أيضاً عن أبي عبد الله رحمه الله قال :

«لا تغتسل من البئر التي تجتمع فيها غسالة الحمام؛ فإن فيها غسالة ولد الزنا، وهو لا يطهر إلى سبعة آباء، وفيها غسالة الناصب وهو شرهما ! إن الله لم يجعل خلقاً شراً من الكلب، وإن الناصب أهون[2] على الله من الكلب !»[3].

يقول مرجع الشيعة الإثني عشرية الراحل وآيتهم العظمى محسن الحكيم[4] في مستمسك العروة الوثقى :

«وبما في التهذيب بعد نقل ما في المقنعة، الوجه فيه : أن المخالف لأهل الحق كافر، فيجب أن يكون حكمه حكم الكفار، إلا ما خرج بالدليل... وكيف كان فالاستدلال على النجاسة تارة بالإجماع المحكي عن الحلي على كفرهم، وأخرى بالنصوص المتجاوزة حد الاستفاضة - بل قيل : إنها متواترة - المتضمنة كفرهم... وثالثة : بأنهم ممن أنكر ضروري الدين، كما في محكى المنتهى في مسألة اعتبار الإيمان في مستحق الزكاة، وفي شرح كتاب فص الياقوت وغيرها، فيعمهم ما دل على كفر منكري الضروري، ورابعة : بما دل على نجاسة الناصب من الإجماع المتقدم وغيره، بضميمة ما دل على أنهم نواصب كخبر معلى بن خنيس»[5].

ويقول مرجعهم الأسبق محمد كاظم الطباطبائي[6] : «لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب»[7].

---

(1) الكافي (11/3).

(2) بمعنى : أذل.

(3) الكافي (14/3).

(4) محسن بن مهدي بن صالح بن أحمد الطباطبائي الحكيم (1306-1390هـ) من علماء الإمامية، نعت بالمرجع الشيعي الأعلى. ولد في بلدة بنت جبيل (بلبنان) وتعلم ونشأ في النجف، من كتبه: مستمسك العروة الوثقى، وتوضيح المسائل، وحقائق الأصول. ينظر : الأعلام (290/5).

(5) مستمسك العروة الوثقى (392/1-393).

(6) محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي نسباً، اليزدي بلداً ومنشأ، الأصفهاني تحصيلاً، الغروي مسكناً ومدفناً (1337هـ)، أحد مراجع الإمامية الإثني عشرية، من كتبه : العروة الوثقى، تعليقة على متاجر الأنصاري، السؤال والجواب، الصحيفة الكاظمية. الأعلام(12/7).

(7) العروة الوثقى (68/1).

ويقول آيتهم العظمى الخميني في كتابه تحرير الوسيلة :

«وأما النواصب والخوارج - لعنهم الله تعالى - فهما نجسان من غير توقف !!»[1].

ويقول أيضاً في تحرير الوسيلة :

«غير الإثني عشرية من فرق الشيعة إذا لم يظهر منهم نصب ومعاداة وسب لسائر الأئمة، الذين لا يعتقدون بإمامتهم طاهرون، وأما مع ظهور ذلك منهم فهم مثل سائر النواصب»[2].

وقد نقل نعمة الله الجزائري إجماعهم على نجاسة أهل السنة وتكفيرهم فقال : «وأما الناصبي وأحواله فهو بما يتم ببيان أمرين الأول: في بيان معنى الناصبي، الذي ورد في الأخبار أنه نجس، وأنه شر من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافر نجس بإجماع علماء الإمامية، رضوان الله عليهم»[3].

ونكتفي بما أوردناه من اعتقاد الشيعة الإمامية الإثني عشرية في عامة أهل السنة، وما هذا إلا غيض من فيض، فهناك الكثير من الروايات التي ملؤها الحقد والسخرية من أهل السنة.

والحاصل : أن الشيعة الإمامية الإثني عشرية تعتقد نجاسة السني وحل إهدار دمه وأخذ ماله، والله المستعان.

- المبحث الثاني : موقف الشيعة الإثني عشرية من الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء :

انفردت الشيعة الإثنا عشرية من بين طوائف الأمة بحقدهم العظيم، وطعنهم الشديد، على سائر سلف الأمة وعلمائها ابتداء من الصحابة إلى علماء السنة المعاصرين.

وعداوة الإثني عشرية تزداد بحسب مكانة الرجل في الإسلام، وسبقه إليه، وبلائه فيه ؛ ولهذا يجد المطلع على أقوالهم وكتبهم، أنه قد ورد فيها من المطاعن في حق أبي

(1) تحرير الوسيلة (118/1).

(2) المرجع السابق 119/1)، العروة الوثقى (69/1).

(3) الأنوار النعمانية (306/2).

بكر وعمر رضي الله عنهما ما لم يرد في حق غيرهما من الصحابة، حتى من الذين اختلفوا مع علي رضي الله عنه، وإنما ذلك لمكانتهما العالية في الدين وحسن بلائهما فيه، كما أن لهم من المطاعن في الصحابة عموماً ما ليس في من بعدهم من السلف، وكذلك لهم في أئمة السنة الأعلام الذين نافحوا عنها، وابتلوا في سبيلها، أكبر المطاعن، وذلك كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[1] والبربهاري[2] ومحمد بن عبد الوهاب[3] رحمهم الله جميعًا، وغيرهم.

طعن الشيعة الإثني عشرية في الأئمة الأربعة :

جاء في رجال الكشي وفي مجمع الرجال للقهبائي[4] :

«أن أبا حنيفة قال لمؤمن الطاق[5] - وقد مات جعفر بن محمد - : يا أبا جعفر ! إن إمامك قد مات ! فقال أبو جعفر : لكن إمامك من المنظرين إلى اليوم المعلوم. يعني : الشيطان»[6].

---

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين ولد سنة (691هـ)، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، ألف تصانيف كثيرة منها : إعلام الموقعين، وزاد المعاد، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ومدارج السالكين، وإغاثة اللهفان، توفي سنة (751هـ). يُنظر : الأعلام (56/6).

(2) الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، شيخ الحنابلة في وقته. ولد سنة (233هـ)، من أهل بغداد. كان شديد الإنكار على أهل البدع، بيده ولسانه. وكثر مخالفوه فأوغروا عليه قلب القاهر العباسي (سنة 321 هـ) فطلبه، فاستتر. ومات في مخبأه سنة (329هـ). له مصنفات، منها : شرح كتاب السنة. يُنظر : الأعلام (201/2).

(3) شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ولد سنة (1115هـ)، ولد ونشأ في العيينة بنجد، وبعد عدة رحلات له قصد الدرعية بنجد سنة (1157هـ)، فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره. توفي بالدرعية سنة (1206هـ). من آثاره : كتاب التوحيد، كشف الشبهات في بيان التوحيد وما يخالفه والرد على المشركين، المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، وغيرها. يُنظر : الأعلام (257/6)، ومعجم المؤلفين (269/10).

(4) عناية الله (زكي الدين) بن علي (شرف الدين) بن محمود بن علي القهبائي النجفي : عالم إمامي، من أهل نجف. له كتب منها : مجمع الرجال، وترتيب رجال النجاشي، وترتيب اختيار كتاب رجال الكشي. توفي بعد سنة (1019هـ). يُنظر : الأعلام (91/5).

(5) محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي بالولاء، أبو جعفر الأحول، الكوفي، الملقب بشيطان الطاق، من غلاة الشيعة، تنسب إليه فرقة يقال لها : (الشيطانية)، وقال المقريزي : انفرد بطامة، وهي أن الله لا يعلم الشيء حتى يقدره، ولو كان عالماً بأفعال عباده لاستحال أن يمتحنهم ويختبرهم. وكان صيرفياً، له تآليف، منها كتاب : افعل، لا تفعل، والاحتجاج، والكلام على الخوارج، توفي نحو سنة (60هـ). يُنظر : الأعلام (271/6).

(6) يُنظر : رجال الكشي (ص : 187)، ومجمع الرجال للقهبائي (4/6).

يقول شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه قصص الأنبياء ما نصه :

«أقول : هذا يكشف لك عن أمور كثيرة منها :

بطلان عبادة المخالفين[1] وذلك أنهم وإن صاموا وصلوا وحجوا وزكوا، وأتوا من العبادات والطاعات وزادوا على غيرهم، إلا أنهم أتوا إلى الله تعالى من غير الأبواب التي أمر بالدخول منها، وقد جعلوا المذاهب الأربعة وسائط وأبواباً بينهم وبين ربهم، وأخذوا الأحكام عنهم، وهم أخذوها عن القياسات والاستنباطات والآراء، والاجتهاد الذي نهى الله سبحانه عن أخذ الأحكام عنها، وطعن عليهم من دخل في الدين منها»[2].

ويقول يوسف البحراني في كتابه الكشكول : «وأما أبو حنيفة فكان يقول قال علي - عليه السلام - وأنا أقول خلافاً لقوله.

وحُكي عنه أنه كان يقول : خالفت جعفر بن محمد في جميع أقواله وفتاواه، ولم يبق إلا حالة السجود، فما أدري أنه يغمض عينيه أو يفتحها حتى أذهب إلى خلافه، وأفتي الناس بنقيض فعله»[3].

ويقول محمد الرضي الرضوي في كتابه كذبوا على الشيعة ما نصه :

«ولو أن أدعياء الإسلام والسنة أحبوا أهل البيت - عليهم السلام - لاتبعوهم، ولما أخذوا أحكام دينهم عن المنحرفين عنهم كأبي حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل»[4].

ويقول شيخهم الدكتور محمد التيجاني في كتابه ثم اهتديت : «وبما أن المذاهب الأربعة فيها اختلاف كثير ؛ فليست من عند الله ولا من عند رسوله»[5].

ويقول في كتابه الشيعة هم أهل السنة : «وبهذا نفهم كيف انتشرت المذاهب التي ابتدعتها السلطات الحاكمة، وسمتها بمذاهب أهل السنة والجماعة»[6].

---

(1) أي : أهل السنة والجماعة.
(2) قصص الأنبياء (ص : 347).
(3) الكشكول (46/3).
(4) كذبوا على الشيعة (ص : 279).
(5) ثم اهتديت (ص : 127).
(6) الشيعة هم أهل السنة (ص : 104).

ويقول أيضاً : «وبكل هذا يتبين لنا مرة أخرى بالأدلة الواضحة التي لا تدفع بأن الشيعة الإمامية هم أهل السنة النبوية الحقيقية ! وأن أهل السنة والجماعة قد أطاعوا ساداتهم وكبراءهم، فأضلوهم السبيل، وتركوهم في ظلمات يعمهون، وأغرقوهم في بحر كفر النعم ! وأهلكوهم في مفاوز الطغيان !»[1].

ويقول أيضاً : «كل أقطاب أهل السنة والجماعة وأئمتهم قد خالفوا صريح السنة النبوية ! ونبذوها وراء ظهورهم، وتركوها عامدين طائعين !»[2].

ويقول أيضاً : «فهذا أبو حنيفة نجده قد ابتدع مذهباً يقوم على القياس والعمل بالرأي مقابل النصوص الصريحة، وهذا مالك نجده قد ابتدع مذهباً في الإسلام، وهذا الشافعي وهذا أحمد بن حنبل[3]»[4].

ويقول أيضاً : «كذلك نجد أن سبب انتشار مذهب أبي حنيفة بعد موته هو أن أبا يوسف[5] والشيباني[6]، وهما من أتباع أبي حنيفة، ومن أخلص تلاميذه كانا في نفس الوقت من أقرب المقربين لهارون الرشيد الخليفة العباسي، وقد كان لهما الدور الكبير

---

(1) المرجع السابق (ص : 125).

(2) المرجع السابق (ص : 168).

(3) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي (164-241هـ)، نزيل بغداد، أبو عبد الله، أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، وإمام أهل السنة، في أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجنه ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن. من أشهر مصنفاته : المسند، فضائل الصحابة. يُنظر : تهذيب الكمال (1/437-470)، الأعلام (1/203).

(4) الشيعة هم أهل السنة (ص : 88).

(5) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي، وسعد بن بجير له صحبة، وهو سعد بن حبتة، وهي أمه، وهو بجلي، من حلفاء الأنصار، شهد الخندق وغيرها. كان مولده في سنة (113هـ)، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد وهو على القضاء سنة (182هـ). وهو أول من دعي قاضي القضاة، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه : الخراج، والآثار، واختلاف الأمصار. يُنظر : سير أعلام النبلاء (8/536)، وفيات الأعيان (6/378)، الأعلام (8/193).

(6) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله : إمام بالفقه والأصول، ولد بواسط. ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة، وغلب عليه مذهبه، وعرف به، وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله. ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري. له كتب كثيرة منها : المبسوط، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والمخارج في الحيل. يُنظر : الأعلام (6/80).

في تثبيت ملكه وتأييده ومناصرته، فلم يسمح هارون الجواري والمجون ! لأحد أن يتولى القضاء والفتيا إلا بعد موافقتهما، فصار أبو حنيفة أعظم العلماء، ومذهبه أعظم المذاهب الفقهية المتبعة، رغم أن علماء عصره كفروه واعتبروه زنديقاً»[1].

وقد أفرد عالمهم علي بن يونس العاملي النباطي البياضي[2] فصلاً خاصاً في كتابه الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، للطعن في الأئمة الأربعة ورواة أهل السنة وعلمائهم[3].

طعن الشيعة الإثني عشرية في الشيخين : البخاري ومسلم رحمهما الله :

من المعلوم إجماع الأمة على أن أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى هو صحيح الإمام البخاري ثم صحيح الإمام مسلم[4] رحمهما الله تعالى، وخالف في ذلك من لا يعتد بخلافه، كالإمامية الإثني عشرية الذين ينازعون في أصل الدين ومسلمات المعتقد.

فلما كانت هذه المكانة العلية للصحيحين عند أهل الإسلام ضاقت الدنيا بما رحبت على أهل الرفض، فطفقوا يطعنون في الشيخين رحمهما الله وفي صحيحيهما :

يقول النباطي - في الطعن عليهما - : «كتم البخاري ومسلم أخباراً جمة في فضائل أهل البيت، صحيحة على شرطهما»[5].

ويقول - بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة زعم أن الشيخين قد أسقطاها من كتابيهما - : «فهذه الأحاديث إن كانت لم تصل إلى الشيخين مع شهرتها، فهو دليل قصورهما، فكيف يرجحون كتابيهما، ويلهجون بذكرهما على

1) الشيعة هم أهل السنة (ص : 93).

(2) علي بن يونس العاملي، النباطي البياضي، زين الدين، أبو محمد، فقيه ومحدث ومفسر إمامي، توفي عام 1472م. من تصانيفه : الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، وزبدة البيان، واللمعة في المنطق. يُنظر : الأعلام (34/5).

(3) يُنظر : الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم (3/213-236).

(4) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين (162-240هـ)، أحد الأئمة وحفاظ الحديث، وهو صاحب المسند الصحيح، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر نيسابور. ينظر : تهذيب الكمال (27/499-507)، الأعلام (221/7)..

(5) الصراط المستقيم (232/3).

غيرهما، وإن وصلت إليهما فتركا روايتها ونقلها كان ذلك من أكبر التهمة والانحراف، والرجوع عن السبيل الواضح إلى الاعتساف»[1].

ويقول أيضاً - في طعنه على الإمام البخاري رحمه الله - : «ما رأينا عند العامة أكثر صيتاً منه ولا أكثر درجة منه، فكأنه جيفة علت، أو كلفة غشت بدراً، وكتم الحق وأقصاه، وأظهر الباطل وأدناه»[2].

ثم أفرد فصلاً للطعن في علماء السنة ورواتها[3]، ننزه أنفسنا عن ذكر ما أورده فيه منْ الافتراءات لظهور بطلانها، ولكون الكذب ديناً للقوم كما تقدم.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله عنهم : «ثم لم نجد عند أحد ما نجد عندهم من التجري على شتم الأعراض المحترمة، فإنه يلعن أقبح اللعن، ويسب أفظع السب كل من تجري بينه وبينه أدنى خصومة وأحقر جدال، وأقل اختلاف، ولعل سبب هذا - والله أعلم - أنهم لما تجرأوا على سب السلف الصالح، هان عليهم سب من عداهم، ولا جرم، فكل شديد ذنب يهون ما دونه»[4].

ونكتفي بما ذكرناه من طعن القوم في أئمة السنة وحفاظها ؛ وما هذا إلا قليل من كثير والله المستعان ؛ فإنهم - كما ذكر الشوكاني رحمه الله - لا يتورعون عن الطعن في كل من خالفهم كائناً من كان ؛ لأنهم تجرّأوا على الطعن في الصحابة فهان عليهم من دونهم.

---

(1) المرجع السابق (234/3).

(2) المرجع السابق (226/3).

(3) يُنظر : المرجع السابق (3/244-254).

(4) أدب الطلب (ص : 96).

ثالثاً :

موقف الإمام محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة

من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)



الفصل الأول :

الإمام الطاهر ابن عاشور وتفسيره (التحرير والتنوير)



الفصل الأول

الإمام الطاهر ابن عاشور وتفسيره (التحرير والتنوير[1])

- المبحث الأول : الإمام الطاهر ابن عاشور وعلم التفسير :

إن أشهر ما عرف به العلامة محمد الطاهر ابن عاشور هو تفسيره للقرآن الكريم.

فقد طغى هذا الجانب على الجوانب العلمية الأخرى، كعلم الحديث ومقاصد الشريعة ومؤلفاته وتحقيقاته الأدبية واللغوية وإصلاحاته التربوية.

فقد تولى العلامة ابن عاشور تدريس المواد الأدبية والشرعية في جامع الزيتونة المعمور، كشرحه للمقدمة الأدبية على ديوان الحماسة للمرزوقي[2]، وغيره.

لكن درس التفسير الذي كان يلقيه برحاب جامع الزيتونة والذي استمر فيه خمسين عاماً ؛ والذي ظل ينشره تباعاً في المجلة الزيتونية، كان له منحى آخر في حياته.

فقد كان للشيخ رحمه الله شغف بعلم التفسير، فهو يحقق مسائله ويتابع تفاريعه وأحكامه، ويطلع على آراء المفسرين قبله دون كلل.

وإن كان في بادئ الأمر لا يعد التفسير علماً، لكنه بعد ذلك عده علماً من العلوم، يقول رحمه الله في ذلك : «ما كنت أرى التفسير يعد علماً إلا لو كان شرح الشعر يعد علماً، ولكني لما رأيت التفسير معدوداً في مقدمة العلوم ؛ لأنه منبع العلوم الشرعية،

---

(1) طبع في الدار التونسية، وعنها طبعة دار سحنون للنشر في خمسة عشر مجلداً.

(2) أحمد بن محمد بن الحسن، أبو علي المرزوقي : عالم بالأدب، من أهل أصبهان. كان معلم أبناء بني بويه فيها. من كتبه : الأزمنة والأمكنة، وشرح ديوان الحماسة لأبي تمام، وشرح المفضليات، والأمالي، والقول في ألفاظ الشمول والعموم والفصل بينهما، توفي سنة (421هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (475/17)، الأعلام (212/1).

ورأيت لأسباب تأخره أثراً قوياً في تأخر كثير من العلوم الإسلامية، خصوصاً الفقه والنحو واللغة، أحببت أن أتابعهم في عدّه علماً»[1].

فهو يعتبره منبع العلوم الشرعية، وله أثر ظاهر في العلوم الإسلامية المختلفة، وبقدر ما يمسه من تطور بقدر ما يحدث ذلك من أثر عليها.

وقد كان لهذا العلم فعل السحر في عقل الشيخ، فاتسعت آفاقه، وأدرك مقاصد الكتاب الكريم، وألم بأهدافه وأغراضه، وساعده ذلك على فهم أسرار الشريعة ومراميها، وحذق مسائلها وفروعها.

ولقد فسر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور القرآن الكريم تفسيراً تاماً، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، وعنونه بـ : (التحرير والتنوير من التفسير) وهو عنوان مختصر من عنوانه الطويل : (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد).

وتفسير الشيخ ابن عاشور لكتاب الله العزيز، أمنية عزيزة طالما منى النفس بالظفر بها، رغم ثقل المسؤولية، خاصة عندما أسندت إليه مهمة القضاء.

ولما انتقل إلى خطة الفتيا، صح العزم منه على تحقق ما أضمره من إقدام على تفسير القرآن.

يقول رحمه الله في هذا الشأن : «وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا مرة القتاد وأخرى الثمام[2]، إذا بأمله قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضا، فبقيت متلهفاً ولات حين مناص... وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد بن رشد[3] في كتاب البيان، ولم أزل كلما مضت

---

(1) أليس الصبح بقريب (ص : 184).

(2) الثمام نبت ضعيف قصير لا يطول، وله خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به وسد به خصاص البيوت، وهو أنواع منه الغرف، وهو شبيه بالأسل، وتتخذ منه المكانس، ويظلل به المزاد فيبرد الماء. يُنظر : لسان العرب (79/12) مادة «ثمم».

(3) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد : الفيلسوف، من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة، من تصانيفه : فلسفة ابن رشد، والتحصيل في اختلاف مذاهب العلماء، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، وتهافت التهافت، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، وجوامع كتب أرسطاطاليس، وتلخيص كتب أرسطو. اتهم بالزندقة والإلحاد، فنفي إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، توفي بمراكش، ونقلت جثته إلى قرطبة، كان يلقب بابن رشد الحفيد تمييزاً له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد المتوفى سنة (250هـ)، توفي في آخر سنة (594هـ). يُنظر : الأعلام (318/5).

مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد منّ بالنقلة إلى خطة الفتيا، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس... هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته، وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط ؛ إذ بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طريق الصواب والسداد... أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع»[1].

وهكذا يصف إقدامه على هذه المسؤولية الخطيرة وهي تفسير كتاب الله، وكيف كان يقدم ويحجم، وهو بين الخوف والرجاء، خوفاً من المسؤولية ورجاء النجاح فيها، عسى يظفر بهذه الأمنية الغالية، وهي تفسيره للقرآن العزيز.

أسباب تأخر علم التفسيرعند الإمام الطاهر ابن عاشور :

عندما عرض الشيخ خطته لإصلاح العلوم الإسلامية، وضع التفسير في مقدمة العلوم التي يجب أن يشملها هذا الإصلاح، فذكر أسباباً لتأخر علم التفسير، وهي أسباب تعود إلى الضعف في اللغة والبلاغة وعلم التاريخ، والجهل بفلسفة العمران، وسنن الاجتماع، وبالأديان والسياسة.

وقد ذكر من أسباب تأخر علم التفسير ما يلي :

1) الولع بالتوقيف والنقل ؛ اتقاء للغلط الذي أعظموا أمره في القرآن، حتى قالوا : (خطؤه كفر) زجراً للعامة عن التطرق إليه بدون تأهل، لكنها كلمة قدمت حتى توهجها الخاصة أصلاً، فأصبح الناس يغتفرون فيه النقل، ولو كان ضعيفاً أو كاذباً، ويتقون الرأي ولو كان صواباً حقيقياً[2].

2) الضعف في اللغة والبلاغة، وقليل المبرز فيهما[3].

---

(1) التحرير والتنوير (6/1).
(2) أليس الصبح بقريب (ص : 186).
(3) المرجع السابق (ص : 188).

3) الضعف في علوم يظنونها بعيدة عن القرآن، وهي : ضرورة لمعرفة عظمته، مثل التاريخ وفلسفة العمران، والأديان والسياسة[1].

4) خروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الآية، إلى مسائل من علوم متنوعة ضعيفة المناسبة بموضوع تفسير تلك الآية، كما فعل الفخر الرازي في التفسير الكبير، فجاء كتاباً بعيداً عن غرض المفسر، حتى قال فيه بعضهم : «فيه كل شيء ما عدا التفسير». كناية على توسعه المفرط في العلوم الكونية، وجعله التفسير لا يحتل المنزلة الأولى فيه[2].

منهج إصلاح التفسيرعند الإمام الطاهر ابن عاشور :

اقترح الشيخ ابن عاشور منهجاً لإصلاح التفسير، يمكن أن تتبين منه المعالم التي اتبعها في تفسيره، يقول رحمه الله : «والذي يجدر أن يؤسس عليه إصلاح علم التفسير، ويكون منحولاً من التفاسير، هو أن تفسر التراكيب القرآنية جرياً على تبيين معاني الكلمات القرآنية، بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالات الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المداولة منها بدلالات المطابقة والتضمن والالتزام، مما يسمح به النظم البليغ، ولو تعددت المحامل والاحتمالات، ثم نقل ما يؤثر عند أئمة المفسرين من السلف والخلف، مما ليس مجافياً للأصول ولا للعربية»[3].

ثم ينبه الشيخ رحمه الله على مزالق يقع فيها المفسر، وهي الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن، فيجعل الآيات القرآنية منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية أو مذهبية أو حزبية، حتى تصير الآيات القرآنية بمنزلة عناوين لمقالات صحفية، ويجب أن لا يقتصر المفسر على تبيين المعنى، بحيث يصير التفسير بمنزلة ترجمة كلام من لغة إلى لغة أخرى[4].

(1) المرجع السابق (ص : 190).
(2) المرجع السابق (ص : 190).
(3) المرجع السابق (ص : 190).
(4) المرجع السابق (ص : 190).

هكذا كان الشيخ ابن عاشور متميزاً في منهجه في التفسير، ناقداً للتفاسير الأخرى ببصيرة، كالطبري والرازي وغيرهما، مظهراً ثقافة إسلامية عقلية تنبه الغافلين وتوقظ النائمين، وتستلهم من هدي القرآن وأثره في النفوس ما يدفع الأمة الإسلامية إلى التطور، حتى يستعيد المسلمون بهدايته سيرتهم الأولى في القوة العلمية والسياسية.... ويتحقق بذلك منهج الشيخ ابن عاشور في الإصلاح التربوي بجامع الزيتونة من خلال إصلاح العلوم التي وضح خطته فيها في كتابه (أليس الصبح بقريب).

وهو منهج هام ابتكره هذا المصلح الكبير ودعا إليه في نطاق إصلاح تربوي شامل للعلوم الإسلامية التي ضعفت منهجياً وعلمياً وتخلفت عن الفكر المنهجي الذي بدأ في العلوم العصرية.

إن التأخر قد بدا جلياً في منهجية العلوم الإسلامية فأراد العلامة أن ينبه على ما أدركه من هنات في هذه العلوم : واقترح خطة ذات منهجية متميزة للنهوض بها ولإصلاح ما علق بها من نقائص منهجية حتى تكون مواكبة للعصر.

- المبحث الثاني : تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير).

هذا الاسم البالغ صداه كل الأوساط العلمية والمجامع الرائقة، كتاب يعرفه أهل القرآن وخاصة تفسيره وبيانه وتأويله، كتاب تألق بين كتب التفسير؛ حيث هو منهج علمي متين، متمسك بطرائق وحبال المتقدمين، حريص على تفسير كلام الله بالمأثور - وإن شط فسرعان ما يعود - نمطه المتقدم فريد، وأسلوبه العصري تليد.

إذا تأملت تفسيره ولو من بُعد! ألفيت عقلًا راجحًا، ورأيًا صائبًا، وسعة فكر، وقوة بيان، وحجة قوية، وبرهانًا قاطعًا، ولا غرو ؛ فهو سليل العلم ومعدن الفهم، علم وخبرة وذوق وملكة.. صحة مدارك وقوة مقاصد.

قال عن هذا التفسير الشيخ إبراهيم الحمد : «من أعظم ما ألف في هذا الشأن - أي : علم التفسير - في العصور المتأخرة ما رقمته يراعة العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله وذلك في تفسيره المعروف بـ : التحرير والتنوير، فهو تفسير عظيم حافل بما لذ وطاب من العلوم»[1].

---

(1) يُنظر : منهج ابن عاشور (ص : 3).

التعريف بتفسير التحرير والتنوير وطريقة مؤلفه فيه :

كتاب (التحرير والتنوير من التفسير) هو مختصر من اسمه الأصلي : «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» كما تقدم في المبحث الأول.

وقد احتوى التفسير على خلاصة آراء العلامة الطاهر ابن عاشور الاجتهادية والتجديدية ؛ إذ استمر في هذا التفسير ما يقرب من خمسين عاماً.

وفي هذا الكتاب الكبير دافع الإمام ابن عاشور رحمه الله عن مقاصد الإسلام ومعانيه، وشرائعه ومبانيه، حارب الشرك وأشكاله، والكفر وضروبه، حبّب المسلمين في السنة ورغبهم في التمسك بها، وحذّرهم البدعة ونفّرهم منها.

عظّم الله وأوامره، وأجلّ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأهل بيته من قرابته وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين.

شنع على المبتدعة وأهل الضلال، أصحاب الفطر المنكوسة والآراء المضللة، ورد على الزنادقة أعداء الملة المحمدية، وبين منهجهم وفضح باطلهم، بأجلى عبارة وأمتن بيان.

منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره :

1- يقول الإمام الطاهر ابن عاشور - مبيناً مراده من التفسير - ما نصه :

«فجعلت حقًا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ؛ فإن الاقتصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد.

ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعولة في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضر كثير، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علما بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة»[1].

(1) التحرير والتنوير (7/1).

2- إن الخطوات التي سلكها ابن عاشور في تفسيره لسور القرآن، تتمثل في أنه يستهل السورة بتقديم يذكر فيه اسم السورة، وما يتعلق به من قريب أو بعيد، ويدعم ذلك بالروايات التي وردت في الموضوع.

ففي سورة النور - مثلاً - يقول رحمه الله : «سميت هذه السورة (سورة النور) من عهد النبي صلى الله عليه وسلم. روي عن مجاهد قال رسول الله : (علموا نساءكم سورة النور) ولم أقف على إسناده. وعن حارثة بن مضر : (كتب إلينا عمر بن الخطاب أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور). وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة ولا يعرف لها اسم آخر. ووجه التسمية أن فيها آية : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور : 35]»[1].

3- ثم يتدرج المؤلف إلى تاريخ السورة، ثم يشرح مقاصدها، ويتوقف عند أحكامها وما أثارته من موضوعات شتى، كحقوق الأقارب، وأحكام الزواج والصلاة والجهاد، ومؤامرات اليهود والمنافقين، ومن دار في فلكهم، مع حث على التحاب ونهي عن الحسد والبغضاء.

4- ثم يشرع في التفسير آية آية، مبيناً ما في القرآن من وحدة موضوعية، وترابط بين آياته ترابطاً محكماً، ثم يكلل ذلك بالمعنى الإجمالي.

5- ثم يركز على بيان معاني الألفاظ، واستعمالاتها في حالتي الحقيقة والمجاز، وما يعتريها من كناية، وحالات إعرابها وما يترتب على ذلك الاختلاف من نتائج.

6- ولم يكن نمط تفسير القرآن بالقرآن هو الذي يشغل الحيز الأكبر من تفسير التحرير والتنوير، بل هذا النمط يكاد يكون منعدماً، إلا في مواضع يسيرة ذكرها الإمام الطاهر في تفسيره، ومن مواضع تفسير ابن عاشور للقرآن بالقرآن - وهي تكاد تكون نادرة وغير مباشرة - ما قال عند قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة : 208] حيث أتى ببعض التفسيرات لهذه الآية، ثم قال : «وقيل : أريد بالذين آمنوا الذين أظهروا الإيمان، فتكون خطاباً للمنافقين.

---

(1) المرجع السابق (139/81).

فيؤوَّل قوله : (الذين آمنوا) بمعنى : أظهروا الإيمان، فيكون تهكماً بهم، على حد قوله : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر : 6] فيكون خطاباً للمنافقين»[1].

ومن ذلك أيضاً قوله: «والعلو في قوله : ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : 4] مجاز[2] في الطغيان والعصيان، كقوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص : 4] وقوله : ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان : 31] وقوله : ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل : 31] تشبيهاً للتكبر والطغيان بالعلو على الشيء ؛ لامتلاكه تشبيه معقول بمحسوس»[3].

7- أما ما يتعلق بتفسير الآيات بالأحاديث المأثورة، فقد سلك فيه الإمام الطاهر نفس مَسْلَكِ التأويل بالقرآن، فهو لا يكثر من الأحاديث المبينة للآية المراد تفسيرها، وإذا ذكر بعض الأحاديث فإنه يذكرها بدون تخريج، إلا في القليل النادر، وربما نقد الأحاديث ثم تناقض.

8- والإمام الطاهر يرى أن الوقوف في تفسير الآيات على الآثار الواردة فقط خطأ بين، وينتقد بشدة المفسرين الذين التزموا في تفسيرهم بالمأثور فقط، فيقول : «أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب أن لا يعدو ما هو مأثور، فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها، ولم يضبطوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر، فإن أرادوا به ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسير بعض آيات، إن كان مروياً بسند مقبول من صحيح أو حسن، فإذا التزموا هذا الظن بهم فقد ضيقوا سعة معاني القرآن، وينابيع ما يستنبط من علومه، وناقضوا أنفسهم فيما دونوه من التفاسير، وغلطوا سلفهم فيما تأولوه، إذ لا ملجأ لهم من الاعتراف بأن أئمة المسلمين من الصحابة فمن بعدهم لم يقصروا أنفسهم على أن يرووا ما بلغهم من تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد سأل عمر بن الخطاب أهل العلم عن معاني آيات كثيرة ولم يشترط عليهم أن يرووا له ما بلغهم في تفسيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(1) المرجع السابق (277/2).

(2) هناك خلاف بين العلماء في مسألة المجاز، ليس هذا مجال بحثه. يُنظر : مجموع الفتاوى (7/90-96)، مختصر الصواعق المرسلة (ص : 231)، وكتاب دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للعلامة الشنقيطي فقد كفى وشفى في الكلام عن هذه المسألة.

(3) التحرير والتنوير (30/15).

وإن أرادوا بالمأثور ما روي عن النبي وعن الصحابة خاصة، وهو ما يظهر من صنيع السيوطي في تفسيره الدر المنثور، لم يتسع ذلك المضيق إلا قليلاً، ولم يغن عن أهل التفسير فتيلاً؛ لأن أكثر الصحابة لا يؤثر عنهم في التفسير إلا شيء قليل، سوى ما يروى عن علي بن أبي طالب على ما فيه من صحيح وضعيف وموضوع، وقد ثبت عنه أنه قال: «ما عندي مما ليس في كتاب الله شيء إلا فهماً يؤتيه الله»[1].

وما يروى عن ابن مسعود[2] وعبد الله بن عمر وأنس وأبي هريرة[3].

وأما ابن عباس[4] فكان أكثر ما يروى عنه قولاً برأيه، على تفاوت بين رواته.

وإن أرادوا بالمأثور ما كان مروياً قبل تدوين التفاسير الأول، مثل ما يروى عن أصحاب ابن عباس وأصحاب ابن مسعود، فقد أخذوا يفتحون الباب من شقه، ويقربون ما بعد من الشقة، إذ لا محيص لهم من الاعتراف بأن التابعين قالوا أقوالاً في معاني القرآن لم يسندوها، ولا ادعوا أنها محذوفة الأسانيد، وقد اختلفت أقوالهم في معاني آيات كثيرة، اختلافاً ينبئ إنباء واضحاً بأنهم تأولوا تلك الآيات من أفهامهم، كما يعلمه من له علم بأقوالهم، وهي ثابتة في تفسير الطبري ونظرائه، وقد التزم الطبري في تفسيره أن يقتصر على ما هو مروي عن الصحابة والتابعين، لكنه لا يلبث في كل آية أن يتخطى ذلك إلى اختياره منها، وترجيح بعضها على بعض بشواهد من كلام العرب، وحسبه بذلك تجاوزاً لما حدده من الاقتصار على التفسير بالمأثور، وذلك طريق

(1) سيأتي لفظ الحديث وتخريجه (ص: 278) من هذا البحث.

(2) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، أمره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. يُنظر: التقريب (3613).

(3) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحافظ الصحابة، مشهور بكنيته، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً، كان حافظاً متثبتاً ذكياً مفتياً، صاحب صيام وقيام، وكان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. قدم المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة (7هـ)، ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (59هـ). ينظر: تهذيب الكمال (34/366-378)، الأعلام (3/308).

(4) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو العباس، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنوات، لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار صحابته من بعده، كان يلقب بحبر الأمة، كف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها سنة (68هـ). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (4/141-151)، الأعلام (4/95).

ليس بنهج، وقد سبقه إليه بقي بن مخلد[1] ولم نقف على تفسيره، وشاكل الطبري فيه معاصروه، مثل ابن حاتم[2] وابن مردويه[3] والحاكم[4]، فلله در الذين لم يحبسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور، مثل الفراء[5] وأبي عبيدة[6] من الأولين، والزجاج[7] والرماني[8] ممن بعدهم،

(1) بقي بن مخلد بن يزيد الاندلسي، القرطبي، أبو عبد الرحمن، محدث، حافظ، مفسر، فقيه مجتهد. ولد في رمضان سنة (201هـ)، ورحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد، ثم رجع إلى الأندلس فملأها علماً، توفي بها لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة (276هـ). من آثاره : تفسير القرآن، كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، والمسند. يُنظر : سير أعلام النبلاء (13/285-296)، الأعلام (2/60)، معجم المؤلفين (3/53).

(2) الظاهر أنه خطأ مطبعي، والصحيح زابن أبي حاتمس، وهو أبو محمد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (240-327هـ)، الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام، كان منزله في درب حنظلة بالري، وإليهما نسبته، له تصانيف، منها : الجرح والتعديل، تفسير ابن أبي حاتم. يُنظر : لسان الميزان (3/432)، الأعلام (3/324).

(3) أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر، ويقال له ابن مردويه الكبير، ولد سنة(323هـ)، حافظ مؤرخ مفسر، من أهل اصبهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) ومسند ومستخرج في الحديث. توفي سنة (410هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (17/308)، الأعلام (1/261).

(4) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه. مولده سنة (321هـ)، ووفاته سنة (405هـ) في نيسابور. رحل إلى العراق سنة (341 هـ)، وولي قضاء نيسابور سنة (349هـ) ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع. صنف كتبا كثيرة جداً منها : تاريخ نيسابور، المستدرك على الصحيحين، وتسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، ومعرفة علوم الحديث. يُنظر : سير أعلام النبلاء (17/162-177)، وفيات الأعيان (4/280)، الأعلام (17/172).

(5) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء (144-207هـ) : اشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفراء، فقيل : لأنه كان يفري الكلام. إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنيه، من تصانيفه : المقصور والممدود، معاني القرآن، المذكر والمؤنث، ما تلحن فيه العامة، مشكل اللغة. الأعلام (8/145-146).

(6) معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري، أبو عبيدة النحوي (110-209هـ)، من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. له تصانيف كثيرة، منها : نقائض جرير والفرزدق، مجاز القرآن، معاني القرآن، إعراب القرآن. ينظر : الأعلام (7/272).

(7) إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج : عالم بالنحو واللغة. ولد سنة (241هـ) ومات سنة (311هـ) في بغداد، من كتبه : معاني القرآن، والاشتقاق، وخلق الإنسان، والمثلث، وإعراب القرآن. يُنظر : الأعلام (1/40).

(8) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني : باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده سنة (296هـ) ووفاته سنة (384هـ) ببغداد. من تصانيفه : الأكوان، المعلوم والمجول، الأسماء والصفات، صنفة الاستدلال، معاني الحروف، النكت في إعجاز القرآن. يُنظر : الأعلام (4/317).

ثـــم الــذيـــن ســلــكـــوا طــريــقــهـــم مــثـــل الــزمخشـــــري[1] وابـــن عطيـــة[2]»[3].

9- وهو - أي : العلامة الطاهر بن عاشور - يتعرض لذكر أسباب النزول، وقد أفرد لها المقدمة الخامسة، حيث تكلم فيها عن فوائدها، وأنكر على من توسع فيها وخلط الغث بالسمين.

10- أما أقوال الصحابة والتابعين فلا يكثر نقلها، وهو في نقله غالباً تابع لابن عطية والرازي ونحوهما، لا عن المصادر الأساسية، وأما أكثر نقوله فهي عن المتأخرين أمثال الرازي والغزالي[4] وصاحب الكشاف والسكاكي[5] والسيالكوتي[6] والتفتازاني[7] ونحوهم.

---

(1) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (467-538هـ) : من أئمة المعتزلة. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها. من أشهر كتبه : الكشاف، وأساس البلاغة، والمفصل، والفائق في غريب الحديث. يُنظر : الأعلام (178/7).

(2) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد : مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة. من تصانيفه : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، توفي سنة (514هـ) أو (546هـ). يُنظر : الأعلام (282/3).

(3) التحرير والتنوير (1/32-33).

(4) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد (450-505هـ)، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه : إحياء علوم الدين، والمستصفى من علم الأصول، والوجيز في فروع الشافعية، والمنقذ من الضلال. ينظر : الأعلام (22/7).

(5) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين : عالم بالعربية والأدب. مولده سنة (555هـ) ووفاته سنة (626هـ) بخوارزم. من كتبه : مفتاح العلوم. يُنظر : الأعلام (222/8).

(6) عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي : من أهل سيالكوت التابعة للاهور، بالهند. اتصل بالسطان (شاهجان) فأكرمه وأنعم عليه بضياع كانت تكفيه مؤنة السعي للعيش. توفي سنة (1067هـ). له تآليف، منها : عقائد السيالكوتي، وحاشية على تفسير البيضاوي، وزبدة الأفكار، حاشية على شرح العقائد النسفية، وحاشية على الجرجاني، في المنطق. يُنظر : الأعلام (283/3).

(7) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين : من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. كانت في لسانه لكنة. من كتبه : تهذيب المنطق، والمطول، في البلاغة، والمختصر، اختصر به شرح تلخيص المفتاح، ومقاصد الطالبين، في الكلام، وشرح العقائد النسفية، وحاشية على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، والتلويح إلى كشف غوامض التنقيح. توفي سنة (793هـ). يُنظر : الأعلام (219/7).

11- والمصنف يتعرض للسيرة والأمور التاريخية في مناسبات كثيرة، منها ما ذكره في أسارى بدر، وما ذكره عن شهور العرب، وإطالته فيها تحت قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾[البقرة : 185].

12- أما عن منزلة اللغة من تفسيره فقد قال : «وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال»[1].

ويقول : «واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة، بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة»[2].

ويقول : «إن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغًا حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في الآية المفسرة، بمقدار ما تسمو إليه الهمة من تطويل واختصار»[3].

13- أما عن منهجه في إيراد أوجه القراءات الواردة في الكلمة فيقول : «لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن حتى في كيفيات الأداء، لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك؛ لأن علم القراءات علم جليل مستقل، قد خص بالتدوين والتأليف، وقد أشبع فيه أصحابه وأسهبوا بما ليس عليه مزيد، ولكني رأيتني بمحل الاضطرار إلى أن ألقي عليكم جملاً في هذا الغرض، تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير، ومراتب القراءات قوة وضعفاً، كي لا تعجبوا من إعراضي عن ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير»[4].

14- والإمام رحمه الله يستطرد كثيراً في المسائل الفقهية والأصولية، ويقول بالنسخ، وله في تفاصيله تفردات، ومن ذلك قوله – معللاً بقاء تلاوة المنسوخ حكماً – :

«وقد بدا لي دليل قوي على هذا، وهو بقاء الآيات التي نسخ حكمها وبقيت متلوة من القرآن ومكتوبة في المصاحف، فإنها لما نسخ حكمها لم يبق وجه لبقاء تلاوتها

(1) التحرير والتنوير (8/1).
(2) المرجع السابق (8/1).
(3) المرجع السابق (102/1).
(4) المرجع السابق (51/1).

وكتبها في المصاحف، إلا ما في مقدار مجموعها من البلاغة، بحيث يلتئم منها مقدار ثلاث آيات متحدى بالإتيان بمثلها، مثال ذلك آية الوصية[1] في سورة العقود[2]»[3].

ومن كلامه في النسخ قوله: »وقد اتفق علماء الإسلام على أن الوصية لا تكون لوارث ؛ لما رواه أصحاب السنن عن عمرو بن خارجة، وما رواه أبو داود[4] والترمذي[5] عن أبي أمامة[6]، كلاهما يقول: سمعت النبي قال : (إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث). وذلك في حجة الوداع، فخص بذلك عموم الوالدين، وهذا التخصيص نسخ؛ لأنه وقع بعد العمل بالعام، وهو وإن كان خبر آحاد فقد اعتبر من قبيل المتواتر ؛ لأنه سمعه الكافة وتلقاه علماء الأمة بالقبول»[7].

15- وقد اهتم الإمام الطاهر بالعلوم الحديثة، والرياضة والفلسفة، والمعجزات الكونية – على الرغم من استنكاره على المفسرين الحشو والنقل غير الدقيق – فحشا بها تفسيره، ومن ذلك قوله : «قال ابن عرفة : كان بعضهم يقول : القرآن يشتمل على ألفاظ يفهمها العوامّ وألفاظ يفهمها الخواص، وما يفهمه الفريقان، ومنه هذه الآية[8] ؛ فإنّ الإيلاج يشمل الأيام التي لا يفهمها إلاّ الخواص والفصولَ التي يدركها سائر العوام»[9].

---

(1) وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴾ [المائدة : 601].

(2) المقصود بها سورة المائدة ؛ سميت بهذا الاسم لقوله تعالى في مطلع السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾.

(3) التحرير والتنوير (104/1).

(4) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني، أبو داود ثقة حافظ مصنف السنن أحد الكتب الستة وغيرها، توفي سنة (275هـ). يُنظر : التقريب (2533)، الأعلام (122/2).

(5) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، أبو عيسى صاحب الجامع أحد الأئمة مات سنة (297هـ). يُنظر : التقريب (6206)، الأعلام (322/6).

(6) أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، أبو أمامة معروف بكنيته معدود في الصحابة له رؤية ولم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون. يُنظر : التقريب (402).

(7) التحرير والتنوير (150/2).

(8) الآية هي قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [آل عمران: 72]. والإيلاج هو إدخال الشيء في الشيء. قال ابن كثير في تفسيره (284/3) : (ومعنى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا، فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء، وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف).

(9) التحرير والتنوير (214/3).

ومن شغفه أيضا بالكونيات كلامه عن الحديد، وأصنافه وصدئه وأكسيده وأماكن وجوده، وما وجد منه في مدافن الفراعنة بمنفيس وغير ذلك، مما تميز به عمن سبقه من المفسرين[1].

16- وأفرد المصنف المقدمة الرابعة فيما يحق أن يكون غرض المفسر، فذكر ثمانية أمور وهي : إصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، والتشريع، وسياسة الأمة، والتأسي بأخبار الأمم، والتعلم والوعظ، والإعجاز بالقرآن.

17- كما جعل المقدمة السابعة : في قصص القرآن وفوائده، وذكر عشر فوائد، كما ذكر حكمة تكرار القصة في مواضع عدة.

فهذا باختصار هو منهج الإمام في تفسيره، وهذا هو الطريق الذي مشى عليه رحمه الله.

مقدمات تفسير التحرير والتنوير :

استهل الإمام الطاهر ابن عاشور تفسيره بعشر مقدمات نافعة، كرسها لعلوم القرآن وهي كالتالي :

المقدمة الأولى : في التفسير والتأويل.

المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور، ومعنى التفسير بالرأي.

المقدمة الرابعة : غرض المفسر.

المقدمة الخامسة : أسباب النزول.

المقدمة السادسة : في القراءات.

المقدمة السابعة : القصص القرآني.

المقدمة الثامنة : ما يتعلق باسم القرآن وآياته.

المقدمة التاسعة : المعاني التي تتحملها جمل القرآن.

المقدمة العاشرة : في إعجاز القرآن.

---

(1) يُنظر : المرجع السابق (15/126-127).

مصادره في تفسيره التحرير والتنوير :

أهم التفاسير التي اعتمدها مصادر لتفسيره هي التالية :

1. جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن جرير الطبري رحمه الله.

2. الكشاف للزمخشري رحمه الله.

3. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية رحمه الله.

4. مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير) لمحمد بن عمر الرازي رحمه الله.

5. جامع أحكام القرآن للقرطبي رحمه الله.

6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي رحمه الله[1].

7. (الكشف) وهو حاشية على الكشاف لعمر بن عبد الرحمن بن عمر القزويني رحمه الله[2].

8. أنوار الحقائق الربانية في تفاسير الآيات القرآنية لمحمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني رحمه الله[3].

9. حاشية على الكشاف لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني رحمه الله.

---

(1) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي : قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. صرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها. من تصانيفه : أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، لب اللباب في علم الأعراب. توفي سنة (685هـ). الأعلام (110/4).

(2) عمر بن عبد الرحمن بن عمر البهبهائي الكناني القزويني الفارسي، سراج الدين : فاضل، مات شابا، عن 37 أو 38 عاما سنة (745هـ). من تصانيفه : الكشف على الكشاف. يُنظر : الأعلام (49/5).

(3) محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) ابن أحمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الاصفهانى، أو الأصبهاني : مفسر، كان عالماً بالعقليات. ولد سنة (674هـ) وتعلم في أصبهان. ورحل إلى دمشق، وانتقل إلى القاهرة، فاستمر فيها إلى أن مات بالطاعون. من كتبه : شرح فصول النسفي، ومطالع الأنظار في شرح طوالع الأنوار للبيضاوي، وناظرة العين، توفي سنة (749هـ). يُنظر : الأعلام (176/7).

10. تفسير ابن عرفة (من تقييد تلميذه الأبي[1]) لمحمد بن عرفة[2] رحمه الله.

11. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود رحمه الله[3].

12. حاشية على تفسير البيضاوي لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي رحمه الله[4].

13. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي رحمه الله[5].

14. تفسير القرآن لمحمد عبده رحمه الله.

وقد وقف منها الشيخ الإمام الطاهر ابن عاشور موقف الناقد الحصيف، فالكشاف نقده الشيخ، وتتبعه في تقص دقيق، وكذلك غيره من التفاسير، فلا يورد اقتباساً منها إلا ويعقب عليها بالنقد والترجيح والتعديل، ويضيف إلى ما قاله المفسرون إضافات تمتاز بالجدة والتحقق والنفاذ إلى مرامي الكتاب العزيز[6].

---

(1) محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاني المالكي : عالم بالحديث، نسبته إلى (أُبّة) «اسم مدينة بإفريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام» من تصانيفه : إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم «جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة»، شرح المدونة، توفي بتونس سنة (827هـ). الأعلام (115/6).

(2) محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي، أبو عبد الله (716-803هـ) : إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره، مولده ووفاته فيها، من كتبه : تفسير ابن عرفة، المختصر الكبير، المختصر الشامل، مختصر الفرائض، المبسوط، الطرق الواضحة في عمل المناصحة، الحدود. ينظر : الأعلام (43/7).

(3) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود : مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد سنة (898هـ) بقرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، وهو صاحب التفسير المعروف باسمه، وقد سماه : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ومن كتبه : تحفة الطلاب، ورسالة في المسح على الخفين، توفي سنة (982هـ). يُنظر : الأعلام (59/7).

(4) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري : قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد سنة 977هـ) ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاء يعيش منه فاستقر إلى أن توفي سنة (1069هـ). من أشهر كتبه : شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، وشرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، وعناية القاضي وكفاية الراضي، حاشية على تفسير البيضاوي. يُنظر : الأعلام (238/1).

(5) محمود بن عبد الله الحسينى الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء (1217-1270هـ) مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. من كتبه : روح المعاني، الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية. ينظر : الأعلام (176/7).

(6) يُنظر : شيخ الجامع الأعظم (ص : 77-78).

الفصل الثاني

موقف ابن عاشور من الشيعة إجمالاً



الفصل الثاني

موقف ابن عاشور من الشيعة إجمالاً

تعرض العلامة الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله للشيعة من خلال كتبه ورسائله في غير كتابه التفسير، وسأشير هنا إشارات إلى بعض مناقشاته للشيعة وأقواله فيهم ؛ هذه الفرقة التي أتت في الإسلام بأمور خالفت بها أصوله وأحكامه، وضللت بسببها علماءه وأهل السابقة والفضل فيه.

1) مناقشة أسانيد ومتون مرويات حديث : (أولية خلق النور المحمدي) ورَدُّه سندًا ومتنًا، روايةً ودرايةً[1].

2) مناقشته لأحاديث المهدي عند الشيعة رواية ودراية عامة، وأزرى بالشيعة، وبين فساد أقوالهم فيه، وجهلهم بالمنقولات، وبعدهم عن تمحيص الآثار والروايات[2].

3) في نتف من كلامه رحمه الله في كتابه الذي سخّر قلمه فيه لرفع راية الإصلاح الديني والعلمي والاجتماعي، متفائلًا بقرب الصبح، فوسمه بـ (أليس الصبح بقريب)، ولكن عكر على الإصلاح في العالم الإسلامي وجود بعض الدعوات المشبوهة والمذاهب الهدامة، من الباطنية والإسماعيلية والشيعة الغلاة بشتى فرقهم وغيرها.

فتطرق رحمه الله إلى هذه المذاهب بشيء من الاقتضاب، وإليك بعضًا منها :

أ) قال رحمه الله في معرض كلامه عن تخلف بعض الديار من أفريقية والأندلس، وأن سببه يعود للتسلط المذهبي المقيت من الشيعة آنذاك فقال : «كان ظهور الدولة العبيدية بالقيروان سنة : (297هـ) الحائل الحقيقي بين أهل أفريقية وبين الزيادة من العلوم، وتقدمت الأندلس تقدمها السريع على القيروان، فإن العبيديين لما كانوا

(1) يُنظر : تحقيقات وأنظار (151-156).

(2) يُنظر : المرجع السابق (49-60).

ينتحلون نحلة الشيعة، أظهروا بدعًا وأوهامًا وأماني من الأوهام، لم تكن معلومة لأهل العلم بالقيروان، الذين لم يزالوا إلى يومئذ على السنة، فحدث بسبب ذلك التنكر بين أتباعهم وبين علماء القيروان، وابتدأ الأمر بالفتنة القولية، ثم انتهى بالضغط والاضطهاد، وبتحقير علماء السنة وتولية القضاة وأضرابهم من الشيعة... - إلى أن قال- : وكان علماء القيروان يتسترون من الاضطهاد، خصوصًا في زمن إسماعيل العبيدي الملقب بالمنصور (سنة : 331هـ) الذي تجاهر بمناوأة أهل العلم وهم أهل السنة والفقه، وأغرى بهم حثالة أتباع مذهبه من الشيعة... إلخ»[1].

ب) وقال رحمه الله في ثنايا كلامه عن علم التفسير، وأن سبب الدس فيه من الشيعة فقال : «... وأما الطرق عن علي بن أبي طالب فإن أكثرها واه، إلا ما صحّ بسند بريء من التهمة ؛ لأن الشيعة قد أكثروا الرواية عنه بأسانيد أكثرها واه، وكذلك ما يروونه عن أئمة أهل البيت في تفسير كثير من آي القرآن، وكثير من ذلك في تفسير مجمع البيان للطبرسي... إلخ»[2].

رحم الله إمامنا ابن عاشور، ففي عصره لم يصل إليه إلا تفسير الطبرسي هذا، وهو مؤلف كما يعلم الباحثون على مذهب التقية !! وهو الذي يوزعه الشيعة الإثنا عشرية الآن على أهل السنة من علماء وأكاديميين، فكيف لو وقف الإمام على تفسير القمي[3]، والبرهان للبحراني، وتفسير الصافي !

ج) قال رحمه الله في سياق كلامه عن أسباب الضعف في عرض التفسير، وذلك في : «... وكذا ما يحرِّف به غلاة الشيعة الكلم عن مواضعه، في نحو : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل : 12] فقرأها بعضهم : (إن عليًّا للهدى). وقولهم : إن أهل البيت في آية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرا﴾ [الأحزاب :33] هم خصوص فاطمة وعلي وحسن وحسين وعباس، وكلمة : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب : 34] تبطل ما صنعوه... إلخ»[4].

(1) أليس الصبح بقريب (ص : 69).
(2) المرجع السابق (ص : 187).
(3) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، أبو الحسن، مفسر وفقيه من الشيعة الرافضة، أخذ عنه الكليني. من تصانيفه : تفسير القرآن، الناسخ والمنسوخ، أخبار القرآن ورواياته، كتاب الحيض، كتاب الشرائع. يُنظر : معجم المؤلفين (7/9).
(4) أليس الصبح بقريب (ص : 189).

الفصل الثالث

موقف ابن عاشور من الشيعة

من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)



الفصل الثالث

موقف ابن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)

تصدى الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله لأهل البدع والضلال كالإمامية الإثني عشرية وغيرهم، وبين ضلالهم وانحرافهم في كثير من كتبه، ولما كان كتاب (التحرير والتنوير من التفسير) هو أهم كتب الإمام الطاهر رحمه الله وأشهرها، وهو الكتاب الذي احتوى على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية ؛ حيث استمر في تأليفه ما يقرب من خمسين عاماً.

أفردت الكلام عن المواضع التي رد فيها على الشيعة في عقائدهم ومفترياتهم في مبحث مستقل، وقمت بالتعليق عليها، فأوضح معنى هذه العقيدة عندهم، وأذكر رواياتهم عن أئمتهم وأقوال علمائهم التي تثبت قولهم بهذه العقيدة من كتبهم، وأتبع ذلك ببيان العقيدة الحقة عقيدة أهل السنة والجماعة، مستقاة من كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأقوال علماء السنة في ذلك، وأتطرق أحياناً إلى الرد على بعض هذه العقائد؛ ولم ألتزم الرد على كل عقائدهم؛ لأن غالب عقائد الشيعة الإثني عشرية يكفي عرضها وتوضيحها في بيان بطلانها وانحرافها وضلالها.

[الموضع الأول]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في المجلد الأول (ص : 61) من تفسيره، عند كلامه على القراءات في المقدمة السادسة :

«... وقرأ بعض الرافضة : ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلَّيْنَ عَضُدًا﴾ [الكهف : 51] بصيغة التثنية، وفسروها بأبي بكر وعمر حاشاهما، وقاتلهم الله» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : وهذا مذهب وعقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، فهم يكفِّرون ويلعنون جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، وعلى رأسهم الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وسوف نذكر هنا بعضاً من أقوالهم وعقائدهم في الشيخين خاصة، أما أقوالهم وعقائدهم في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة، والتي يدخل فيها الشيخان دخولاً أولياً فسنرجئ الكلام عنها إلى التعليق على الموضع الثامن[2].

زعم الشيعة الإثني عشرية وجوب لعن الشيخين والبراءة منهما :

يوجب الشيعة الإثنا عشرية لعن الشيخين : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أن أئمتهم قد لعنوهما :

فقد نسبوا إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما قام إليه أحد الناس، وطلب منه أن يبايعه على ما عمل أبو بكر وعمر، مدَّ يده، وقال له : «اصفق، لعن الله الاثنين»[3].

وزعم سليم بن قيس[4] في كتابه السقيفة : «أن عليًّا كان يلعن الشيخين دائمًا»[5].

(1) يُنظر : (ص : 305-307) من هذا البحث.

(2) يُنظر : (ص : 305-309) من هذا البحث.

(3) يُنظر : بصائر الدرجات الكبرى (ص : 412)، والاختصاص (ص : 312).

(4) سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي، كان من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعاش في الكوفة إلى أن دخل الحجاج الثقفي العراق، وسأل عنه، فهرب إلى النوبندجان من بلاد فارس، ولجأ إلى دار أبان بن أبي عياش فيروز، فآواه أبان، فمات عنده. له (كتاب السقيفة) طبع باسم (كتاب سليم بن قيس الكوفي) وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة وتعول عليها، توفي سنة (85هـ). يُنظر : الأعلام (119/3).

(5) السقيفة (ص : 194).

وفي بحار الأنوار عن الحسين بن ثوير وأبي سلمة السراج، قالا : «سمعنا أبا عبد الله عليه السلام وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء : التيمي والعدوي وعثمان ومعاوية، ويسميهم...»[1].

وقد أنشأ الشيعة الإثنا عشرية أدعية عديدة في لعن الشيخين رضي الله عنهما، ذكروها في كتبهم، ووضعوا في فضلها أحاديث كثيرة، ترغيبًا لشيعتهم في قراءتها، والإكثار من ترديدها والدعاء بها.

وسأذكر منها :

الدعاء المسمى بـ «دعاء صنمي قريش» :

هذا الدعاء يعتبره الشيعة الإثنا عشرية من الأدعية الخاصة في لعن الشيخين : أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وابنتيهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما زوجتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو دعاء طويل، ومما جاء فيه :

«اللهم العن صنمي قريش، وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، وواليا أعداءك، وخربا بلادك، وأفسدا عبادك، اللهم العنهما وأنصارهما، فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره، من وصيه ووارثه، وجحدا نبوته، وأشركا بربهما، فعظم ذنبهما، وخلدهما في سقر، وما أدراك ما سقر ؟ لا تبقي ولا تذر، اللهم العنهما بعدد كل منكر أتوه، وحق أخفوه، ومنبر علوه، ومنافق ولوه، ومؤمن أرجوه، وولي آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه، وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه، وشر أضمروه، ودم أراقوه، وخبر بدلوه...إلخ»[2].

وزعم الإثنا عشرية أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يقنت في صلاة الوتر بهذا الدعاء، ونسبوا إليه أنه قال عنه : «إن الداعي به كالرامي مع النبي صلى الله عليه وسلم في بدر وحنين بألف ألف سهم»[3].

(1) بحار الأنوار (397/30).

(2) يُنظر : المرجع السابق (260/82-261).

(3) يُنظر : علم اليقين (701/2)، وفصل الخطاب(ص : 221-222)، وبحار الأنوار (631/31) (260/82).

ونسبوا إليه كذلك رضي الله عنه قوله عن هذا الدعاء : «إنه من غوامض الأسرار، وكرائم الأذكار»[1].

وزعموا أنه رضي الله عنه كان يواظب عليه في ليله ونهاره وأوقات أسحاره[2].

ونسبوا إلى بعض أئمتهم في فضل هذا الدعاء : أن من قرأه مرة واحدة «كتب الله له سبعين ألف حسنة، ومحا عنه سبعين ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف درجة، ويقضى له سبعون ألف ألف حاجة»[3].

وأن من يلعن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في الصباح لم يكتب عليه ذنب حتى يمسي، ومن لعنهما في المساء لم يكتب عليه ذنب حتى يصبح[4].

وقد اهتم الإثنا عشرية بهذا الدعاء اهتمامًا كبيرًا، واعتبروه من الأدعية المشروعة، وعمدوا إلى شرحه، فبلغت شروحه أكثر من عشرة شروح[5].

وقد ذكر مصنفو الإثني عشرية هذا الدعاء - بعضه أو كله - في مصنفاتهم، فممن ذكره كله : الكاشاني في كتابه علم اليقين[6]، والنوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب[7]، وأسد الله الطهراني الحائري في مفتاح الجنان[8]، وسيد مرتضى حسين في صحيفة علوية[9]، ومنظور بن حسين في تحفة العوام مقبول[10] وغيرهم.

وقد سمّى الشيعة الإثنا عشرية هذا الدعاء بـ : «دعاء صنمي قريش» كما تقدم، لأنّ أوله : «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيها، وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما...إلخ».

---

(1) يُنظر : مرآة العقول (356/4)، وفصل الخطاب (9-10).

(2) يُنظر : مرآة العقول (356/4)، وفصل الخطاب (9-10).

(3) ضياء الصالحين (ص : 513).

(4) المرجع السابق (ص : 513).

(5) الذريعة (192/8).

(6) يُنظر : علم اليقين (701/2-703).

(7) يُنظر : فصل الخطاب (ص : 9-10).

(8) يُنظر : مفتاح الجنان (ص : 113-114).

(9) يُنظر : صحيفة علوية (ص : 200-202).

(10) يُنظر : تحفة العوام مقبول (ص : 213-214).

ومرادهم بصنمي قريش : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، كما صرح الشيعة الإثنا عشرية بذلك في العديد من مصنفاتهم، منهم : الكفعمي[1] في شرحه لهذا الدعاء[2]، والمجلسي في مرآة العقول[3].

وقال الداماد الحسيني وهو يتكلم عن دعاء صنمي قريش : «إن المراد بـ : (صنمي قريش) الرجلان المدفونان مع رسول الله»[4].

وقال الحائري في إلزام الناصب : «صنما قريش هما : أبو بكر وعمر... غصبا الخلافة بعد رسول الله...»[5].

وبعض الشيعة الإثني عشرية لم يصرحوا بأن المراد بهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واكتفوا بالإشارة إلى ألقابهما، بحيث يدرك الشيعي الذي يعرف ألقابهما أنهما المرادان بهذا الدعاء، فالكاشاني: ذكر أن المراد بهما: فرعون وهامان، فقال : «أرذل المخلوقات صنما قريش عليهما لعائن الله.. وهما فرعون وهامان»[6] و(فرعون وهامان) من الألقاب التي يطلقها الشيعة الإثنا عشرية على الشيخين رضي الله عنهما.

وأشار أبو الحسن العاملي إلى أن المراد بهما : «فلان وفلان، أو الجبت والطاغوت»[7]، وكلها من الألقاب التي يطلقها الشيعة الإثنا عشرية على الشيخين.

وهذا الدعاء مليء باللعن والسب والشتم، والدعاء بالويل والنار على الشيخين رضي الله عنهما، وقد ختموا هذا الدعاء بقولهم : «ثم قل أربع مرات : اللهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار..».

وهو مليء أيضًا بالافتراءات المكذوبة، والإفك الواضح، والبهتان المبين، والاتهامات الباطلة الموجهة لأفضل الناس بعد النبيين، الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر رضي الله

---

(1) إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي العاملي الكفعمي، تقي الدين : نسبته إلى قرية (كفر عيما) بناحية الشقيف في لبنان، بجبل عامل، مولده فيها سنة (840هـ)، ووفاته فيها سنة (905هـ). أقام مدة في كربلاء. من مصنفاته : الجنة الواقية، يعرف بمصباح الكفعمي. وحياة الأرواح ومشكاة المصباح، ونهاية الأرب في أمثال العرب. وتاريخ وفيات العلماء. يُنظر : الأعلام (53/1).

(2) يُنظر : مصباح الكفعمي (ص : 552-554).

(3) يُنظر : مرآة العقول (356/4).

(3) يُنظر : إحقاق الحق (ص : 133-134).

(4) إلزام الناصب (95/2).

(5) قرة العيون (ص : 432-433).

(6) يُنظر : مقدمة البرهان للعاملي (ص : 133).

عنهما، مثل : دعواهم أنهما أنكرا الوحي، وحرفا القرآن، وخالفا الشرع، وعطلا الأحكام، وخرّبا البلاد، وأفسدا العباد، وأخربا بيت النبوة، و...، و...، إلى آخر هذا الهذيان الكاذب، والإفك المفترى الذي لا يسعفه برهان، ولا تؤيده حجة.

تبرؤ الشيعة الإمامية الإثنا عشرية من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

إن البراءة من الشيخين رضي الله عنهما تعد من ضروريات مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، فمن لم يتبرأ منهما، فليس من مذهب الشيعة الإثني عشرية في شيء.

قال المجلسي في كتابه الاعتقادات : «ومن ضروريات دين الإمامية البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية...»[1].

بل إن البراءة منهما تعتبر عند الشيعة الإثني عشرية من أسباب ذهاب الأسقام وشفاء الأبدان[2].

وكذا من تبرأ منهم ومات في ليلته دخل الجنة :

روى الكليني في كتابه الكافي عن أحدهما[3] قال : «من قال : اللَّهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك المقرّبين، وحملة عرشك المصطفين أنك أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم، وأن محمدًا عبدك ورسولك، وأن فلانًا إمامي ووليي وأن أباه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي والحسن والحسين وفلانًا وفلانًا حتى ينتهي إليه أوليائي، على ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أبعث يوم القيامة، وأبرأ من فلان وفلان وفلان. فإن مات من ليلته دخل الجنة»[4].

وفلان وفلان وفلان هم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وليس الإثنا عشرية وحدهم الذين يلعنون الشيخين الجليلين : أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويتبرءون منهما، بل هناك خلق آخر - على حد زعم الإثني عشرية - خلقهم الله للعن الشيخين والتبرؤ منهما فقط.

---

(1) الاعتقادات (ص : 17).
(2) إلزام الناصب (9/2).
(3) مصطلح يستعمله الشيعة ويريدون به أحد الإمامين : جعفر الصادق أو أباه الباقر.
(4) الكافي (389/2).

فقد نسب الشيعة الإثنا عشرية إلى جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، وإن من وراء قمركم أربعين قمرًا فيها خلق كثير، لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه، ألهموا إلهامًا لعنة فلان وفلان»[1].

وقد علّق المجلسي على هذه الرواية بقوله : «من فلان وفلان، أي : من أبي بكر وعمر»[2].

خلاصة القول :

الشيعة الإثنا عشرية مجمعون على لعن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والتبرؤ منهما، بل ويوجبون ذلك كما تقدم آنفًا.

ولا ريب في مخالفة هذه الأقوال لما يعتقده أئمتهم في الشيخين رضي الله عنهما خصوصًا وفي الصحابة عمومًا، ولا شك أن ما نسبوه إلى أئمتهم من لعن الشيخين رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة والتبرؤ منهم مكذوب على أولئك الأئمة رحمهم الله؛ فإن موقفهم رحمهم الله واضح وبين كما نقلته كتب السنة والشيعة، وسوف نورد هنا نبذاً من أقوال أولئك الأئمة في الشيخين من كتب السنة والشيعة؛ حتى يعلم مدى افترائهم على أئمتهم وكذبهم عليهم.

موقف أهل البيت من الشيخين في كتب أهل السنة :

1- قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيهما :

نقل عبد الجبار الهمداني[3] في كتاب (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي قال : «سأل سائل شريك بن عبد الله فقال له : أيهما أفضل أبو بكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر. فقال السائل : تقول هذا وأنت شيعي ؟ فقال له : نعم، من

(1) بصائر الدرجات الكبرى (ص : 510)، ويُنظر : بحار الأنوار (196/30).

(2) مرآة العقول (347/4).

(3) عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، أبو الحسين : كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة (415هـ). له تصانيف كثيرة، منها : تنزيه القرآن عن المطاعن، والأمالي، والمجموع في المحيط بالتكليف، وشرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل. يُنظر : الأعلام (273/3-274).

لم يقل هذا فليس شيعياً. والله لقد رقي هذه الأعواد علي فقال : ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر» فكيف نردّ قوله ؟ وكيف نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً»[1].

وذكر هذه القصة الطبراني رحمه الله[2] في معجمه الأوسط وغيره عن علي رضي الله عنه فقال الطبراني : حدثنا إبراهيم قال : نا أمية قال: نا يزيد بن زريع قال : نا إسرائيل، عن حكيم بن جبير قال : قلت لعلي بن حسين : أشهد على عبد خير أنه حدثني أنه، سمع علياً يقول على هذا المنبر : «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وقال : لو شئت لسميت ثالثا»[3].

ولقد أورد الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه جامع الأحاديث ما ذكر عن علي رضي الله عنه في فضل الشيخين رضي الله عنهما وأسند الروايات إلى من خَرَّجها من أرباب الكتب الحديثية، ومنها :

1- عن علي رضي الله عنه قال : «أبو بكر أفضلنا»[4].

2- وعن علي رضي الله عنه قال : «الذي جاء بالحق محمد، وصدق به أبو بكر»[5].

3- وعن علي رضي الله عنه قال : «إن الله جعل أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا والله سبقا بعيداً، وأتعبا من بعدهما إتعاباً شديدا»[6].

4- وعن علي رضي الله عنه قال : «إن الله هو الذي سمى أبا بكر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقاً»[7].

---

(1) منهاج السنة النبوية (86/2).

(2) الامام الحافظ الثقة الرحال الجوال محدث الإسلام علم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة، وله كتب في التفسير، والأوائل، ودلائل النبوة، وغير ذلك، مولده بمدينه عكا في شهر صفر سنة (260هـ). يُنظر : سير أعلام النبلاء (119/16)، الأعلام (121/3).

(3) معجم الطبراني الأوسط (287/6).

(4) أخرجه العشاري في فضائل أبي بكر الصديق (صں105) رقم (27).

(5) أخرجه ابن جرير (3/24)، وابن عساكر (336/30).

(6) أخرجه العشاري في فضائل أبي بكر الصديق (ص 70) رقم (46)، وابن الأثير في أسد الغابة (179/4).

(7) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (24/1) (65).

5- وعن عبيدة السلماني رحمه الله[1] : «أن رجلاً سب أبا بكر وعمر، فأرسل إليه فأتى، فعرض له نعتهما عنده ففطن الرجل، فقال له علي : أما والذي بعث محمداً بالحق لو سمعت منك ما بلغني عنك - أو شهدت عليك البينة - لألقيت أكثرك شعراً يعنى : ضرب العنق»[2].

6- وعن زيد بن وهب رحمه الله[3] : أن سويد بن غفلة دخل على علي في إمارته فقال : «يا أمير المؤمنين ! إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل، فنهض إلى المنبر فقال : والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما ويخالفهما إلا شقي مارق، فحبهما قربة وبغضهما مروق، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه، وصاحبيه، وسيدي قريش، وأبوي المسلمين، فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء، وعليه معاقب»[4].

7- وروى ابن عساكر رحمه الله : «أن علياً بلغه أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر، فدعا به ودعا بالسيف، فهم بقتله فتكلم فيه، فقال : لا تساكنّي في بلد أنا فيه، فنفاه إلى الشام»[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وقد روي عن عليٍّ رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر- رضي الله عنهما -»[6].

2- قول محمد بن الحنفية[7] رحمه الله فيهما :

عن محمد بن علي بن أبي طالب - المعروف بابن الحنفية - رحمه الله قال : «أجمع بنو فاطمة عليهم السلام على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول»[8].

---

(1) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم باليمن أيام فتح مكة، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عريف قومه، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر، كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله. توفي سنة (72هـ). يُنظر : التقريب (4412).

(2) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (264/1) (343).

(3) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل، مات بعد (80هـ). يُنظر : التقريب (2159).

(4) يُنظر : حلية الأولياء (201/7).

(5) يُنظر : تاريخ دمشق (34/7).

(6) منهاج السنة (511/7).

(7) محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو القاسم ابن الحنفية المدني ثقة عالم مات بعد (80هـ). يُنظر : التقريب (6157).

(8) فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض (43/1).

3- قول علي بن الحسين رحمه الله فيهما :

«سئل علي بن الحسين رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومنزلتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : كمنزلتهما اليوم، هما ضجيعاه»[1].

وعنه رحمه الله أنه قال : «أتاني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر، ثم أسرعوا في عثمان فلم يتركوا، فلما فرغوا فقلت لهم : ألا تخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين قال الله عز وجل : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر : 8] ؟ قالوا : لا. قال : أفأنتم من الذين : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر : 9] ؟ قالوا : لا. قلت: أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا واحداً من أحد الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر : 10]»[2].

4- قول محمد الباقر بن علي زين العابدين رحمهما الله :

عن سالم بن أبي حفصة قال : «سألت أبا جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد، عن أبي بكر وعمر عليهما السلام فقالا لي: يا سالم! تولهما وابرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى»[3].

5- قول جعفر بن محمد (الصادق) رحمه الله :

عن سالم بن أبي حفصة قال : قال لي جعفر بن محمد : «يا سالم ! أيسب الرجل جده ؟!

أبو بكر رضي الله عنه جدي، لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما»[4].

---

(1) المرجع السابق (36/1).
(2) المرجع السابق (36/1).
(3) المرجع السابق (33/1).
(4) المرجع السابق (34/1).

6- قول عبد الله بن جعفر[1] رحمه الله فيهما :

قال عبد الله بن جعفر رحمه الله : «رحم الله أبا بكر كان لنا والياً، فنعم الوالي كان لنا، ما رأينا حاضناً قط كان خيراً منه»[2].

وقال رحمه الله : «ولينا أبو بكر رضي الله عنه، فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا»[3].

7- قول الحسن بن محمد بن الحنفية[4] رحمه الله فيهما :

عن الحسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله أنه قال : «يا أهل الكوفة! اتقوا الله ولا تقولوا في أبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل، إن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثاني اثنين، وإن عمر أعز الله به الدين»[5].

8- قول محمد بن عبد الله بن الحسن[6] رحمه الله فيهما :

عن محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله قال : «إنه أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة، فسألوه عن أبي بكر وعمر، فالتفت إلي فقال : انظر إلى أهل بلادك يسألونني عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - لهما عندي أفضل من علي رضي الله عنه»[7].

---

(1) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي أحد الأجواد ولد بأرض الحبشة وله صحبة، مات سنة (80هـ) وهو ابن ثمانين. يُنظر : التقريب (3251).

(2) فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض (31/1).

(3) المرجع السابق (32/1).

(4) الحسن بن محمد بن الحنفية، أبو محمد، وكان من ظرفاء بني هاشم وأهل العقل منهم وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله. يُنظر : الطبقات الكبرى (328/5).

(5) فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض (42/1).

(6) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمي، أبو عبد الله، كان غزير العلم، فيه شجاعة وحزم وسخاء، قتل بالمدينة سنة (145هـ) وهو ابن خمس وأربعين سنة. يُنظر : الثقات لابن حبان (10454)، الأعلام (220/6).

(7) فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض (42/1).

9- قول زيد بن علي بن الحسين رحمه الله فيهما :

كان زيد بن علي رحمه الله يقول : «البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي رضي الله عنهم»[1].

موقف أهل البيت من الشيخين في كتب الشيعة :

إن ما ذكرناه من فضل الشيخين وعلو منزلتهما عند أهل البيت، ليس أمراً منقولاً في كتب أهل السنة فحسب، بل قد ذكر الشيعة أيضاً رواياتٍ في كتبهم عن أئمة آل البيت رضوان الله عليهم تبين مدى حبهم للشيخين، وفيها ذكر لفضلهما وشرفهما، نذكر منها ما يلي :

روى الشريف المرتضى[2] في كتابه الشافي في الحديث : أن علياً رضي الله عنه قال في خطبته : «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»[3].

وروى أيضاً : «أنه عليه السلام خطب بذلك بعدما أنهي إليه أن رجلاً تناول أبا بكر وعمر بالشتيمة، فدعا به وحكم عليه بعقوبة، بعد أن شهدوا عليه بذلك»[4].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مبغضي الصديق رضي الله عنه بعدما يبالغ في مدحه : «فغضب الله على من ينقصه ويطعن فيه»[5].

وفى مبغضي الفاروق رضي الله عنه بعد الثناء العاطر عليه : «وأعقب الله من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين»[6].

وعن علي بن الحسين رحمه الله : «أن نفراً من أهل العراق قدموا عليه فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - فلما فرغوا من كلامهم قال لهم : ألا

(1) المرجع السابق (40/1).
(2) علي بن الحسين بن موسي بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم (355-436 هـ) من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، نقيب الطالبيين. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة، منها : الغرر والدرر يعرف بأمالي المرتضى، والشافي في الإمامة، والانتصار. يُنظر : الأعلام (278/4).
(3) الشافي (ص : 428).
(4) المرجع السابق (ص : 428).
(5) ناسخ التواريخ (143/5)، مروج الذهب (60/3).
(6) ناسخ التواريخ (143/5)، مروج الذهب (60/3).

تخبروني أنتم المهاجرون الأولون : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر : 8] ؟ قالوا : لا. قال : فأنتم ﴿الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر : 9] ؟ قالوا : لا. قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر : 10] اخرجوا عني، فعل الله بكم»[1].

ومحمد الباقر بن علي بن الحسين رحمه الله يقول أيضاً بقولهما، ويرى رأيهما، ولأجل ذلك يثب على من ينكر لقب الصديق لأبي بكر رضي الله عنه ويشدد عليه النكير بقوله : «نعم الصديق، فمن لم يقل له: الصديق، فلا صدَّق الله له قولاً في الدنيا والآخرة»[2].

فما أصدق هذا القول من هؤلاء الأئمة رحمهم الله في صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم كما وصف الله تعالى : ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح : 29].

---

(1) كشف الغمة (78/2).

(2) المرجع السابق (147/2).

[الموضع الثاني]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله (ص : 139) من المجلد الأول، في معرض كلامه عن (البسملة) وخلاف أهل العلم في كونها آية من كل سورة أم لا :

«... قال الباقلاني: لو كانت التسمية من القرآن لكان طريق إثباتها إما التواتر أو الآحاد، والأول باطل؛ لأنه لو ثبت بالتواتر كونها من القرآن لحصل العلم الضروري بذلك، ولامتنع وقوع الخلاف فيه بين الأمة.

والثاني أيضًا باطل ؛ لأن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن، فلو جعلناه طريقًا إلى إثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية، ولصار ذلك ظنيًا، ولو جاز ذلك لجاز ادعاء الروافض أن القرآن دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف».

إلى أن قال رحمه الله في نقل كلام لعبد الوهاب[1] : «... ولذلك قطعنا بمنع أن يكون شيء من القرآن لم ينقل إلينا، وأبطلنا قول الرافضة : إن القرآن حِمْلُ جَمل عند الإمام المعصوم المنتظر» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : أشار العلامة الإمام الطاهر ابن عاشور رحمه الله هنا إلى مسألة تحريف القرآن الكريم التي يعتقدها الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

وسوف أورد في تعليقنا على هذا الموضع جملة من مروياتهم التي تقرر هذا المعتقد وتثبته، ثم أذكر أقوال العلماء من السنة والشيعة في مدى صحة نسبة هذا القول إليهم، وأبين بعد ذلك أنواع التحريف التي يزعمون وقوعها في القرآن، وأختم ذلك ببيان عقيدة أهل السنة والجماعة في كتاب الله سبحانه وتعالى.

---

(1) عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد (362-422هـ) : قاض، من فقهاء المالكية، ولد ببغداد، ثم توجه إلى مصر فعلت شهرته وتوفي فيها. من تصانيفه : التلقين، عيون المسائل، النصرة لمذهب مالك، شرح المدونة، الإشراف على مسائل الخلاف، وهو صاحب البيتين المشهورين :

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشي في أزقتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

الأعلام (184/4).

روايات تحريف القرآن في كتب الإمامية الإثني عشرية :

امتلأت كتب الشيعة الإمامية الإثني عشرية بالروايات الدالة على هذا المعنى، وبأقوال علمائهم التي تقرر هذه العقيدة، وتوضحها وتعترف بها، وقد تقدم معنا[1] أن شيخهم وعلامتهم الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي ألف كتاباً في أواخر القرن الثالث عشر الهجري سماه : فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، سرد فيه أكثر من ألفي رواية عن أئمته دالة على هذا الأمر.

واشتملت كثير من كتبهم على روايات مفتراة ومزعومة أسندوها إلى أئمتهم تثبت تحريف القرآن، ومن تلك الروايات :

ورد في الكافي للكليني عن أبي جعفر الباقر رحمه الله أنه قال : «ما من أحد من الناس يقول : انه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل الله إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده»[2].

وروى شيخهم المفيد في كتابه الإرشاد عن أبي جعفر الباقر رحمه الله أنه قال : «إذا قام قائم آل محمد ضرب فساطيط يعلم فيها القرآن على ما أنزل، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم ؛ لأنه يخالف فيه التأليف»[3].

وروى شيخهم النعماني عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : «كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل، قلت -أي الراوي - : يا أمير المؤمنين ! أو ليس هو كما أنزل ؟ فقال : لا. مُحي منه سبعون من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلا إزراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عمه»[4].

وجاء في مقدمة تفسير علي بن إبراهيم القمي قوله : «فالقرآن منه ناسخ ومنه منسوخ - إلى أن قال - : ومنه حرف مكان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله...»[5].

---

(1) يُنظر : (ص : 81) من هذا البحث.

(2) الكافي (228/1)، بصائر الدرجات (ص : 213).

(3) الإرشاد (ص : 365).

(4) يُنظر : الغيبة للنعماني (ص : 171-172).

(5) تفسير القمي (5/1).

ثم قال : «وأما ما كان على خلاف ما أنزل الله فهو قوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : 110] الآية، فقال أبو عبد الله)[1] عليه السلام لقارئي هذه الآية : «﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي عليه السلام فقيل له: وكيف نزلت يا ابن رسول الله ؟ فقال : إنما نزلت : (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية : ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾»[2].

وقال أيضاً : «وأما ما هو محرف منه فهو قوله تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي أنزله بعمله والملائكة يشهدون)»[3].

وفيه أيضاً بأنه قرئت على جعفر الصادق رحمه الله هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُن وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاما﴾ [الفرقان : 74] فقال أبو عبد الله عليه السلام : «لقد سألوا الله عظيماً، أن يجعلهم للمتقين إمامًا، فقيل له : يا ابن رسول الله ! كيف نزلت ؟ فقال : إنما نزلت هكذا : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إمامًا)»[4].

وفي الاحتجاج للطبرسي[5] أنه جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له : «لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم».

فكان مما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضمن رده على دعوى هذا الزنديق : «إن الكناية عن أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليس من فعله تعالى، وإنما هي من فعل المغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضين، واعتاضوا الدنيا من الآخرة، وقد بين الله قصص المغيّرين بقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [البقرة : 79].

---

(1) هو جعفر الصادق رحمه الله. ينظر : التفسير الصافي (370/1).
(2) تفسير القمي (5/1).
(3) المرجع السابق (5/1).
(4) المرجع السابق (36/1).
(5) أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء وأعيان الشيعة الرافضة في القرن السادس الهجري، قال عنه الحر العاملي : (عالم فاضل فقيه محدث ثقة، له كتاب الاحتجاج على أهل اللجاج حسن كثير الفوائد). أمل الآمل (17/2)، ويُنظر : الكنى والألقاب لعباس القمي (404/2).

وبقوله : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ... ﴾ [آل عمران : 78] الآية، وبقوله : ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ﴾ [النساء : 108] بعد فقد الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يقيمون به أود باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والإنجيل وتحريف الكلم عن مواضعه، وبقوله : (يريدون ليطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون)، يعني أنهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه، وبين إفكهم وتلبيسهم، وكتمان ما عملوه منه، ولذلك قال لهم : ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [آل عمران : 71].

وضرب مثلهم بقوله : ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد :17]، فالزبد في هذا الموضوع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع فهي محل العلم وقراره».

إلى أن قال : «وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه وتلبيسهم ذلك على الأمة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت به الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به، والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي يظهر مثل هذا العلم لمحمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره.

ولو علم المنافقون ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجة على خلقه كما قال تعالى : ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام : 149] أغشى أبصارهم وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك.

فالسعداء ينهون عليه والأشقياء يعمون عنه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفى ذهنه، ولطف حسه، وصح تميزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه والراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم...».

إلى أن قال : «﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : 3]، وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام، فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كلما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء، ومثالب الأعداء»[1].

وجاء في كتاب سليم بن قيس (السقيفة) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في خبر طويل يذكر فيه ما وقع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : «فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، وكان في الصحف والشظاظ والأكتاف والرقاع، فلما جمعه كله وكتبه تنزيله وتأويله والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه علي عليه السلام إني لمشغول، وقد آليت على نفسي يميناً ألا أرتدي رداءً إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن وأجمعه، فسكتوا عنه أياماً فجمعه في ثوب واحد وختمه ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادى علي بأعلى صوته : أيها الناس ! إني لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمني تأويلها.

---

(1) الاحتجاج (1/370-378)، ويُنظر : بحار الأنوار (90/98-121).

ثم قال لهم علي : لئلا تقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين.

ثم قال لهم علي : لا تقولوا يوم القيامة إني لم أدعكم إلى نصرتي ولم أذكركم حقي ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته.

فقال له عمر : ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعونا إليه»[1].

وفي بصائر الدرجات للصفار عن سالم بن أبي سلمة أنه قال : «قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام : مه مه، كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام فاقرأ كتاب الله على حده. وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام، وقال : أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حيث فرغ منه وكتبه، فقال لهم : هذا كتاب الله كما أنزل الله على محمد، وقد جمعته بين اللوحين. قالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه. قال : أما والله لا ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان علي أن أخبركم به حين جمعته لتقرؤه»[2].

وفي الأمالي للطوسي أن جعفر الصادق رحمه الله : «كان يقرأ : (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين)، وقال : هكذا أنزلت»[3].

وعن جعفر بن محمد الفزاري أن أبا جعفر الباقر رحمه الله قال : «لو أن الجهال من هذه الأمة يعلمون متى سمي أمير المؤمنين لم ينكروا ولايته وطاعته قال : فسألته ومتى سمي علي أمير المؤمنين ؟ قال : حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم وكذا نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم : (وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدي ورسولي، وأن علياً أمير المؤمنين، قالوا بلى).

ثم قال أبو جعفر : والله لقد سماه الله باسم ما سمى باسمه أحداً قبله»[4].

---

(1) السقيفة (ص : 146-147)، بحار الأنوار (28/264-265).

(2) بصائر الدرجات الكبرى (213)، وبحار الأنوار (89/88-89).

(3) أمالي الطوسي (ص : 300)، وبحار الأنوار (23/222).

(4) تفسير فرات (ص : 146-147)، وبحار الأنوار (37/311).

وعن جعفر الصادق رحمه الله : «إن في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن، كانت فيه أسماء الرجال فألقيت، وإنما الاسم الواحد منه في وجوه لا يحصى يعرف ذلك الوصاة»[1].

وعن أبي جعفر الباقر رحمه الله أنه قال : «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن»[2].

وعن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «خرج عبد الله بن عمر من عند عثمان فلقي أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقال له : يا علي ! بيتنا الليلة في أمر نرجو أن يثبت الله هذه الأمة، فقال أمير المؤمنين : لن يخفى عليّ ما بيتم فيه ؛ حرفتم وغيرتم وبدلتم تسعمائة حرف : ثلاثمائة حرفتم وثلاثمائة غيرتم وثلاثمائة بدلتم : ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة : 79]»[3].

وعن أبي جعفر الباقر رحمه الله أنه قال : «نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وسلم هكذا : (بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (في علي (بغيا)»[4].

وعن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «نزل جبريل بهذه الآية هكذا : (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلت في علي نورًا مبينا)»[5].

فهذه جملة من مروياتهم في كتبهم المعتمدة تنص بشكل واضح وصريح على تحريف كتاب الله سبحانه وتعالى ؛ لذلك جاءت أقوال كثير من علمائهم بتقرير هذه الأقوال وإثباتها كعقيدة من عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وفيما يلي طائفة من هذه الأقوال :

(1) تفسير العياشي (12/1)، بحار الأنوار (55/89).
(2) تفسير العياشي (13/1)، بحار الأنوار (55/89).
(3) تفسير العياشي (48/1)، بحار الأنوار (55/89).
(4) الكافي (417/1).
(5) المرجع السابق (417/1).

أقوال علماء الإمامية الإثني عشرية في إثبات تحريف القرآن :

صرح شيخهم محمد بن النعمان الملقب بالمفيد بوقوع التحريف والتغيير في القرآن الكريم، كما ادعى استفاضة الأخبار في ذلك عن أئمتهم، فقال في كتابه أوائل المقالات في باب (القول في تأليف القرآن وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان) :

«إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»[1].

وقال في موضع آخر : «واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن وعدلوا منه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم...»[2].

وقال في المسائل السروية : «لا شك أن ما بين الدفتين من القرآن كلام الله تعالى وتنزيله، وليس فيه شيء من كلام البشر، وهو جمهور المنزل، والباقي مما أنزل الله تعالى عند المستحفظ للشريعة، المستودع للأحكام لم يضع منه شيء، وإن كان الذي جمع ما بين الدفتين لم يجعله في جملة ما جمع، لأسباب دعته إلى ذلك، منها: قصوره عن معرفة بعضه، ومنها شكه فيه وعدم تيقنه، ومنها ما تعمد إخراجه منه، وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره، وألفه بحسب ما وجب من تأليفه، فقدم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في محله...».

إلى أن قال : «غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا يتعداه إلى زيادة ولا نقصان منه، حتى يقوم القائم فيقرأ القرآن على ما أنزله الله عز وجل وجمعه أمير المؤمنين، وإنما نهونا عليهم السلام عن قراءة ما وردت في الأخبار من أحرف زيدت على الثابت في المصحف ؛ لأنها لم تأت على التواتر وإنما جاءت بها الأخبار وقد يغلط الواحد فيما ينقله، ولأنه متى قرأ الإنسان بما خالف ما بين الدفتين غرر بنفسه وعرض نفسه للهلاك. فنهونا عليهم السلام عن قراءة القرآن بخلاف ما ثبت بين الدفتين لما ذكرناه...»[3].

---

(1) أوائل المقالات (ص : 80-81).

(2) المرجع السابق (ص : 52).

(3) المسائل السروية (ص : 78-82).

وقال أبو القاسم علي بن أحمد الكوفي[1] : «ومن بدعه - أي : أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه - أنه لما أراد أن يجمع ما تهيأ له من القرآن صرخ مناديه في المدينة : من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به، ثم قال : لا نقبل من أحد منه شيئًا إلا بشاهدي عدل، وإنما أراد هذا الحال لئلا يقبلوا ما ألفه أمير المؤمنين عليه السلام إذ كان ألف في ذلك الوقت جميع القرآن بتمامه وكماله من ابتدائه إلى خاتمته على نسق تنزيله، فلم يقبل منه ذلك خوفاً أن يظهر فيه ما يفسد عليهم أمرهم...».

وقال : «ومنها - أي من بدع عثمان رضي الله عنه وأرضاه - : أنه جمع ما كان عند الناس من صحف القرآن فلم يترك عند أحد صحيفة فيها شيء من القرآن إلا أخذها منه غير عبد الله بن مسعود ؛ فإنه امتنع من دفع صحيفته إليه، فطالبه بدفعه فأبى فضربه حتى كسرت منه ضلعان وحمل من موضعه وهو لما به عليل فبقي أياماً ومات في تلك الأيام التي ضرب فيها، ثم عمد إلى الصحف فألف منها هذا المصحف الذي في أيدي الناس - إلى أن قال - : فقد قصد إلى إبطال بعض كتاب الله، وتعطيل بعض شريعته، ومن قصد إلى ذلك فقد حق عليه قوله تعالى : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ [البقرة : 85] الآية.

وهذا مع ما فيه من الحجة أنه لم يترك ذلك تعمداً إلا وفيه ما يكرهه، ومن كره ما أنزل الله تعالى في كتابه حبط عمله كما قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد : 9].

وما أحد يستحق هذه الآية فيه أحق ممن قصد إلى صحف القرآن فطبخها بالماء وغسلها معطلاً لما كان فيها من القرآن مع إجماع أهل القبلة والآثار من الخاص والعام أن هذا الذي في أيدي الناس من القرآن ليس هو القرآن كله، وأنه قد ذهب من القرآن ما ليس هو في أيدي الناس، وهذا مما ألحقه ما قلناه إنه كان في تلك الصحف شيء من القرآن كرهه عثمان فأزاله من أيدي الناس. وكفى بذلك شاهداً على عناده لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم»[2].

---

(1) علي بن أحمد العلوي أبو القاسم الكوفي، من علماء الشيعة الرافضة، من تصانيفه : الاستغاثة من بدع الثلاثة، وتناقض أقاويل المعتزلة، والرد على الزيدية. توفي بموضع يقال له : كرمي، بقرب شيراز سنة (352هـ). يُنظر : الأعلام (253/4).

(2) الاستغاثة من بدع الثلاثة (1/51-53).

وقال أبو الحسن العاملي : «اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شيء من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرًا من الكلمات والآيات»[1].

وقال نعمة الله الجزائري : «إن تسليم تواتره[2] عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين ؛ يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة، بل المتواترة، الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادةً، وإعرابًا، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها»[3].

وقال محمد باقر المجلسي - في معرض شرحه لحديث هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : «إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر ألف آية» - : «ولا يخفى أن هذا الخبر وكثير من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره، وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر ؟»[4]. أي : كيف يثبتون الإمامة بالخبر إذا طرحوا أخبار التحريف ؟

ويقول الفيض الكاشاني في التفسير الصافي بأن : «المستفاد من جميع الأخبار والروايات الواردة من طريق أهل البيت، أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه حذف منه أشياء كثيرة، منها اسم علي - عليه السلام - في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد»[5].

---

(1) يُنظر : المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار (ص : 36).

(2) ورد في معجم ألفاظ الفقه الجعفري تعريف التواتر بأنه (أن ينقل الخبر جماعة كثيرة يمتنع اتفاقهم على الكذب)، لكن بعض علمائهم يشترط في التواتر (أن لا يكون ذهن السامع مشوباً بشبهة أو تقليد يوجب نفي الخبر ومدلوله) ويعللون هذا بقولهم : (بهذا الشرط يندفع احتجاج مخالفينا في المذهب على انتفاء النص على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة) ينظر : معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص : 128)، ضياء الدراية (ص : 17).

(3) الأنوار النعمانية (357/2).

(4) مرآة العقول (525/12).

(5) التفسير الصافي المقدمة السادسة (44/1).

ويقول السيد هاشم البحراني في مقدمة تفسير البرهان : «وعندي في وضوح صحة هذا القول - أي : القول بتحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار، وتفحص الآثار، بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مقاصد غصب الخلافة»[1].

وقال طيب الموسوي الجزائري[2] في معرض ثنائه على تفسير القمي تحت عنوان (تحريف القرآن)، قال : «بقي شيء يهمنا ذكره وهو أن هذا التفسير كغيره من التفاسير القديمة يشتمل على روايات مفادها أن المصحف الذي بين أيدينا لم يسلم من التحريف والتغيير، وجوابه : أنه لم ينفرد المصنف بذكرها، بل وافقه فيه غيره من المحدثين المتقدمين والمتأخرين عامة[3] وخاصة»[4].

أقوال العلماء في نسبة هذا القول إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية :

هذه هي عقيدة هذه الطائفة في كتاب الله تعالى الموصوف بأنه : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : 42]. والذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه، فقال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9].

أثبتتها رواياتهم، ونقلتها مصادرهم، وأقر بها علماؤهم، وادعى إجماع طائفتهم على القول بها كثير من آياتهم وحججهم.

وقد ورد عن بعض علمائهم المتقدمين إنكار هذه العقيدة ونفيها عن طائفتهم، لذلك اختلفت آراء الكتاب والمفكرين، والعلماء والناقدين، سواء علماء أهل السنة ومفكروهم وكتابهم ونقادهم، أم مفكرو الشيعة ونقادهم، في نسبة هذه المسألة إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ففريق ينسب تحريف القرآن إلى عموم الشيعة الإثني عشرية أو جميعهم، وفريق ينفيه عن جموعهم وعمومهم، وتوسط فريق فقسم الشيعة

(1) مقدمة البرهان للبحراني (ص : 49).

(2) محقق كتاب تفسير القمي.

(3) يعني بكلمة (عامة) أهل السنة، وهذا محض كذب عليهم ؛ فإنه لم ينقل عن أحد من أهل السنة أنه قال بوقوع التحريف في القرآن الكريم، والذي روي عنهم عكس ذلك تماماً، وهو إجماعهم على القول بسلامة القرآن وتكفير من يعتقد بغير ذلك. يُنظر : (ص : 194-199) من هذا البحث.

(4) مقدمة طيب الموسوي على تفسير القمي (22/1).

الإثني عشرية إلى قسمين : قسم قائل به ومعتقد له، وهم غلاتهم، وقسم متبرئ منه ومصرح بعدم اعتقاده. وسنشير باختصار إلى بعض من تبنى تلك الأقوال :

أولاً : من ينسب تحريف القرآن إلى جمهور الشيعة الإثني عشرية أو جميعهم :

هذا الفريق ينسب هذا المعتقد إلى عموم الشيعة الإثني عشرية عدا نفرٌ قليلٌ أو عدا أربعة منهم هم : ابن بابويه القمي، والشريف المرتضى، والطوسي، والطبرسي، ثم من هذا الفريق من يعتبر هؤلاء الأربعة قائلين بعدم التحريف حقيقة، ومنهم من يعتبرهم قائلين بذلك تقية.

ويمكن أن نقسم هذا الفريق إلى قسمين : أهل السنة، والشيعة.

القسم الأول : أهل السنة :

1- الإمام محمد بن حزم رحمه الله، حيث يقول : «ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً : أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه، ونقص منه كثير، وبدل منه كثير، حاشا علي بن الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان إمامياً يظاهر بالاعتزال، مع ذلك فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله، وكذلك صاحباه أبو يعلى ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي»[1].

2- الإمام أبو الثناء الألوسي رحمه الله فقد تعرض لهذا القول في تفسيره، وذكر بعض شواهده من كتبهم، وبين فسادها:

ثم قال : «لما تفطن بعض علمائهم لما في قولهم هذا من الفساد، جعله قولاً لبعض أصحابه، واستشهد على ذلك بما قاله شيخ الشيعة الطبرسي في مجمع البيان، من أن الشيعة تنكر هذه المقالة، وأنها قول لقوم من أصحابها، والصحيح خلافه».

ثم قال الألوسي رحمه الله : «وهو كلام دعاه إليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتى للأطفال والحمد لله، على أن ظهر الحق وكفى الله المؤمنين القتال»[2].

---

(1) الفصل في الملل والنحل (139/4).

(2) روح المعاني (23/1) وما بعدها.

3- الشيخ موسى جار الله[1] الذي عاش بين الشيعة فترة، وتجول في مدنها، وحضر حلقات دروسها في البيوت والمساجد والمدارس، وقرأ في العديد من أمهات كتبها، يرى أن : «القول بتحريف القرآن، بإسقاط كلمات وآيات قد نزلت، وبتغيير ترتيب الكلمات والآيات، أجمعت عليه كتب الشيعة»[2].

4- الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله يقول في رسالته زالخطوط العريضةس عن هذه الفرية : «ومهما تظاهر الشيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملاً بعقيدة التقية، فإن الكتاب ينطوي على مئات النصوص عن علمائهم في كتبهم المعتبرة يثبت بها أنهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجة حول عقيدتهم هذه في القرآن»[3].

5- الشيخ إحسان إلهي ظهير[4] رحمه الله يكتب عن هذه المسألة في كتابه : «الشيعة والسنة» فيقول : «فهذه هي عقيدة الشيعة، كاد أن يتفق عليها أسلافهم سوى رجال معدودين لا عبرة بهم، وهم ما أنكروا هذه العقيدة إلا لأهداف سنذكرها فيما بعد.

وأيضا : إنكارهم ليس بقائم على دليل ولا برهان ؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يردوا هذه الأخبار والأحاديث المستفيضة عند الشيعة»[5].

---

(1) موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفيتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله، تنقل بين الهند والحجاز ومصر، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجرتها، وأقام بـالنجف أيام الحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء، له تآليف رسائل وكتب، من أشهرها : الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، توفي عام (1363هـ).

(2) الوشيعة (ص : 104).

(3) الخطوط العريضة (ص : 10-19).

(4) إحسان إلهي ظهير (1363هـ - 1407هـ) عالم باكستاني من أولئك الذين حملوا لواء الحرب على أصحاب الفرق الضالة، ولد في سيالكوت، ولـما بلغ التاسعة كان قد حفـظ القرآن كامــلاً. صنف الكثير من الكتب منها : الشيعة وأهل البيت، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ، والإسماعيلية تاريخ وعقائد، والبابية عرض ونقد، والقاديانية البريلوية عقائد وتاريخ، والبهائية نقد وتحليل، والرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي، ودراسات في التصوف، والشيعة والقرآن. قتل في لاهور.

(5) الشيعة والسنة (ص : 76).

6- الدكتور عبد الله محمد الغريب يقول : «وقد يقول قائل : هذه أقاويل قديمة، ولا نعتقد أن شيعة اليوم يؤمنون بها لاسيما وقد صدرت عنهم مؤلفات حديثة تنكر هذه الأقاويل، وتؤكد أن القرآن خال من الزيادة والنقصان.

فنجيب وبالله التوفيق : هذه الأقاويل هي نفسها عقيدة الشيعة في عصرنا الحديث» إلى أن قال : «أما قول بعض علماء الشيعة - اليوم - بأن القرآن خال من الزيادة والنقصان فهو تقية»[1].

7- الباحث مامادو كارامبيري يقول : «القول بوقوع التحريف والتغيير في القرآن الكريم ونقصانه هو إجماع المتقدمين من علماء الرافضة، حيث صرحوا بذلك في مؤلفاتهم وشحنوها بالروايات المنسوبة إلى أئمتهم، وكلها صريحة في وقوع التحريف في القرآن الكريم، ولم يخرج عن إجماعهم هذا إلا أفراد قلائل منهم، وقد حصرهم النوري الطبرسي بأربعة أشخاص فقط. وقد أثبت أن الأربعة ما قالوا ذلك إلا تقية».

ثم قال : «المتأخرون من الرافضة لا يختلفون عن المتقدمين في موقفهم من القرآن الكريم، فالكل متفقون على أن القرآن الموجود بأيدي الناس اليوم غير كامل، حيث وقع فيه تحريف وتغيير وحذف بزعمهم، وإن اختلفت طريقة إثبات هذا القول منهم، فالمتقدمون يثبتونه بكل جرأة وصراحة، كما تقدمت أقوالهم في ذلك، أما المتأخرون منهم فلعملهم بتقيتهم فقد حاول بعضهم إظهار موافقتهم لأهل السنة، في القول بسلامة القرآن، فأظهروا إنكارهم لمذهب من تقدمهم من القول بوقوع التحريف في القرآن الكريم، ولكن البعض الآخر منهم وهم الأغلب قد أظهروا ثباتهم على قول متقدميهم في القرآن الكريم، واستمرارهم عليه عند الرافضة جميعاً؛ لأنه من ضروريات مذهبهم»[2].

القسم الثاني : الشيعة :

1- النوري الطبرسي، وهو أحد كبار علمائهم المتأخرين، ومؤلف كتاب : «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، والذي قال فيه - بعد أن سرد حشدًا هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف، استغرقت خمس صفحات من كتابه - :

---

(1) وجاء دور المجوس (ص : 115) وما بعدها.

(2) موقف الرافضة من القرآن الكريم (49، 82).

«ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين، وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم»، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم : الصدوق، والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، قال : «ولم يعرف من القدماء موافق لهم».

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان»، قال : «وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحًا، إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة» ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن، بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، فقال معتذرًا عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف : «ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين... وهو بمكان من الغرابة ولو لم يكن على وجه المماشاة»[1].

2- نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف : «نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر : أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها : سد باب الطعن عليها، بأنه إذا جاز في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز لحوق التحريف لها، كيف روى هؤلاء الأعلام في مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا»[2].

3- هاشم البحراني، وهو أحد كبار مفسريهم، قال : «وعندي في وضوح صحة هذا القول - أي : تحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع، وأنه من أكبر مقاصد الخلافة»[3].

وغيرهم من علمائهم التي تقدمت أقوالهم في إثبات تحريف كتاب الله سبحانه ونسبة هذا القول إلى طائفتهم الرافضية.

---

(1) فصل الخطاب (ص : 30) وما بعدها.

(2) الأنوار النعمانية (2/328، 359).

(3) مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن (ص : 36) وما بعدها.

ثانياً : من ينفي القول بالتحريف عن الشيعة الإثني عشرية :

وهذا الفريق معاكس للفريق الأول تماماً، حيث يدعي هذا الفريق أن عدم التحريف هو مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، والقائلون بهذا القول هم من طائفة الشيعة الإمامية الاثني عشرية الذين أنكروا نسبة هذا القول إلى مذهبهم، ومنهم :

1- شيخهم ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق حيث يقول في كتابه الاعتقادات ما نصه : «اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ولإيلاف وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول : إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»(1).

2- محمد حسين آل كاشف الغطاء حيث يقول عند حديثه عما تعتقده الشيعة الإمامية في النبوة والقرآن : «يعتقد الشيعة الإمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله» إلى أن قال : «وأن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي، ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم»(2).

3- إبراهيم الزنجاني يدعي إجماع الإمامية على القول بعدم تحريف القرآن، وأن القول بسلامة القرآن من الضروريات عندهم، وأن من نسب إليهم أنهم يقولون بتحريف القرآن، فهو مغتر وكذاب ومخرف، إلى غير ذلك من الأوصاف التي أطلقها هذا الرجل على من نسب إليهم القول بالتحريف(3).

4- محسن الأمين في معرض تقريره أدلة الأحكام الفرعية عند الإمامية : «أما الكتاب : فهو القرآن الكريم، واعتقادهم : أنه كلام الله ووحيه وتنزيله، وأنه ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ولا أقل. ثم أورد ما قاله في ذلك الصدوق ثم قال : وبذلك قال المرتضى في المسائل الطرابلسيات، واحتج عليه

(1) الاعتقادات (ص : 101-102).

(2) أصل الشيعة وأصولها (64، 65).

(3) يُنظر : عقائد الإمامية الإثني عشرية للزنجاني (178/3).

وحكى عليه إجماع المسلمين عدا شاذ من الشيعة، وحشوية أهل السنة، سبقهم الإجماع ولحقهم»[1].

5- أبو القاسم الخوئي يزعم أنهم يقولون بعدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، حيث قال عند بيانه معاني التحريف وأنواعه، وما يجوز وقوعه منها في القرآن وما لا يجوز : «السادس : - أي : النوع - التحريف بالنقيصة بمعنى : أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس، والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف، فأثبته قوم ونفاه آخرون. إلى أن قال : المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام. ثم قال - بعد أن ذكر أسماء البعض منهم - : وجملة القول : أن المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم بل المتسالم عليه بينهم : هو القول بعدم التحريف»[2].

ثانياً : من يثبت التحريف لطائفة من الشيعة الإثني عشرية :

وهذا الفريق يعتبر مسألة التحريف مسألة وصمت بها طائفة من الشيعة الإثني عشرية، وتمثل أكابر علمائهم المعتمدين كالكليني والمجلسي وعلي بن إبراهيم القمي والنوري الطبرسي ونعمة الله الجزائري وغيرهم، وطائفة نفت هذا المعتقد وتبرأت منه، وتمثل هذه الطائفة بعضاً من علمائهم القدامى كابن بابويه القمي والشريف المرتضى والطوسي والطبرسي وغيرهم.

وعكس بعض أرباب هذا القول المسألة، فجعل معتمد الشيعة الإثني عشرية القول بعدم التحريف، والقول بالتحريف قول طائفة منهم لا اعتماد عليها في نقل المذهب. ونذكر من أصحاب هذا الفريق ما يلي :

1- الشيخ المفيد، حيث عقد في كتابه أوائل المقالات مبحثاً حول القول في تأليف القرآن، وما ذكر قوم من الزيادة فيه والنقصان، فقال ما نصه : «إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد - صلى الله عليه وسلم - باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان، فأما القول في التأليف فالموجود

(1) يُنظر : أعيان الشيعة (1/41) وما بعدها.

(2) يُنظر : البيان في تفسير القرآن (218، 219).

يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم، ومن عرف الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، لم يرتب بما ذكرناه. وأما النقصان فإن العقول لا تحيله ولا تمنع من وقوعه، وقد امتحنت مقالة من ادعاه، وتكلمت عليه المعتزلة وغيرهم طويلاً، فلم أظفر منهم بحجة اعتمدها في فساده.

وقد قال جماعة من أهل الإمامة : إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى، الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً قال الله تعالى : ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : 114] فسمى تأويل القرآن قرآناً، وهذا ما ليس فيه بين أهل التفسير اختلاف.

وعندي أن هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل، والله أسأل توفيقه للصواب.

وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها من وجه، ويجوز صحتها من وجه، فالوجه الذي أقطع على فساده: أن يمكن لأحد من الخلق زيادة مقدار سورة فيه، على حد يلتبس به عند أحد من الفصحاء.

وأما الوجه المجوز : فهو أن يزاد فيه الكلمة والكلمتان والحرف والحرفان وما أشبه ذلك، مما لا يبلغ حد الإعجاز، ويكون ملتبساً عند أكثر الفصحاء بكلم القرآن، غير أنه لا بد متى وقع ذلك من أن يدل الله عليه، ويوضح لعباده عن الحق فيه، ولست أقطع على كون ذلك بل أميل إلى عدمه وسلامة القرآن عنه، ومعي بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد (ع)، وهذا المذهب بخلاف ما سمعناه عن بني نوبخت - رحمهم الله - من الزيادة في القرآن والنقصان فيه، وقد ذهب إليه جماعة من متكلمي الإمامية، وأهل الفقه منهم والاعتبار»[1].

2- أبو علي الطبرسي حيث يقول في تفسيره مجمع البيان ما نصه : «ومن ذلك الكلام في نقصان القرآن وزيادته، فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على

---

(1) أوائل المقالات (ص : 81) وما بعدها.

بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة[1] : أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه»[2].

3- أبو جعفر الطوسي حيث يقول في كتابه التبيان : «وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً ؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا»[3].

4- الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين يقول : «واختلفت الروافض في القرآن، هل زيد فيه أو نقص منه ؟ وهم ثلاث فرق : فالفرقة الأولى منهم : يزعمون أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه والإمام يحيط علماً به.

والفرقة الثالثة منهم – وهم القائلون بالاعتزال والإمامة – : يزعمون أن القرآن ما نقص منه ولا زيد فيه، وأنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه – عليه السلام – لم يغير ولم يبدل، ولا زال عما كان عليه»[4].

5- عبد القاهر البغدادي رحمه الله يقول : «وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة ؛ لدعواه فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه»[5].

6- الدكتور علي السالوس[6]، قال عن موقف الإمامية الإثني عشرية من القرآن ما نصه : «وقد رجعت إلى الكثير من كتبهم، وقدمت دراسة لستة عشر كتاباً مقتصراً على

---

(1) تقدم المقصود بلفظ «العامة» عند الشيعة الإثني عشرية (ص : 90) من هذا البحث، أما لفظ «حشوية» فهو لفظ أطلقه بعض المبتدعة على أصحاب الحديث ؛ لتنفير الناس عن طريقة أهل الحديث. ينظر : بيان تلبيس الجهمية (106/1).

(2) مجمع البيان (15/1).

(3) التبيان (3/1).

(4) مقالات الإسلاميين (47/1).

(5) الفرق بين الفرق (315/1).

(6) علي أحمد السالوس، أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة في جامعة قطر، والنائب الأول لرئيس مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، وعضو المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو بمجمع الفقه الإسلامي بمنظمة المؤتمر الإسلامي، من تصانيفه : مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع، الإمامة عند الجعفرية، فقه البيع والاستيثاق والتطبيق المعاصر.

بيان أثر الإمامة في كل منها، ووجدت أن القرن الثالث ظهر فيه ثلاثة كتب هي : التفسير المنسوب للإمام العسكري إمامهم الحادي عشر، وتفسيرا العياشي[1] والقمي، وهذه الثلاثة تمثل جانب التطرف والغلو في المذهب الجعفري، ثم يأتي شيخ طائفتهم الطوسي المتوفى سنة (460هـ) فيخرج كتابه التبيان في تفسير القرآن وهو يمثل جانب الاعتدال، ثم يليه الطبرسي - شيخ مفسريهم - ورأيناه قريباً من الطوسي، والجعفرية بعد هذا إلى عصرنا - كما ظهر من دراستي لباقي كتبهم - منهم من سلك أحد المسلكين ومنهم من جمع بينهما، أو اقترب من أحدهما، وإن بدا لنا أن الكتب الضالة المضلة التي رزئ بها القرن الثالث كانت أقوى أثراً من غيرها، فمنها كتاب ينسب إلى إمام، وآخر لعلي بن إبراهيم القمي، الذي يوثقونه كل توثيق، وأحد تلاميذه هو الكليني صاحب كتاب الحديث الأول عندهم، وقد نقل عن شيخه القمي مئات الروايات في التحريف والتكفير وغير ذلك، مما يكشف عن غلو صاحبه»[2].

7- الدكتور علي بن محمد الصلابي[3] حيث يقول : «زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حُرف وأسقطت منه بعض السور، وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم، وأسماء أعدائهم والطعن فيهم، ولعنهم»[4].

8- الدكتور ناصر القفاري[5] حيث يقول : «بعدما بيّنا أن الإمامية لم تتفق على هذا الضلال، وأنه قد أنكر ذلك كبار محققيهم كالشريف المرتضى، وابن بابويه القمي،

---

(1) محمد بن مسعود العياشي السلمي، أبو النضر، من كبار فقهاء ومفسري الإمامية، من أهل سمرقند، من كتبه : تفسير العياشي، توفي نحو (320هـ). يُنظر : الأعلام (95/7).

(2) مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع (13/4).

(3) علي محمد محمد الصلابي : ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383هـ/1963م، نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بمؤلفه : فقه التمكين في القرآن الكريم عام 1999م. صدرت له عدة كتب من أهمها : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، الوسطية في القرآن الكريم، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق شخصيته وعصره، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب، فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح.

(4) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ص : 804).

(5) الدكتور ناصر عبد الله بن علي القفاري عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، من أهم كتبه : مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية «عرض ونقد».

والطوسي، والطبرسي، ومن اتبعهم من المتأخرين، فإنه مع ذلك قد برز ناعق من شيوخ الدولة الصفوية يقول : إن إنكار هؤلاء كان على سبيل التقية». إلى أن قال : «أقول : لا شك أن الجزائري، وصاحب فصل الخطاب وغيرهما هم ممن يجاهر بهذا الكفر ويعلنه، ومن يفعل ذلك فليس من الإسلام في شيء، وإذا كنا نتثبت في خبر الفاسق، فما بالك بأخبار هؤلاء، فهم يودون أن يجعلوا كل شيعي على هذا الكفر، فليس بغريب أن يحملوا آراء المعارضين على التقية.

وأرى خطأ من يأخذ كلام هذا - الجزائري - ومن على شاكلته بإطلاق، ويحكم على طائفة بأكملها بهذا الكفر من غير دراسة وتحقيق»[1].

وقفة مع ما سبق :

وبعد هذا الخلاف في نسبة هذه المسألة إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية نستنتج ما يلي :

1- وجود نزاع بين أبناء الطائفة نفسها قديماً وحديثاً في القول بهذا المعتقد.

2- وجود بعض الأقوال القديمة في نفي هذا المعتقد جعلت من بعدهم يختلفون في تأصيل قولهم واعتقادهم، وهل نفوا ذلك تقية أم حقيقة، خاصة لمن يجعل في ذهنه أن من عقائد الإمامية الإثني عشرية ودينهم القويم : التقية، وأنه : لا إيمان لمن لا تقية له.

3- عدم تكفير القائلين بعدم التحريف لعلمائهم وكبرائهم القائلين بالتحريف الصريح في كتبهم، كنوري الطبرسي ونعمة الله الجزائري وغيرهما ؛ ليورث الريب في القلوب، ويجعل الناظر في هذا الأمر يشك في صدق القائلين بعدم التحريف، إذ لو كانوا صادقين - والله أعلم بسرائرهم - لكفروا من يتجرأ على كتاب الله جل جلاله ولتبرءوا منهم، ولناصبوهم العداء، ولما وثقوا في كلامهم أو نقولهم عن أئمتهم، إذ كيف يؤمن من حرف كلام الله - وهو الذي قد تكفل الله بحفظه - فكيف يؤمن بنقله عن أئمة آل البيت أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

4- أن الأئمة الصادقين المخلصين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرءون من هذه العقيدة الخبيثة باتفاق أهل السنة، وبعض الشيعة.

---

(1) أصول مذهب الشيعة (1/341).

ثانياً : مراد الشيعة الإثني عشرية بتحريف القرآن :

إن من يتصفح كتب القوم يرى أن التحريف المزعوم عند القائلين به أنواع :

النوع الأول : زعمهم النقص في القرآن الكريم.

النوع الثاني : زعمهم أن في القرآن تحريفاً بالإبدال.

النوع الثالث : زعمهم وقوع التحريف في ترتيب آيات القرآن وسوره.

ولن نتعرض هنا لهذه المسائل بالتفصيل، بل سنورد ما يبينها على سبيل الإيجاز والاختصار ؛ ليكون القارئ لعقيدة التحريف عند القائلين به على بينة وعلم بما يعنونه، ولئلا يحصل اللبس والتخليط. فنقول :

النوع الأول : التحريف بالنقص :

هذا النوع من التحريف يعنون به سقوط سور وآيات وكلمات من كتاب الله الكريم، ويزعمون أنها كانت فيما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم ينسخ، بل حذفه الصحابة عند جمعهم للقرآن الكريم ؛ لما فيها من فضائل أئمة الشيعة، ومثالب الصحابة رضي الله عنهم، ومن ذلك :

1- ادعوا أن هناك سورة محذوفة يسمونها بسورة النورين ونصها : بسم الله يا أيها الذين آمنوا بالنورين اللذين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم...إلخ[1].

ومنها ما يسمونها بسورة الولاية وهي (بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الذين آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكما إلى صراط مستقيم، نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، فالذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا به مكذبين، إن لهم في جهنم مقام عظيم، إذا نودي لهم يوم القيامة أين الضالون المكذبين للمرسلين، ما خلقهم المرسلون إلا بالحق وما كان الله لينظرهم إلى أجل قريب، وسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين)[2].

---

(1) يُنظر : فصل الخطاب (ص : 180).

(2) يُنظر : تذكرة الأئمة (ص : 19-20).

2- روى الكليني في كتابه الكافي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن القرآن الذي جاء به جبريل - عليه السلام - إلى محمد - صلى الله عليه وآله - سبعة عشر ألف آية»[1].

وقد قال محمد باقر المجلسي عن هذا الخبر بأنه موثق صحيح، وأنه يدل على نقص القرآن وتغييره[2].

3- وروى الكليني عن أبي بصير[3] أنه قال : «دفع إلي أبو الحسن - عليه السلام - مصحفاً وقال : لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب البينة، فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم»[4].

قال النوري الطبرسي بعد أن نقل هذه الأخبار : «وهذه الأخبار أيضاً صريحة في سقوط تلك الآية ونقصان سورة لم يكن، وأن الآية كانت مثبتة في مصحف أبي بن كعب»[5].

4- وروى الكليني عن أبي جعفر أنه قال : «نزل جبريل بهذه الآية - أي : قوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ...﴾ [البقرة : 23] - على محمد صلى الله عليه وآله هكذا : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله)»[6].

5- وفي قوله تعالى : ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ [البقرة : 90] روى الكليني عن أبي جعفر قال : «نزل جبريل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا : بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله في علي بغيًا»[7].

---

(1) الكافي (134/2).

(2) يُنظر : مرآة العقول (525/12).

(3) قال عنه النجاشي : (ليث بن البختري المرادي : أبو محمد، وقيل : أبو بصير الأصغر، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، له كتاب يرويه جماعة، منهم : أبو جميلة المفضل بن صالح). رجال النجاشي (ص 321).

(4) يُنظر : الكافي (631/2).

(5) يُنظر : فصل الخطاب (ص 119).

(6) يُنظر : الكافي (417/1).

(7) يُنظر : المرجع السابق (417/1)، وتفسير فرات الكوفي (ص : 5).

6- قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَولاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة : 59] فقد أسند العياشي وغيره عن أبي جعفر قال : «نزل جبريل بهذه الآية هكذا : (فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذي ظلموا آل محمد حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون)»[1].

النوع الثاني : التحريف بالإبدال :

يزعم القائلون بالتحريف من الإمامية الإثني عشرية أنه قد وقع في القرآن الكريم تحريف بالإبدال، ومن ذلك : إبدال كلمة أو حركة بأخرى. ومما يثبت ذلك من كتبهم :

1- روى العياشي عن هشام بن سالم أنه قال : «سألت أبا عبد الله – عليه السلام – عن قول الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ...﴾ [آل عمران : 33] فقال : هو : آل إبراهيم وآل محمد على العالمين. فوضعوا اسماً مكان اسم»[2].

2- إبدال كلمة (ضعفاء) أو (قليل) بـ : (أذلة) في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران : 123] حيث روى القمي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ما كانوا أذلة وفيهم رسول صلى الله عليه وسلم، وإنما نزل : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء)»[3].

ورواه الطبرسي بقوله : «وروي عن بعض الصادقين أنه قرأ : وأنتم ضعفاء، وقال : لا يجوز وصفهم بأنهم أذلة وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم»[4].

وروى العياشي عن أبي بصير أنه قال : «قرأت عند أبي عبد الله – عليه السلام – ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ قال : مه، ليس هكذا أنزلها الله، إنها أنزلت : وأنتم قليل»[5].

---

(1) تفسير العياشي (45/1)، ويُنظر : الكافي (423/1-424)، والتفسير الصافي (96/1).

(2) المرجع السابق (168/1)، ويُنظر : البرهان في تفسير القرآن (278/3).

(3) تفسير القمي (122/1).

(4) مجمع البيان (498/1).

(5) يُنظر : تفسير العياشي (196/1)، والبرهان في تفسير القرآن (310/4).

3- إبدال الضمة بالفتحة في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف : 49] بفتح الياء للبناء للمعلوم، قال القمي : «قال أبو عبد الله عليه السلام : قرأ رجل على أمير المؤمنين – عليه السلام – : ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون. قال : ويحك أي شيء يعصرون ؟ أيعصرون الخمر ؟ قال الرجل : يا أمير المؤمنين ! كيف أقرؤها ؟ قال : إنما نزلت : عام فيه يغاث الثاني وفيه يعصرون. بالبناء للمجهول أي : يمطرون بعد سنين المجاعة»[1].

النوع الثالث : التحريف في ترتيب آيات وسور القرآن الكريم :

1- في قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود : 17] روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إنما نزل : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه «إماماً ورحمة» ومن قبله كتاب موسى)»[2].

2- ومنها قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية : 24] قالوا : إنما هو : نحيا ونموت، لأن الدهرية لم يقروا بالبعث بعد الموت[3].

ومنها قوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ [آل عمران : 43] قالوا : هو اركعي واسجدي)[4].

وقوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف : 6] قالوا : هو فلعلك باخع نفسك على آثارهم أسفاً إن لم يؤمنوا بهذا الحديث[5].

3- زعموا أن بقية قوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان : 5] موجودة في سورة العنكبوت وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا

---

(1) تفسير القمي (346/1)، ويُنظر : تفسير العياشي (180/2)، وفصل الخطاب (ص : 25).

(2) يُنظر : المرجع السابق (8/1).

(3) يُنظر : المرجع السابق (8/1).

(4) يُنظر : المرجع السابق (8/1).

(5) يُنظر : المرجع السابق(1/8-9)، والبرهان في تفسير القرآن (33/1).

مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت : 48] فنصفها في سورة الفرقان والنصف الآخر في سورة العنكبوت بزعمهم[1].

4- قالوا في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : 3] إنها نزلت مع قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء : 127] ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء : 3]. فنصف الآية في أول السورة ونصفها الآخر على رأس المائة والعشرين من الآية[2].

ثالثاً : موقف أهل السنة من تحريف القرآن :

إن موقف أهل السنة من كتاب الله الكريم هو موقف إجلال وإكبار، فهم يعتبرونه المصدر الأول من مصادرهم العقدية والفقهية والسلوكية والوعظية الإرشادية وغيرها، فبه يأخذون، وبأوامره يأتمرون، وبنواهيه ينتهون، وهو عندهم كلام رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولقد صرح علماء أهل السنة بأن من يعتقد التحريف في القرآن بأي نوع من أنواعه خارج عن ملة الإسلام، وعلى هذا الأمر يؤكدون ويقولون - كما يقول ذلك ابن حزم رحمه الله - : «إن لم يكن عند المسلمين إذ مات عمر ألف مصحف من مصر إلى العراق إلى الشام إلى اليمن فما بين ذلك فلم يكن أقل، ثم ولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الأمر، فلو رام أحد إحصاء مصاحف أهل الإسلام ما قدر... ولو رام اليوم أحد أن يزيد في شعر النابغة أو زهير كلمة أو ينقص أخرى ما قدر؛ لأنه سيفتضح في الوقت، وتخالفه النسخ المثبتة، فكيف بالقرآن كلام الله الذي في المصاحف، وهي من آخر الأندلس وبلاد البربر وبلاد السودان إلى آخر السند وكابل وخراسان والترك والصقالبة وبلاد الهند فما بين ذلك، فظهر حمق الرافضة»[3].

(1) يُنظر : البرهان في تفسير القرآن للبحراني (1/34).
(2) يُنظر : تفسير القمي (1/130).
(3) الفصل في الملل والنحل (2/80).

ولقد بين علماء أهل السنة أمر القرآن الكريم أوضح تبيين، وأكدوا اعتقادهم سلامته من التحريف والتبديل والتغيير، فهذا ابن حزم رحمه الله يقول في كتابه الإحكام : «ولما تبين بالبراهين والمعجزات أن القرآن هو عهد الله إلينا، والذي ألزمنا الإقرار به والعمل بما فيه، وصح بنقل الكافة الذين لا مجال للشك فيهم أن هذا القرآن هو المكتوب في المصاحف، المشهور في الآفاق كلها، وجب الانقياد لما فيه، فكان هو الأصل المرجوع إليه ؛ لأننا وجدنا فيه : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام : 38]»[1].

وقال البزدوي الحنفي رحمه الله[2] في كنز الوصول : «أما الكتاب فالقرآن المنزل على الرسول - عليه السلام - المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة، وهو النظم والمعنى جميعاً في قول عامة العلماء»[3].

وقال القاضي رحمه الله في الشفا : «اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف، أو بشيء منه، أو كذب به أو جحده أو جزءاً منه، أو آية أو كذب به، أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك، أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت : 41-42]»[4].

وقال السيوطي رحمه الله بعدما ذكر الأقوال بأن القرآن جمعه وترتيبه ليس إلا توقيفياً : «قال القاضي أبو بكر في الانتصار : الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله، هو هذا الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه»[5].

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام(95/1).

(2) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي، فقيه أصولي، من أكابر الحنفية. ولد سنة (400هـ)، من سكان سمرقند. وتوفي سنة (482هـ)، ودفن بسمرقند. له تصانيف منها : المبسوط، وكنز الوصول إلى معرفة الأصول في أصول الفقه يعرف بأصول البزدوي، وكشف الأستار في تفسير القرآن، وغناء الفقهاء في الفقه. يُنظر : الأعلام (329/4).

(3) كنز الوصول إلى معرفة الأصول (5/1).

(4) الشفا (304/2).

(5) الإتقان (63/1).

وقال البغوي[1] رحمه الله في شرح السنة: »إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله، من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً»[2].

وقال الإمام الزركشي رحمه الله[3] في كتابه البرهان : «وذلك دليل على صحة نقل القرآن وحفظه وصيانته من التغيير، ونقض مطاعن الرافضة فيه، من دعوى الزيادة والنقص، كيف وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : 9] وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : 17].

وأجمعت الأمة : أن المراد بذلك حفظه على المكلفين للعمل به، وحراسته من وجود الغلط والتخليط، وذلك يوجب القطع على صحة نقل مصحف الجماعة وسلامته»[4].

وقال الخازن رحمه الله[5] في مقدمة تفسيره : «وثبت بالدليل الصحيح أن الصحابة إنما جمعوا القرآن بين الدفتين كما أنزله الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً، فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أن قدموا أو أخروا شيئاً، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن»[6].

---

(1) الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي : فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. له التهذيب في فقه الشافعية، وشرح السنة، ولباب التأويل في معالم التنزيل، ومصابيح السنة، والجمع بين الصحيحين، وغير ذلك. توفي بمرو الروذ سنة(510هـ). يُنظر : تذكرة الحفاظ (1257/4)، الأعلام (259/2)، معجم المؤلفين (61/4).

(2) الإتقان (63/1).

(3) محمد بن بهادر بن عبد الله، العالم العلامة المصنف المحرر بدر الدين أبو عبد الله المصري الزركشي، مولده سنة (745هـ)، أخذ عن الشيخين : جمال الدين الأسنوي وسراج الدين البلقيني. كان فقيهاً أصولياً أديباً فاضلاً، توفي في رجب سنة (794هـ). من تصانيفه : البحر في الأصول، وشرح جمع الجوامع للسبكي، وتخريج أحاديث الرافعي. يُنظر : الأعلام(60/6).

(4) البرهان في علوم القرآن (127/2).

(5) علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي علاء الدين المعروف بالخازن : عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، نسبته إلى شيحة، من أعمال حلب، ولد ببغداد سنة (678هـ)، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسة السميساطية فيها. وتوفي بحلب سنة (714هـ)، له تصانيف، منها : لباب التأويل في معاني التنزيل، المشهور بتفسير الخازن، وعدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام. يُنظر : الأعلام(5/5).

(6) تفسير الخازن (7/1-8).

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بعنوان : باب من قال : لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدفتين.

وقد ذكر تحت ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأنه قال في جواب من سأل : «أترك النبي صلى الله عليه وسلم من شيء ؟ فقال : - أي : ابن عباس - ما ترك إلا ما بين الدفتين. وهكذا قاله محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية»[1].

وهؤلاء مفسرو أهل السنة يذكرون دوماً عند تفسيرهم لقول المولى سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9] أن القرآن محفوظ عن أي تغيير، سواء أكان بتبديل، أم تحريف، أم زيادة، أم نقصان :

يقول إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره : «وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه، من أحكامه وحدوده وفرائضه»[2].

ويقول ابن كثير رحمه الله : «ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل»[3].

ويقول الفخر الرازي رحمه الله : «وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان، ونظيره قوله تعالى في صفة القرآن : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت : 42]».

وقال : «﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء : 82] فإن قيل : فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف، وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه؟

والجواب : أن جمعهم القرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه».

---

(1) صحيح البخاري (1917/4) (4731).

(2) تفسير الطبري (68/17).

(3) تفسير ابن كثير (547/2).

إلى أن قال : «إن أحداً لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا : هذا كذب، وتغيير لكلام الله تعالى، حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان : أخطأت أيها الشيخ ! وصوابه : كذا وكذا، فهذا هو المراد من قوله : ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9].

واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير، إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً عن جميع جهات التحريف، مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده، من أعظم المعجزات»[1].

ويقول النسفي رحمه الله[2] عند قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : 9] ما نصه : «فأكد أنه هو المنزل على القطع، وأنه هو الذي نزله محفوظاً من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغياً، فوقع التحريف، ولم يكل القرآن إلى غير حفظه»[3].

ويقول الخازن رحمه الله في تفسيره : «وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون، يعني : من الزيادة فيه والنقص والتغيير والتبديل والتحريف، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها، لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه، أو ينقص منه حرفاً واحداً أو كلمة واحدة، وهذا مختص بالقرآن العظيم، بخلاف سائر الكتب المنزلة، فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصوناً على الأبد، محروساً من الزيادة والنقصان»[4].

---

(1) مفاتيح الغيب (128/19).

(2) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين، فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان)، ووفاته فيها سنة (710هـ). نسبته إلى نسف ببلاد السند بين جيحون وسمرقند. له مصنفات، منها : مدارك التنزيل في تفسير القرآن، وكنز الدقائق في الفقه، والمنار في أصول الفقه، والوافي في الفروع. يُنظر : طبقات المفسرين للداودي (ص 263)، الأعلام (68/4).

(3) تفسير النسفي (238/2).

(4) تفسير الخازن (89/3).

ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله : «﴿وَإِنَّا لَهُ لحافظون﴾ عن كل ما لا يليق به، من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص، ونحو ذلك»[1].

فهذه عقيدة أهل السنة، وهذه نبذة من أقوال علمائهم، وكلامهم في هذه المسألة كثير، وإنما يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

(1) فتح القدير (122/3).

[الموضع الثالث]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسيره الجزء الرابع من المجلد الثالث (ص : 46) - عند تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران : 106] - :

«ووقعت تأويلات من المسلمين وقعوا بها فيما حذرهم منه القرآن، فتفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فلا ترجعوا بعدي كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)[1] مثل أهل الردة الذين ماتوا على ذلك، فمعنى الكفر بعد الإيمان حينئذٍ ظاهر، وعلى هذا المعنى تأول الآية مالك بن أنس فيما روى عنه ابن القاسم - وهو في ثالثة المسائل من سماعه من كتاب المرتدين والمحاربين من العتبية[2] - قال : ما آية في كتاب الله أشدّ على أهل الاختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران : 106].

قال مالك: إنَّما هذه لأهل القبلة. يعني : أنَّها ليست للذين تفرقوا واختلفوا من الأمم قبلنا، بدليل قوله : ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [آل عمران : 106] ورواه أبو غسان مالك الهروي عن مالك عن ابن عمر، ورُوي مثل هذا عن ابن عباس[3].

وعلى هذا الوجه فالمراد، الذين أحدثوا بعد إيمانهم كفرا بالردّة، أو بشنيع الأقوال الَّتي تفضي إلى الكفر ونقض الشَّريعة، مثل الغرابية من الشيعة، الَّذين قالوا بأنّ النبوءة لعلي، ومثل غلاة الإسماعيلية أتباع حمزة بن علي، وأتباع الحاكم العبيدي، بخلاف من لم تبلغ به مقالته إلى الكفر تصريحاً ولا لزوماً بيّناً، مثل الخوارج والقدرية، كما هو مفصّل في كتب الفقه والكلام في حكم المتأوّلين ومن يؤول قولهم إلى لوازم سيّئة» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

---

(1) صحيح البخاري (56/1) (121)، صحيح مسلم (81/1) (56).

(2) العتبية منسوبة إلى مصنفها فقيه الأندلس : محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي (ت : 254هـ)، وهو مسائل في مذهب الإمام مالك رحمه الله. [يُنظر : كشف الظنون (1124/2)].

(3) يُنظر : تفسير القرطبي (162/4)، تفسير ابن كثير (515/1).

أقول : يغالي الشيعة الإثنا عشرية في الأئمة من آل البيت مغالاة تفضي في بعض فرقها إلى الكفر الصريح والعياذ بالله، فترى بعضهم يغالي في شخصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيرفعه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية.

وقال بعضهم : بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدلاً من أن ينزل على علي رضي الله عنه ؛ لأن عليًا رضي الله عنه يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما يشبه الغراب الغراب، وهؤلاء هم الغرابية.

وقد تعرض الإمام الطاهر ابن عاشور في كلامه هذا لفرقتين من فرق الشيعة الغلاة هما : الغرابية، والدروز أتباع حمزة بن علي والحاكم العبيدي، وجعل أقوال هاتين الفرقتين مفضية إلى الكفر الصريح، ومنابذة الشريعة الغراء.

وسنورد نبذة قصيرة عن هاتين الفرقتين، وعن بعض عقائدهما لنعرف مدى الغلو الذي وصل إليه أصحاب هاتين الفرقتين، واستحقاقهما لهذا النقد، ثم نذكر بعضاً من صور الغلو الشيعة الإمامية الإثني عشرية في أئمتهم، ليعرف مقدار الغلو الذي وصلوا إليه.

أولاً : فرقة الغرابية :

وهؤلاء يقولون : إن الله تعالى بعث جبريلٍ إلى علي رضي الله عنه، فغلط وجاء إلى محمد، قالوا : وإنما غلط لأنه كان يشبه محمداً وكان أشبه به من الغراب بالغراب، ومن أجل هذا سموا غرابية، وكانوا يقولون بأن أبناء علي أنبياء من بعده[1].

ثانياً : فرقة الدروز :

تنسب هذه الطائفة إلى أحد دعاة الباطنية الإسماعيلية الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي، ويسمى هذا الداعي محمد بن إسماعيل، ويقال له : درزي، وهو من أصل فارسي، ويعرف بنشتكين[2]، قدم إلى مصر ودخل في خدمة الحاكم، ثم كان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المفتون.

---

(1) يُنظر : التبصير في الدين (ص : 114)، والفرق بين الفرق (ص : 215).

(2) ويذكر بعضهم أن اسمه منصور نشتكين الدرزي.

ولم يكـن نشتكين في هـذا الميدان وحده، بل كان معه ضال آخر فارسي أيضاً يسمى : حمزة بن علي الزوزني، من أهالي زوزن بإيران، وكان له الأثر البارز في تاريخ الدروز فيما بعد، بل هو زعيم المذهب الدرزي ومؤسسه.

ولهذه الفرقة مجموعة من العقائد المخالفة لشرائع الإسلام منها :

1- ألوهية الحاكم :

يقول حمزة بن علي بن أحمد الزوزني : «فالحذر الحذر أن يقول واحد منهم بأن مولانا جل ذكره ابن العزيز أو أبو علي، لأن مولانا سبحانه هو في كل عصر وزمان، يظهر في صورة بشرية وصفة مرئية، كيف يشاء حيث يشاء».

إلى أن يقول : «وهو سبحانه لا تغيره الدهور ولا الأعوام ولا الشهور، وإنما يتغير عليكم بما فيه صلاح شأنكم، وهو تغيير الاسم والصفة لا غير، وأفعاله جل ذكره تظهر من القوة إلى الفعل كما يشاء : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن : 29] أي : كل عصر في صورة، لا يشغله شأن عن شأن، وأما من قال واعتقد بأن مولانا جل ذكره سلم قدرته ونقل عظمته إلى الأمير علي، أو أشار إليه بالمعنوية، فقد أشرك بمولانا سبحانه غيره، وسبقه بالقول، فمن منكم يعتقد هذا القول فليرجع عنه، ويستقيل منه ويستغفر المولى جل ذكره وتقدس اسمه من ذلك، ولا يجوز لأحد يشرك في عبادته ابناً ولا أباً، ولا يشير إلى حجاب يحتجب مولانا جل ذكره فيه، إلا بعد أن يظهر مولانا جل ذكره أمره، ويجعل فيمن يشاء حكمته، فحينئذ لا مرد لقضائه ولا عاصياً لحكمه...

وما أدراك ما حقيقة الحاكم ؟ ولم تسمى بالحاكـم في هذه الصورة دون سائر الصور ؟ ومولانا جل ذكره غير غائب عن ناسوته، فعله فعل ذلك المحجوب عنا في نطقه ذلك النطق لا يغيب اللاهوت عن الناسوت، إلا إنكم لا تستطيعون النظر إليه، ولا لكم قدرة بإحاطة حقيقته.

وأراد بالحاكم أي: يحكم على جميع النطقاء والأسس والأئمة والحجج، ويستعبدهم تحت حكمه وسلطانه، وهم عبيد دولته ومماليك دعوته، الحاكم بذاته وترك الاعتراض فيما يفعله مولانا جل ذكره، ولو طلب من أحدكم أن يقتل ولده لوجب عليه ذلك، بلا إكراه قلب ؛ لأن من فعل شيئاً هو غير راض به لم يثب عليه، ومن رضي بأفعاله وسلم الأمر إليه ولم يراء إمام زمانه كان من الموحدين، الذين لا خوف عليهم.

واعلموا أن الشرك خفي المدخل، دقيق الستر والمسبل، وليس منكم أحد إلا وهو يشرك ولا يدري، ويكفر وهو يسري، ويجحد وهو يزدري، وذلك قول القائل منكم : بأن مولانا سبحانه صاحب الزمان، أو إمام الزمان، أو ولي الله، أو خليفته، أو ما شاكل ذلك من قولكم : الحاكم بأمر الله، أو سلام الله عليه، أو صلوات الله عليه»[1].

2- الحلول والتناسخ :

وحاصل هذا المعتقد أنهم يقولون : إن الجسد لا يرجع بعد الموت، ولكن النفس تحل في جسد آخر، فنفس الموحد تنتقل إلى موحد آخر، وكذا المشرك، ولا تتغير الأنفس، ولكنها تغير قحصانها، أي : أشكالها الخارجية[2].

3- الغيبة والرجعة :

يقولون بغيبة الحاكم ورجعته في آخر الزمان، كما ذكر ذلك حمزة في رسالته المعنونة بـ : نسخة السجل الذي وجد معلقاً على المشاهد في غيبة مولانا الإمام الحاكم، كتب في آخره : «فقد غضب الله تعالى ووليه أمير المؤمنين - سلام الله عليه - من عظم إسراف الكافة أجمعين، ولذلك خرج من أوساطكم، فإذا أطلت عليكم الرحمة خرج ولي الله إمامكم باختياره، راضياً عنكم، ظاهراً في أوساطكم»[3].

4- إسقاط التكاليف الشرعية :

يقول الدكتور محمد كامل حسين عن عقيدتهم في هذا الأمر : «واتخذوا لهم فرائض أطلقوا عليها الفرائض التوحيدية، وهي معرفة الباري[4] وتنزيهه عن جميع الصفات والأسماء، ثم معرفة الإمام قائم الزمان، وهو حمزة بن علي بن أحمد، وتمييزه عن سائر الحدود، ووجوب طاعته طاعة تامة، ثم معرفة الحدود[5] بأسمائهم وألقابهم

(1) رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد لحمزة بن علي الزوزني، نقلاً عن الإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص : 729-730).
(2) يُنظر : رسالة الأسرار ومجالس الرحمة للأولياء والأبرار. من رسائل الدروز، نقلاً عن الإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص : 731).
(3) يُنظر : السجل المذكور ضمن رسائل حمزة المدرجة بكاملها في آخر كتاب الحاكم بأمر الله (ص : 397)، ومذهب الدروز والتوحيد لعبد الله نجار (ص : 119-120)، نقلاً عن الإسماعيلية تاريخ وعقائد (ص : 732).
(4) أي : الحاكم.
(5) أي : كبار دعاتهم.

ومراتبهم، ووجوب طاعتهم، فإذا اعترف الإنسان بهذه الفرائض التوحيدية الثلاثة أصبح موحداً، وليس عليه أن يقوم بتكاليف أي : فريضة من الفرائض».

إلى أن يقول بعد ذكره شريعتهم التي نقضوا بها التكاليف : «ومعنى هذا : أن شريعة الدروز تتلخص في إسقاط الفرائض الدينية التكليفية، وعدم إقامة الفرائض الدينية الإسلامية»[1].

5- نبوة حمزة بن علي ورسالته :

يقول صاحب كتاب النقط والدوائر الدرزي - وهو يذكر حمزة - : «فهو الإمام والدليل على عبادة الله، والداعي إلى توحيد الله، والناطق بحق الله، والبرهان على الله، والرسول الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[2].

هذه نبذة يسيرة عن هاتين الفرقتين المنتسبتين إلى الشيعة، واللتين تعتبران من غلاة الشيعة.

وعند التأمل في معتقدات الشيعة الإمامية الإثني عشرية نجد أن غلوهم في أئمتهم قد بلغ حداً عجيباً، فإنهم قد أطلقوا صفات الربوبية والألوهية على أئمتهم، وفضلوهم على أنبياء الله ورسله وملائكته، وأسندوا إليهم النفع والضر، وعلم الغيب الذي اختص الله به، وغيرها من العقائد، التي تشابه إلى حد كبير عقائد غلاة الشيعة.

حتى قال شيخهم وعالم رجالهم في هذا العصر عبد الله الممقاني : «إن القدماء[3] كانوا يعدون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب الشيعة غلواً وارتفاعاً، وكانوا يرمون بذلك أوثق الرجال كما لا يخفى على من أحاط خبراً بكلماتهم»[4].

بعض صور ومظاهر غلو الشيعة الإمامية الإثني عشرية في أئمتهم :

صور ومظاهر غلو الشيعة الإمامية الإثني عشرية في أئمتهم متعددة ومتنوعة، فقد امتلأت كتبهم ومراجعهم بالروايات المزعومة والمفتراة على رسول الله صلى الله عليه

---

(1) طائفة الدروز (ص : 117، 118).

(2) النقط والدوائر (ص : 12) نقلا عن عقيدة الدروز للخطيب (ص : 110).

(3) يعني : من الشيعة.

(4) تنقيح المقال (23/3).

وسلم وعلى أئمتهم الإثني عشر، وهذه الروايات المكذوبة تحيط أئمتهم بهالة من القداسة والتعظيم، لتتجاوز بهم صفات المخلوقين، إلى صفات الخالق سبحانه وتعالى، فلا تكتفي هذه الروايات المزعومة بتفضيلهم على الملائكة والأنبياء والمرسلين، لكنها تصبغهم بصفات الربوبية والألوهية التي اختص الله سبحانه بها.

وسنذكر هنا بعض صور ومظاهر هذا الغلو، مع سرد رواياتهم المفتراة على أئمتهم، وأقوال علمائهم التي تبين اعتقادهم لهذا الغلو والتقديس ؛ ليتبين وجه التشابه بين هذه الفرقة وبين غلاة الشيعة :

إسناد الحوادث الكونية والنفع والضر والإحياء والإماتة إلى الأئمة :

روى المفيد في كتابه الاختصاص والمجلسي في بحار الأنوار عن سماعة بن مهران أنه قال : «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت : من صاحبنا ؟ قال : أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

وفي رواية أخرى : «... ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب، أسباب السماوات والأرضين السبع، خمس عوامر وثنتان خرابان»[2].

وروى الكليني في الكافي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إنّ أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم وإنّ شابًا منهم أتاه فقال : يا خالي ! إنّ أخي مات وقد حزنت عليه حزنًا شديدًا، قال : فقال : تشتهي أن تراه ؟ قال : بلى، قال: فأرني قبره، قال : فخرج ومعه بردة رسول الله متزرًا بها، فلمّا انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ قال : بلى، ولكنا متنا على سنة فلان وفلان - أي : أبو بكر وعمر - فانقلبت ألسنتنا»[3].

(1) الاختصاص (ص : 327)، وبحار الأنوار (33/27).

(2) بصائر الدرجات (ص : 429)، وبحار الأنوار (183/12).

(3) الكافي (457/1)، ويُنظر : بحار الأنوار 192/41)، بصائر الدرجات (ص 76).

وروى المجلسي في بحار الأنوار عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قالَ : (إن فلاناً وفلاناً وابن عوف أتوا النبي صلى الله عليه وآله ليعتبوه فقال الأول : اتخذ الله إبراهيم خليلاً فماذا صنع بك ربك ؟

وقال الثاني : كلم الله موسى تكليماً فما صنع بك ربك ؟

وقال ابن عوف : عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله فما صنع بك ربك ؟

فقال للأول : اتخذ الله إبراهيم خليلاً واتخذني حبيباً.

وقال للثاني : كلم الله موسى تكليماً من وراء حجاب وقد رأيت عرش ربي وكلمني.

وقال للثالث : عيسى بن مريم يحيي الموتى بإذن الله وأنا إن شئتم أحييت لكم موتاكم.

قالوا : قد شئنا وعلى ذلك داروا.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فدعاه فأتاه، فقال له : أقدمهم على القبور، ثم قال لهم : اتبعوه، فلما توسط الجبانة تكلم بكلمة فاضطربت وارتجت قلوبهم ودخلهم من الذعر ما شاء الله، وامتقعت ألوانهم ولم تقبل ذلك قلوبهم، فقالوا : يا أبا الحسن أقلنا عثراتنا، قال : إنما رددتم على الله، ثم إن النبي صلى الله عليه وآله بعث إلى علي عليه السلام فدعاه)[1].

وفي بحار الأنوار أيضاً :

«أن قوماً من النصارى كانوا دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وقالوا : نخرج ونجيء بأهلينا وقومنا، فإن أنت أخرجت لنا مائة ناقة من الحجر سوداء من كل واحدة فصيل آمنا. فضمن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وانصرفوا إلى بلادهم.

فلما كان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله رجعوا فدخلوا المدينة، فسألوا عن النبي صلى الله عليه وآله فقيل لهم : توفي صلى الله عليه وآله، فقالوا : نجد في كتبنا أنه لا يخرج من الدنيا نبي إلا ويكون له وصي، فمن كان وصي نبيكم محمد ؟ فدلوا

---

(1) بحار الأنوار (194/41).

على أبي بكر ! فدخلوا عليه وقالوا : لنا دين على محمد، قال : وما هو ؟ قالوا : مائة ناقة مع كل ناقة فصيل وكلها سود، فقال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله تركة تفي بذلك، فقال بعضهم لبعض بلسانهم : ما كان أمر محمد إلا باطلاً، وكان سلمان حاضراً وكان يعرف لغتهم، فقال لهم : أنا أدلكم على وصي محمد، فإذا بعلي قد دخل المسجد، فنهضوا إليه وجثوا بين يديه فقالوا : لنا على نبيكم دين مائة ناقة ديناً بصفات مخصوصة، قال علي عليه السلام: وتسلمون حينئذ ؟ قالوا : نعم، فواعدهم إلى الغد، ثم خرج بهم إلى الجبانة والمنافقون يزعمون أنه يفتضح، فلما وصل إليهم صلى ركعتين ودعا خفياً، ثم ضرب بقضيب رسول الله على الحجر فسمع منه أنين يكون للنوق عند مخاضها، فبينما كذلك إذا انشق الحجر وخرج منه رأس ناقة وقد تعلق منه رأس الزمام، فقال عليه السلام لابنه الحسن : خذه، فخرج منه مائة ناقة مع كل واحدة فصيل كلها سود الألوان، فأسلم النصارى كلهم، ثم قالوا : كانت ناقة صالح النبي واحدة وكان بسببها هلاك قوم كثير، فادع يا أمير المؤمنين حتى تدخل النوق وفصالها في الحجر لئلا يكون شيء منها سبب هلاك أمة محمد، فدعا فدخلت كما خرجت»[1].

وفيه أيضاً أن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : «لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأولين والآخرين لأحياهم»[2].

زعمهم أن الأئمة يحلون ويحرمون ما شاءوا :

روى الكليني في الكافي والمجلسي في بحار الأنوار : «أن الله سبحانه وتعالى خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون»[3].

قال المجلسي معلقاً على هذه الرواية : «وأجرى طاعتهم عليها، أي : أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر، وإقبال الشجر، وتسبيح الحصى، وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتّحريم والعطاء والمنع..»[4].

---

(1) المرجع السابق (198/41).

(2) المرجع السابق (201/41)، الخرائج والجرائح (ص 82).

(3) الكافي (441/1)، بحار الأنوار (340/25).

(4) بحار الأنوار (341/25-342).

وروى المفيد في كتابه الاختصاص عن موسى بن أشيم قال : «دخلت على أبي عبد الله فسألته عن مسألة فأجابني فيها بجواب، فأنا جالس إذ دخل رجل فسأله عنها بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني، فدخل رجل آخر فسأله بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني وخلاف ما أجابه به صاحبي، ففزعت من ذلك وعظم علي، فلما خرج القوم نظر إليَّ وقال : يا ابن أشيم إن الله فوض إلى داود أمر ملكه فقال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : 39]، وفوض إلى محمد صلى الله عليه وسلم أمر دينه فقال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : 7]، وإن الله فوض إلى الأئمة منا وإلينا ما فوض إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلا تجزع»[1].

وروى عن محمد الباقر رحمه الله أنه قال : «من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظّالمين فهو حلال ؛ لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام»[2].

زعمهم أن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف فيها كيف يشاء :

عقد صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان : «باب أن الأرض كلها للإمام»[3]، ومما جاء فيه : عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله...»[4].

ادعاؤهم أن أول ما يسأل عنه المرء في القبر هو حب الأئمة :

ادعى المجلسي في بحاره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت)[57].

ويقول أيضاً : «فيسأله ملكان عن من يعتقده من الأئمّة واحد بعد واحد، فإن لم يجب عن واحد منهم يضربانه بعمود من نار يمتلئ قبره نارًا إلى يوم القيامة»[6].

(1) الاختصاص (ص 329-330)، بحار الأنوار (23-185).
(2) الاختصاص (ص : 330)، بحار الأنوار (334/25).
(3) يُنظر : الكافي (407/1-410).
(4) المرجع السابق (409/1).
(5) بحار الأنوار (79/27)، عيون أخبار الرضا (ص : 222).
(6) يُنظر : الاعتقادات (ص : 95).

ويقول محمد الحسيني الجلالي في كتابه الإسلام عقيدة ودستور : «إذا كان في حياته - أي : الميت - معتقدًا بهم - يعني : الإثني عشر - فإنه يستطيع الرد على أسئلتهم - يعني : على أسئلة الملائكة - ويكون في رغد إلى يوم الحشر»[1].

زعمهم أن قول الإمام كقول الله تعالى وأنه لا اختلاف فيه :

روى الكليني في كتابه الكافي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[2].

قال المازندراني شارح الكافي : «أن حديث كل واحد من الأئمة الظاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى»[3].

ثم قال بعد ذلك : «فإن قلت: فعلى هذا يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول : قال الله تعالى ؟

قلت : هذا حكم آخر غير مستفاد من هذا الحديث. نعم، يستفاد مما ذكر سابقاً من رواية أبي بصير ورواية جميل عن أبي عبد الله (عليه السلام) جواز ذلك، بل أولويته»[4].

وقال ابن بابويه القمي في كتابه الاعتقادات : «اعتقادنا في الأخبار الصحيحة عن الأئمة أنها موافقة لكتاب الله، متفقة المعاني غير مختلفة ؛ لأنها مأخوذة من طريق الوحي عن الله سبحانه»[5].

---

(1) الإسلام عقيدة ودستور (ص : 77).
(2) الكافي (53/1).
(3) شرح الكافي للمازندراني (272/2).
(4) المرجع السابق (272/2).
(5) الاعتقادات (ص 108-109).

وقال الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية : «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن، يجب تنفيذها واتباعها»[1].

زعمهم أن الأئمة يعلمون كل شيء، وأنهم يعلمون الغيب :

يقول الكليني في كتابه الكافي : «باب : أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام»[2].

وروى تحت باب : أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا.

عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم»[3].

وروى تحت باب : أن الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.

عن جعفر الصادق رحمه الله أيضاً قال : «أي إمام لا يعلم ما يغيبه، وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة الله على خلقه»[4].

وروى أيضاً عن عبد الله بن جندب : «أنه كتب إليه علي بن موسى : أما بعد : فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق»[5].

وروى أيضاً عن يوسف التمار أنه قال : «كنا مع أبي عبد الله - عليه السلام - جماعة من الشيعة في الحجر فقال أبو عبد الله: علينا عين ؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين. فقال : ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر - عليهما السلام - لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما ؛ لأن موسى والخضر - عليهما السلام - أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة»[6].

---

(1) الحكومة الإسلامية (ص : 113).
(2) الكافي (255/1).
(3) المرجع السابق (258/1).
(4) المرجع السابق (285/1).
(5) المرجع السابق (223/1).
(6) المرجع السابق (261/1).

وروى أيضاً عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ما جاء به علي - عليه السلام - آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثلما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله، ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين - عليه السلام - باب الله لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - كثيراً ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، لقد أقرت لي جميع الملائكة والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله، ولقد حملت علي مثل حمولته، وهي حمولة الرب، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى وأدعى فأكسى، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني»[1].

استغاثتهم بأئمتهم ودعاؤهم لهم من دون لله :

جاء في بحار الأنوار للمجلسي : «إذا كان لك حاجة إلى الله عز وجل فاكتب رقعة على بركة الله واطرحها على قبر من قبور الأئمة إن شئت، أو فشدها واختمها واعجن طيناً نظيفاً واجعلها فيه، واطرحها في نهر جار أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيد عليه السلام، وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسه»[2].

ثم ذكر أنه يكتب في هذه الرقعة : «بسم الله الرحمن الرحيم، كتبت إليك يا مولاي صلوات الله عليك مستغيثًا..، فأغثني يا مولاي صلوات الله عليك عند اللهف، وقدم المسألة لله عز وجل في أمري قبل حلول التلف وشماتة الأعداء، فبك بسطت النعمة علي، واسأل الله - الخطاب للإمام في قبره - جل جلاله لي نصرًا عزيزًا..»[3].

ثم ذكر بأنه يصعد النهر أو الغدير وينادي على أحد أبواب المنتظر فينادي أحدهم ويقول : «يا فلان بن فلان سلام الله عليك، أشهد أن وفاتك في سبيل الله وأنت حي

(1) المرجع السابق (1/196-197).
(2) بحار الأنوار (94/29).
(3) المرجع السابق (94/29-30).

عند الله مرزوق، وقد خاطبتك في حياتك التي لك عند الله جل وعز، وهذه رقعتي وحاجتي إلى مولانا عليه السلام فسلمها إليه فأنت الثقة الأمين»[1].

وفي رقعة أخرى أورد المجلسي أنه يكتب فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، توسلت بحجة الله الخلف الصالح محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، النبأ العظيم، والصراط المستقيم، والحبل المتين، عصمة الملجأ، وقسيم الجنة والنار، أتوسل إليك بآبائك الطاهرين، وأمهاتك الطاهرات، الباقيات الصالحات، الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عز من قائل : ﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ [الكهف : 46]، وبجدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه، أن تكون وسيلتي إلى الله عز وجل في كشف ضري وحل عقدي وفرج حسرتي، وكشف بليتي...»[2].

وفي استغاثة أخرى ذكرها المجلسي أيضاً، وفيها أن صاحب الحاجة يقول : «ارجع فيما أنت بسبيله إلى الله تعالى، واستعن بصاحب الزمان[3] عليه السلام، واتخذه لك مفزعًا، فإنه نعم المعين، وهو عصمة أوليائه المؤمنين... وقل :... السلام عليك يا إمام المسلمين والمؤمنين، السلام عليك يا وارث علم النبيين، السلام عليك يا عصمة الدين، السلام عليك يا معز المؤمنين المستضعفين، السلام عليك يا مذل الكافرين المتكبرين الظالمين، السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان.. يا مولاي، حاجتي كذا وكذا فاشفع لي في نجاحها»[4].

وفي رواية عن أبي الوفا الشيرازي أنه قبض عليه أبو علي إلياس صاحب كرمان، قال : «فقيدني وكان الموكلون بي يقولون : إنه قد هم فيك بمكروه، فقلقت لذلك، وجعلت أناجي الله تعالى بالأئمة عليهم السلام، فلما كانت ليلة الجمعة وفرغت من صلاتي نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في نومي، وهو يقول : لا تتوسل بي ولا

(1) المرجع السابق (30/94).

(2) المرجع السابق (28/94).

(3) من ألقاب مهديهم المنتظر.

(4) المرجع السابق (32931/94).

بابني لشيء من أعراض الدنيا إلا لما تبتغيه من طاعة الله تعالى ورضوانه، وأما أبو الحسن أخي فإنه ينتقم لك ممن ظلمك... وأما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة، وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان، وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما الحسن بن علي فللآخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح، فاستعن به، فإنه يعينك، ووضع يده على حلقه، قال : فناديت في نومي : يا مولاي يا صاحب الزمان أدركني فقد بلغ مجهودي. قال أبو الوفا : فانتبهت من نومي، والموكلون يأخذون قيودي»[1].

وفي بحار الأنوار عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إذا كانت لك حاجة إلى الله وضقت بها ذرعاً فصل ركعتين فإذا سلمت كبر الله ثلاثاً وسبح تسبيح فاطمة عليها السلام، ثم اسجد وقل مائة مرة : يا مولاتي فاطمة أغيثيني. ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقل مثل ذلك، ثم عد إلى السجود، وقل ذلك مائة مرة وعشر مرات، واذكر حاجتك فإن الله يقضيها»[2].

تفضيل الأئمة الإثني عشر على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام :

روى الكليني في كتابه الكافي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماما»[3].

وفي رسالة تفضيل أمير المؤمنين (ع) للمفيد أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «والله لو لم يخلق علي بن أبي طالب سلام الله عليه لما كان لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كفء من الخلق، آدم فمن دونه»[4].

---

(1) المرجع السابق (91/62-33)، ويُنظر : الدعوات للراوندي (ص : 191).
(2) المرجع السابق (91/30-31).
(3) الكافي (1/175).
(4) تفضيل أمير المؤمنين (ع) (ص : 32).

وعنه أيضاً : «كان يوسف بن يعقوب نبي بن نبي بن نبي بن خليل الله، وكان صديقاً رسولاً، وكان - والله - أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه أفضل منه»[1].

وعنه أيضاً وقد سئل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كانت منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لم يكن بينه - أي علي - وبينه - أي الرسول - فضل سوى الرسالة التي أوردها»[2].

وأورد المجلسي في بحار الأنوار أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «إن الله عرض ولايتي على أهل السّماوات وأهل الأرض أقر بها من أقر، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها»[3].

ولهم في هذا المعنى روايات كثيرة ذكر منها المجلسي في «باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق، وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم»[4].

وقال عقب نقله لكلام ابن بابويه في فضل الأئمة ما نصه : «اعلم أنّ ما ذكره رحمه الله من فضل نبيّنا وأئمّتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمّتنا أفضل من سائر الأنبياء، هو الذي لا يرتاب فيه من تتبّع أخبارهم - عليهم السّلام - على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى... وهي متفرقة في الأبواب، لاسيما باب صفات الأنبياء وأصنافهم - عليهم السلام - وباب أنهم - عليهم السلام - كلمة الله، وباب بدو أنوارهم، وباب أنهم أعلم من الأنبياء، وعليه عمدة الإمامية... ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار»[5].

وقال في كتابه مرآة العقول : «وإنهم - أي : الأئمة - أفضل وأشرف من جميع الأنبياء سوى نبينا صلوات الله عليه وعليهم»[6].

(1) المرجع السابق (ص : 32).

(2) المرجع السابق (ص : 32-33).

(3) بحار الأنوار (282/26)، بصائر الدرجات (ص : 22).

(4) بحار الأنوار (267/26-319).

(5) المرجع السابق (297/26-298).

(6) مرآة العقول (290/2).

يقول المفيد في رسالته تفضيل أمير المؤمنين (ع) : «وإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام أحب الخلق إلى الله، فقد وضح أنه أعظمهم ثواباً عند الله، وأكرمهم عليه، وذلك لا يكون إلا بكونه أفضلهم عملاً وأرضاهم فعلاً، وأجلهم في مراتب العابدين، وعموم اللفظ بأنه أحب خلق الله إليه تعالى على الوجه الذي فسرناه وقضينا بأنه أفضل من جميع البشر، الأنبياء والملائكة، ومن دونهم من عالمي الأنام، ولولا أن الدليل أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا العموم لقضى بدخوله فيه ظاهر الكلام، لكنه اختص بالخروج منه بما لا يمكن قيامه على سواه، ولا يسلم لمن ادعاه.

ومن ذلك ما جاءت به الأخبار على التظاهر والانتشار، ونقله رجال العامة والخاصة على التطابق والاتفاق، عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يلي معه الحوض يوم القيامة، ويحمل بين يديه لواء الحمد إلى الجنة، وأنه قسيم الجنة والنار، وأنه يعلو معه في مراتب المنبر المنصوب له يوم القيامة للمآب، فيقعد الرسول صلى الله عليه وسلم في ذروته وأعلاه، ويجلس أمير المؤمنين صلوات الله عليه في المرقاة التي تلي الذروة منه، ويجلس الأنبياء صلوات الله عليهم دونهما صلوات الله وسلامه عليهما، وأنه يدعى صلى الله عليه وآله فيكسى حلة أخرى. وأنه لا يجوز الصراط يوم القيامة إلا من معه براءة من علي بن أبي طالب عليه السلام من النار، وأن ذريته الأئمة الأبرار عليهم السلام يومئذ أصحاب الأعراف»[1].

وقال شيخهم نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية : «اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا - رضوان الله عليهم - في أشرفية نبينا على سائر الأنبياء عليهم السلام ؛ للأخبار المتواترة، وإنما الخلاف في أفضلية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين - عليهم السلام - على الأنبياء ما عدا جدهم، فذهب جماعة إلى أنهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولي العزم، فإنهم أفضل من الأئمة، وبعضهم إلى المساواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة - عليهم السلام - على أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب»[2].

وبوب الحر العاملي في كتابه : الفصول المهمة، باباً مستقلاً بعنوان : الأئمة الإثنا عشر أفضل من سائر المخلوقات، من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم.

---

(1) تفضيل أمير المؤمنين (ع) (ص : 28-30).

(2) الأنوار النعمانية (1/20-21).

وروى تحت هذا الباب عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن الله خلق أولي العزم من الرسل وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمهم، وعلمنا علم الرسول وعلمهم»[1].

ويقول الأمير محمد الكاظمي القزويني في كتابه الشيعة في عقائدهم وأحكامهم :

«الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء»[2].

ويقول شيخهم عبد الحسين دستغيب في كتابه اليقين :

«وأئمتنا الإثنا عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء باستثناء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ولعل أحد أسباب ذلك هو أن اليقين لديهم أكثر»[3].

ويقول عبد الله شبر[4] : «يجب الإيمان بأن نبينا وآله المعصومين أفضل من الأنبياء والمرسلين ومن الملائكة المقربين لتضافر الأخبار بذلك وتواترها»[5].

وقد ألف بعض شيوخهم في هذا المذهب مؤلفات مثل كتاب : تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب : تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل، وكلا الكتابين لشيخهم هاشم البحراني، وكتاب : تفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء، لشيخهم محمد كاظم الهزار، وكذا تفضيل أمير المؤمنين علي على من عدا خاتم النبيين، لمحمد باقر المجلسي.

وقد أقر إمامهم في هذا العصر الخميني بهذا الأمر الخطير، فقال :

«إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل... وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[6].

---

(1) الفصول المهمة (ص : 152).

(2) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم (ص : 73).

(3) اليقين (ص : 46).

(4) عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي (1188-1242هـ)، من مفسري الشيعة الرافضة، كان ينعت بالمجلسي الثاني، ولد بالنجف، وعاش بالكاظمية والحلة وتوفي بالكرخ. له مؤلفات منها : الوجيز في تفسير القرآن، وحق اليقين في معرفة أصول الدين، وفقه الإمامية، وشرح الزيارة الجامعة. يُنظر : الأعلام (131/4)، وأعيان الشيعة (82/8).

(5) حق اليقين (209/1)..

(6) الحكومة الإسلامية (ص : 52).

تفضيلهم الأئمة على الملائكة، وزعمهم أن الملائكة خدام للأئمة :

زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إن الملائكة لخدامنا، وخدام محبينا)[1].

وفي بحار الأنوار عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فقبلها الملائكة وأباها ملك يقال له: فطرس، فكسر الله جناحه. فلما ولد الحسين بن علي (عليه السلام) بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمد (صلى الله عليه وآله) يهنئهم بولادته. فمر بفطرس فقال له فطرس : يا جبرئيل إلى أين تذهب ؟ قال : بعثني الله إلى محمد (صلى الله عليه وسلم) أهنئهم بمولود ولد في هذه الليلة. فقال له فطرس : احملني معك، وسل محمداً يدعو لي، فقال له جبرئيل : اركب جناحي، فركب جناحه فأتى محمداً فدخل عليه وهناه فقال له : يا رسول الله إن فطرس بيني وبينه أخوة، وسألني أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لفطرس : أتفعل ؟ قال : نعم، فعرض عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) فقبلها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : شأنك بالمهد فتمسح به وتمرغ فيه. قال : فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي (عليه السلام) ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) يدعو له قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فنظرت إلى ريشه وإنه ليطلع ويجري منه الدم ويطول حتى لحق بجناحه الآخر، وعرج مع جبرئيل إلى السماء وصار إلى موضعه»[2].

وفي جامع الأخبار لابن بابويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من نور، فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعتنا فسبحنا فسبحوا وقدسنا فقدسوا وهللنا فهللوا ومجدنا فمجدوا ووحدنا فوحدوا. ثم خلق الله السماوات والأرضين وخلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ولا تمجيداً فسبحنا وسبحت شيعتنا فسبحت الملائكة لتسبيحنا. وقدسنا فقدست شيعتنا فقدست الملائكة

(1) بحار الأنوار (335/26)، وعلل الشرائع (ص : 13).
(2) بحار الأنوار (340/26-341)، بصائر الدرجات (ص : 20).

لتقديسنا. ومجدنا فمجدت شيعتنا فمجدت الملائكة لتمجيدنا. ووحدنا فوحدت شيعتنا فوحدت الملائكة لتوحيدنا، وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً من قبل تسبيحنا وتسبيح شيعتنا. فنحن الموحدون حين لا موحد غيرنا، وحقيق على الله تعالى كما اختصنا واختص شيعتنا أن ينزلنا أعلى عليين، إن الله سبحانه وتعالى اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً، فدعانا وأحبنا، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله)[1].

وفي بحار الأنوار أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : (إن الله خلق في السماء الرابعة مائة ألف ملك، وفي السماء الخامسة ثلاثمائة ألف ملك وفي السماء السابعة ملكاً رأسه تحت العرش ورجلاه تحت الثرى، وملائكة أكثر من ربيعة ومضر ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومحبيه، والاستغفار لشيعته المذنبين ومواليه)[2].

إسناد أمور الأخرة إلى الأئمة :

زعموا أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا»[3].

وعد الحر العاملي من أصول الأئمة : «الإيمان بأن حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمّة»[4].

وجاءت عندهم روايات كثيرة تقول : «لا يجوز الصّراط أحد إلا ومعه ولاية من علي»[5] أو «جواز فيه ولاية علي»[6]، أو «كتاب فيه براءة بولاية علي»[7].

(1) جامع الأخبار (ص : 9)، ويُنظر : بحار الأنوار (344/26).
(2) بحار الأنوار (349/26).
(3) رجال الكشي (ص : 337).
(4) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص : 171).
(5) المعالم الزلفى (ص : 239).
(6) بحار الأنوار (68/8)، البرهان (17/4).
(7) بحار الأنوار (66/8).

وعقد المجلسي بابًا في بحاره بعنوان : «باب أنّه عليه السّلام قسيم الجنّة والنّار، وجواز الصّراط»[1].

وعقد البحراني بابًا بنحو ذلك[2].

وفي قوله سبحانه : ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف : 87] قالوا : «يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذابًا نكرًا»[3].

وقالوا بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاحب الجنة والنار.

في بحار الأنوار للمجلسي وبصائر الدرجات للصفار أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه الخلائق، يصعده رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره : يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من يشاء»[4].

زعمهم أن الأئمة هم الوسائط بين الناس وبين ربهم :

قال المجلسي عن أئمته : «فإنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق»[5].

وعقد لذلك بابًا بعنوان «باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم»[6].

ورووا عن جعفر الصادق رحمه الله قال : «نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل»[7].

وجاء في كتاب عقائد الإمامية : «أن الأئمة الإثني عشر هم أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[8].

---

(1) المرجع السابق (193/39).
(2) المعالم الزلفى (ص : 167).
(3) مرآة الأنوار (ص : 59).
(4) بحار الأنوار (200/39)، بصائر الدرجات (ص : 122).
(5) بحار الأنوار (97/23).
(6) يُنظر : المرجع السابق (97/23).
(7) بحار الأنوار (101/23).
(8) عقائد الإمامية (ص : 98-99).

تعظيمهم لقبور أئمتهم :

يعتبر الشيعة الإمامية الإثنا عشرية قبور أئمتهم المزعومة حرمًا مقدسًا :

فقد روى الكليني في الكافي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين (عليهما السلام)، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف درهم. والمدينة حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين صلوات الله عليهما، الصلاة فيها بعشرة آلاف صلاة، والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم. والكوفة حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين (عليهما السلام)، الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم فيها بألف درهم»[1].

وروى المجلسي في كتابه بحار الأنوار عنه أيضاً : «إن لله حرمًا هو مكة، ولرسوله حرمًا وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة، ولنا حرمًا وهو قم[2]، ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة، من زارها وجبت له الجنة»[3].

بل ويفضلون كربلاء على الكعبة :

فقد روى جعفر بن محمد بن قولويه في كتابه كامل الزيارات والمجلسي في بحاره عن جعفر الصادق رحمه الله : «إن أرض الكعبة قالت : من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

فأوحى الله إليها أن كفي وقري، ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنبًا متواضعًا ذليلاً مهينًا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»[4].

---

(1) الكافي (586/4).

(2) قم : بالضم والتشديد كلمة فارسية، وهي مدينة تقع جنوبي طهران وشمالي قاشان، وهي مدينة مقدسة عند الشيعة، وأهلها كلهم شيعة إمامية، ومن أسباب تقديسهم لها وجود قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر الصادق فيها. يُنظر : معجم البلدان (397/4)، مشاهد العترة (ص : 162) وما بعدها.

(3) بحار الأنوار (107/101).

(4) كامل الزيارات (ص 270)، بحار الأنوار (109/101).

وروى المجلسي في بحار الأنوار عن محمد الباقر رحمه الله أنه قال : «اتخذ الله أرض كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرمًا بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياءه في الجنة»[1].

ويدعون أن تربة كربلاء شفاء من كل داء، وأنها أمان من كل خوف :

فقد روى الطوسي في أماليه عن الحارث بن المغيرة النصري، قال : «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به فما انتفعت بشيء منه. فقال لي : أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي (عليه السلام) ؛ فإن فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام : اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حل فيها، صلى على محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا.

قال : ثم قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : أما الملك الذي قبضها فهو جبرئيل (عليه السلام)، وأراها النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال : هذه تربة ابنك الحسين، تقتله أمتك من بعدك، والذي قبضها فهو محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأما الوصي الذي حل فيها فهو الحسين (عليه السلام) والشهداء (رضي الله عنهم). قلت : قد عرفت - جعلت فداك - الشفاء من كل داء فكيف الأمن من كل خوف ؟ فقال : إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين (عليه السلام)، فتقول : اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك، فاجعله لي أمناً وحرزاً لما أخاف وما لا أخاف. فإنه قد يرد ما لا يخاف.

قال الحارث بن المغيرة : فأخذت كما أمرني، وقلت ما قال لي فصح جسمي، وكان لي أماناً من كل ما خفت وما لم أخف، كما قال أبو عبد الله (عليه السلام)، فما رأيت مع ذلك بحمد الله مكروهاً ولا محذوراً»[2].

---

(1) بحار الأنوار (107/101).

(2) أمالي الطوسي (326/1)، ويُنظر : بحار الأنوار (119/101)، وكامل الزيارات (ص : 473-474).

وروى جعفر بن محمد بن قولويه في كتابه كامل الزيارات والمجلسي في بحاره عن محمد بن مسلم أنه قال : «خرجت إلى المدينة وأنا وجع، فقيل له : محمد بن مسلم وجع، فأرسل إلي أبو جعفر (عليه السلام) شراباً مع غلام مغطى بمنديل، فناولنيه الغلام وقال لي : اشربه ؛ فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه، فتناولته فإذا رائحة المسك منه، وإذا بشراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك مولاي: إذا شربته فتعال. ففكرت فيما قال لي، وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلما استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه، فصوت بي: صح الجسم ادخل...».

ثم قال : «ثم قال لي : هل تأتي قبر الحسين (عليه السلام)، قلت : نعم على خوف ووجل، فقال : ما كان في هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة وسلمت عليه الملائكة وزاره النبي (صلى الله عليه وآله) وما يصنع، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله.

ثم قال لي : كيف وجدت الشراب، فقلت : أشهد أنكم أهل بيت الرحمة، وأنك وصي الأوصياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدر على أن أستقل على قدمي، ولقد كنت آيساً من نفسي، فناولني الشراب فشربته، فما وجدت مثل ريحه ولا أطيب من ذوقه ولا طعمه، ولا أبرد منه، فلما شربته قال لي الغلام: إنه امرني أن اقول لك إذا شربته فأقبل إلي، وقد علمت شدة ما بي، فقلت: لأذهبن إليه ولو ذهبت نفسي. فأقبلت إليك فكأني نشطت من عقال، فالحمد لله الذي جعلكم رحمة لشيعتكم، فقال : يا محمد إن الشراب الذي شربته فيه من طين قبر الحسين (عليه السلام) وهو أفضل ما استشفي به، فلا نعدل به، فإنا نسقيه صبياننا ونساءنا، فنرى فيه كل خير، فقلت له : جعلت فداك إنا لنأخذ منه ونستشفي به، فقال : يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمر بأحد من الجن به عاهة ولا دابة ولا شيء به آفة إلا شمه فتذهب بركته فيصير بركته لغيره، وهذا الذي نتعالج به ليس هكذا، ولولا ما ذكرت لك ما يمسح به شيء ولا شرب منه شيء إلا أفاق من ساعته، وما هو إلا كحجر الأسود أتاه أصحاب العاهات والكفر والجاهلية، وكان لا يتمسح به أحد إلا أفاق، وكان كأبيض ياقوتة فاسود حتى صار إلى ما رأيت. فقلت : جعلت فداك وكيف أصنع به، فقال :

أنت تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك، تستخف به فتطرحه في خرجك وفي أشياء دنسة فيذهب ما فيه مما تريده له، فقلت : صدقت جعلت فداك، قال : ليس يأخذه أحد إلا وهو جاهل بأخذه، ولا يكاد يسلم بالناس. فقلت : جعلت فداك وكيف لي أن آخذه كما تأخذه، فقال لي : أعطيك منه شيئاً، فقلت : نعم، قال : إذا أخذته فكيف تصنع به ؟ فقلت : أذهب به معي، فقال : في أي شيء تجعله ؟ فقلت : في ثيابي، قال : فقد رجعت إلى ما كنت تصنع اشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله ؛ فإنه لا يسلم لك، فسقاني منه مرتين، فما أعلم أني وجدت شيئاً مما كنت أجد حتى انصرفت»[1].

ورويا عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «حنكوا أولادكم بتربة الحسين ؛ فإنه أمان»[2].

وروى الطوسي في كتابه تهذيب الأحكام عن محمد الحميري أنه قال : »كتبت إلى الفقيه - أي : مهديهم المنتظر - أسأله : هل يجوز أن يسبّح الرجل بطين القبر ؟ وهل فيه فضل ؟ فأجاب، وقرأت التوقيع ومنه نسخت : تسبّح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه، ومن فضله أن المُسبّح ينسى التسبيح ويدير السبحة تكتب له ذلك التسبيح»[3].

وفي رواية أخرى : «إذا قلبها ذاكرًا الله كتب له بكل حبة أربعون حسنة، وإذا قلبها ساهيًا يعبث بها كتب الله له عشرين حسنة»[4].

ورووا عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «إن الله جعل تربة جدي الحسين رضي الله عنه شفاء من كل داء، وأمانًا من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها ويضعها على عينيه، وليمرها على سائر جسده وليقل : اللهم بحق هذه التربة وبحق من حل بها وثوى فيها...»[5].

(1) كامل الزيارات (ص : 273-275)، وبحار الأنوار (121-120/101).
(2) كامل الزيارات (ص : 278)، بحار الأنوار (124/101).
(3) تهذيب الأحكام (75/6)، ويُنظر : بحار الأنوار (133-132/101).
(4) تهذيب الأحكام (75/6)، ويُنظر : بحار الأنوار (133-132/101).
(5) تهذيب الأحكام (75/6)، بحار الأنوار (132/101).

وذكر محمد المشهدي في كتابه المزار الكبير : «أن الحور العين إذا أبصرن بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمر ما يستهدين منه السبح والتربة من طين قبر الحسين عليه السلام»[1].

ويذكر الشيعة الإمامية الإثنا عشرية في فضل زيارة قبور الأئمة العديد من الروايات، التي تجعل هذه الزيارة أجل عبادة يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وقد خصصوا لهذه العبادة الجليلة عندهم كثيراً من الكتب والمؤلفات التي ذكرت وبينت فضل هذه العبادة، وأحكامها :

ففي بحار الأنوار للمجلسي، كتاب مستقل سماه (كتاب المزار) يتضمن أبوابًا كثيرة، اشتملت على مئات الروايات، وقد استغرق ذلك حوالي ثلاثة مجلدات[2].

وكذلك في وسائل الشيعة للحر العاملي ذكر (106) بابًا بعنوان : (أبواب المزار)[3].

وفي كتاب الوافي للكاشاني عقد ثلاثة وثلاثين بابًا بعنوان (أبواب المزارات والمشاهد)[4].

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه أبواب عدة حول المشاهد وتعظيمها كباب تربة الحسين وحريم قبره، وأبواب زيارة الأئمة وفضلها[5].

وفي تهذيب الأحكام للطوسي مجموعة كبيرة من الأبواب تتضمن تعظيم المشاهد والقبور، ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم[6].

وفي مستدرك الوسائل ستة وثمانون بابًا حوت (276) رواية في الزيارات والمشاهد[7].

هذا عدا ما اشتملت عليه كتبهم الأخرى كثواب الأعمال لابن بابويه وغيره.

---

(1) المزار الكبير (ص 119)، ويُنظر : بحار الأنوار (134/101).
(2) هي المجلدات : (100، 101، 102).
(3) يُنظر : وسائل الشيعة (251/10) وما بعدها.
(4) الوافي : المجلد الثاني (193/8) وما بعدها.
(5) يُنظر : من لا يحضره الفقيه (338/2) وما بعدها.
(6) يُنظر : تهذيب الأحكام (3/6) وما بعدها..
(7) يُنظر : مستدرك الوسائل (189/2-234).

وهذا غير ما ألف في المزارات من كتب خاصة به مثل : كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه، ومفاتيح الجنان لعباس بن محمد رضا القمي، وعمدة الزائر لحيدر بن إبراهيم الحسيني، وضياء الصالحين لمحمد بن صالح الجوهري وغيرها.

وقد بين شيخهم أغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة أن ما صنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتابًا[1].

موقف الشيعة الإثني عشرية من قبور أئمتهم وزيارتها[2] :

ويرى الشيعة الإثنا عشرية أن زيارة قبور أئمتهم واجب شرعي، وفريضة من الفرائض، التي يأثم تاركها، ويستحق بذلك دخول النار :

فقد روى الكليني في كتابه الكافي عن يونس بن أبي وهب القصري قال : «دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت : جعلت فداك أتيتك ولم أزر أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ قال : بئس ما صنعت ! لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون ؟»[3].

وقد عقد لذلك المجلسي بابًا بعنوان : (باب أن زيارته[4] واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذم والتأنيب والتوعد على تركها) وذكر فيه (40) حديثًا من أحاديثهم[5].

وفي وسائل الشيعة عن هارون بن خارجة عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : »سألته عمن ترك الزيارة - زيارة قبر الحسين عليه السلام - من غير علة، فقال : هذا رجل من أهل النار»[6].

ويرتبون على زيارة قبور الأئمة - وخصوصاً قبر الحسين رحمه الله - عظيم الأجر والثواب :

---

(1) يُنظر : الذريعة (20/316-326).

(2) يلاحظ كثرة المرويات عندهم في زيارة قبور الأئمة وتفضيلها وحشد النصوص لبيان ثوابها، وما هذا إلا لصرف العامة عن مكة والمدينة، لا سيما أنهم يفضلون كربلاء وقم والنجف على مكة والمدينة !!

(3) الكافي (4/580)، ويُنظر : كامل الزيارات (ص : 89)، بحار الأنوار (100/258).

(4) أي : الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(5) يُنظر : بحار الأنوار (101/1-11).

(6) وسائل الشيعة (10/336-337)، كامل الزيارات (ص : 193).

ففي بحار الأنوار للمجلسي : «من زار الرضا أو واحدًا من الأئمة فصلى عنده صلاة جعفر فإنه يكتب له بكل ركعة ثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبي مرسل، وله بكل خطوة مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط عنه مائة سيئة»[1].

وجاء في الكافي للكليني وغيره عن جعفر الصادق رحمه الله أن : «زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة»[2].

وروى شيخهم ابن بابويه القمي في كتابه ثواب الأعمال عن موسى بن القاسم الحضرمي أنه قال : «ورد أبو عبد الله عليه السلام في أول ولاية أبي جعفر فنزل النجف، فقال : يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق فانظر فإنه سيجيئك رجل من ناحية القادسية[3]، فإذا دنا منك فقل له : هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك فيجيء معك. قال : فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد فلم أزل قائماً حتى كدت أعمى وأنصرف وأدعه؛ إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير، قال : فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني، فقلت له : يا هذا هاهنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك، وقد وصفك لي.

قال : اذهب بنا إليه.

قال : فجئته حتى أناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة، قال : فدعا به فدخل الأعرابي إليه ودنوت أنا فصرت باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما، فقال أبو عبد الله عليه السلام : من أين قدمت ؟ قال : من أقصى اليمن. قال : فأنت من موضع كذا وكذا؟ قال : نعم أنا من موضع كذا وكذا، قال: فما جئت هاهنا ؟ قال : جئت زايراً للحسين عليه السلام. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فجئت من غير حاجة إلا الزيارة ؟ قال: جئت من غير حاجة ليس إلا أن أصلي عنده وأزوره وأسلم عليه وأرجع إلى أهلي. قال أبو عبد الله عليه السلام : وما ترون من زيارته قال : نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا.

(1) بحار الأنوار (100/137-138).

(2) الكافي (4/580)، ويُنظر : ثواب الأعمال (ص 52)، تهذيب الأحكام (2/16).

(3) تقع بين النجف والحيرة إلى الشمال الغربي من الكوفة، وإلى الجنوب من كربلاء. يُنظر : معجم البلدان (4/291-293).

قال : فقال له أبو عبد الله عليه السلام: أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال : زدني يابن رسول الله. قال : زيارة أبي عبد الله عليه السلام تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فتعجب من ذلك! فقال : إي والله! حجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله. فتعجب من ذلك ! فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال : ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وروى ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «كان الحسين عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله وهو يلاعبه ويضاحكه، وإن عائشة قالت : يا رسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي !! فقال لها : وكيف لا أحبه وأعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي، قالت : يا رسول الله! حجة من حججك ؟! قال : نعم وحجتين من حججي، قالت : يا رسول الله ! حجتين من حججك ؟! قال : نعم. وأربعة. فلم تزل تزاده ويزيد ويضعف حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها»[2].

وروى أيضاً عن محمد بن مسلم عن محمد الباقر رحمه الله أنه قال : «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقًا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت : وما فيه ؟ قال : من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد : هذا من زار الحسين شوقًا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام»[3].

---

(1) ثواب الأعمال (ص : 52)، ويُنظر : وسائل الشيعة (10/350-351).

(2) كامل الزيارات (144).

(3) المرجع السابق (ص : 143)، ويُنظر : وسائل الشيعة (1/353)، بحار الأنوار (101/18).

وفي رواية أخرى : «إن الرجل منكم ليغتسل في الفرات، ثم يأتي قبر الحسين عارفًا بحقه، فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومائة عمرة مبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل»[1].

وروى أيضاً عن مالك الجهني عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، قال : «من زار الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومع الأئمة الراشدين (عليهم السلام).

قال : قلت : جعلت فداك فما لمن كان في بعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم ؟

قال : إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومأ إليه بالسلام واجتهد على قاتله بالدعاء، وصلى بعده ركعتين، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثم ليندب الحسين (عليه السلام) ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسين (عليه السلام)، فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عز وجل جميع هذا الثواب.

فقلت : جعلت فداك وأنت الضامن لهم إذا فعلوا ذلك والزعيم به.

قال : أنا الضامن لهم ذلك والزعيم لمن فعل ذلك.

قال : قلت : فكيف يعزي بعضهم بعضاً.

قال : يقولون : عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام، وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد (صلى الله عليه وآله). فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل، فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة، وإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير رشداً، ولا تدخرن لمنزلك شيئاً، فإنه من ادخر لمنزله شيئاً في ذلك اليوم لم يبارك له فيما يدخره ولا يبارك له في أهله، فمن فعل ذلك كتب

---

(1) المرجع السابق (ص : 185)، ويُنظر : وسائل الشيعة (379/10).

له ثواب ألف ألف حجة وألف ألف عمرة وألف ألف غزوة كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان له ثواب مصيبة كل نبي ورسول وصديق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة»[1].

تفضيل الشيعة الإثني عشرية زيارة قبر الحسين أفضل من الحج :

والشيعة الإثنا عشرية تفضل زيارة قبر الحسين رضي الله عنه الذي يزعمون أنه في كربلاء على الحج إلى بيت الله الحرام، ويدعون أن لزيارته في أيام الحج وفي يوم عرفة أعظم الفضل :

فقد روى الكليني في كتابه الكافي عن بشير الدهان قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : «ربما فاتني الحج فأعرف عند قبر الحسين (عليه السلام) ؟ فقال : أحسنت يا بشير، أيما مؤمن أتى قبر الحسين (عليه السلام) عارفا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عدل، ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عدل، قال : قلت له : كيف لي بمثل الموقف ؟ قال : فنظر إليّ شبه المغضب ثم قال لي : يا بشير إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين (عليه السلام) يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها»[2].

وعن جعفر الصادق رحمه الله : «لو أني حدثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحج رأسًا، وما حج منكم أحد، ويحك أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرمًا آمنًا مباركًا قبل أن يتخذ مكة حرمًا..»[3].

وعن علي بن أسباط أن جعفر الصادق رحمه الله قال : «إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة. قال : قلت : قبل نظره إلى أهل الموقف ؟ قال : نعم. قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا»[4].

---

(1) المرجع السابق (ص 325-327)، بحار الأنوار (101/290).

(2) الكافي (4/580).

(3) بحار الأنوار (101/33)، كامل الزيارات (ص : 266).

(4) الوافي المجلد الثاني (8/222).

ويقصدون بأولاد الزنا غير الشيعة من المسلمين، فقد روى الكليني في الكافي عن محمد الباقر رحمه الله أنه قال : «والله إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا»[1].

وروى ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات عن بشار عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «من كان معسراً فلم يتهيأ له حجة الإسلام فليأت قبر الحسين (عليه السلام) وليعرف عنده، فذلك يجزيه عن حجة الإسلام، أما إني لا أقول يجزي ذلك عن حجة الإسلام إلا للمعسر، فأما الموسر إذا كان قد حج حجة الإسلام فأراد أن يتنفل بالحج أو العمرة ومنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأتى قبر الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة أجزأه ذلك عن أداء الحج أو العمرة، وضاعف الله له ذلك أضعافاً مضاعفة. قلت : كم تعدل حجة ؟ وكم تعدل عمرة ؟ قال : لا يحصى ذلك، قال : قلت : مائة، قال : ومن يحصي ذلك ؟ قلت : ألف، قال : وأكثر من ذلك، ثم قال : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله واسع كريم»[2].

قال شيخهم الفيض الكاشاني في التعليق عما تذكره رواياتهم من فضائل زيارة قبر الحسين : «إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إمامًا للمؤمنين، وله خلق السماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه، ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء، هذا مع أن مقابرهم رضي الله عنهم فيها - أيضًا - إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر»[3].

وزيارة قبور الأئمة ليست مجرد زيارة للسلام عليهم أو الدعاء لهم، وإنما هي عبادة لها شروطها وآدابها المفترضة على الزائر أن يقوم بها، لكي تقبل منه هذه الزيارة ويحصل على الأجور المترتبة عليها :

قال المجلسي في كتابه بحار الأنوار : (باب ما يستحب فعله عند قبره عليه السلام..)[4].

(1) الكافي (285/8).
(2) كامل الزيارات (ص : 322).
(3) الوافي، المجلد الثاني(224/8).
(4) بحار الأنوار (285/101).

ثم ذكر أن شيخ طائفتهم الطوسي قال في وصفه لأعمال زيارة يوم الجمعة : «.. ثم تنكب على القبر وتقول : مولاي إمامي، مظلوم استعدى على ظالمه، النصر النصر، حتى ينقطع النفس»[1].

وهذه زيارة للحسين أوصى بها جعفر الصادق وأمر قبل بدء هذه الزيارة بصيام ثلاثة أيام ثم الاغتسال، ولبس ثوبين طاهرين، ثم صلاة ركعتين، ثم قال : «فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة، وأوم بطرفك نحو القبر وقل : يا مولاي ! يا أبا عبد الله ! يا ابن رسول الله! عبدك وابن عبدك وابن أمتك، الذليل بين يديك، المقصر في علو قدرك، المعترف بحقك، جاءك مستجيرًا بذمتك، قاصدًا إلى حرمك، متوجهًا إلى مقامك - إلى أن قال - : ثم انكب على القبر وقُل : يا مولاي أتيتك خائفًا فآمني، وأتيتك مستجيرًا فأجرني.. ثم انكب على القبر ثانية»[2].

وقال شيخهم المفيد : «فإذا أردت الخروج فانكب على القبر وقبله - إلى أن قال - : ثم ارجع إلى مشهد الحسين وقل : السلام عليك يا أبا عبد الله! أنت لي جُنة من العذاب»[3].

استقبال القبر عندهم واستدبار القبلة :

وقال المجلسي عن حكم استقبال القبر وإن لم يكن موافقاً للقبلة : «إن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقًا للقبلة، واستقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله، أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة»[4].

ويقول أيضاً : «حكموا باستقبال القبر مطلقًا وهو الموافق للأخبار الأخر في زيارة البعيد»[5].

وقال : «إنه مع بعد الزائر عن القبر يستحسن استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة»[6].

---

(1) المرجع السابق (285/101).
(2) المرجع السابق (261-257/101) عن المزار الكبير لمحمد المشهدي (ص : 143-144).
(3) المرجع السابق (261-257/101).
(4) المرجع السابق (369/101).
(5) المرجع السابق (370-369/101).
(6) المرجع السابق (135/100).

وذلك عند أداء ركعتي الزيارة التي قالوا فيها : «إن ركعتي الزيارة لابد منهما عند كل قبر»[1].

ورووا أنه : «كتب الحميري إلى الناحية المقدسة[2] يسأل عن الرجل يزور قبور الأئمة عليهم السلام.. هل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم عليهم السلام، أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة أم يقوم عند رأسه أو رجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا ؟ فأجاب مهديهم :.. أما الصلاة فإنها خلفه ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره؛ لأن الإمام صلى الله عليه لا يتقدم عليه ولا يساوى»[3].

عصمة أئمتهم وضرورة اتباع قولهم :

يقول شيخهم المفيد في كتابه أوائل المقالات : «إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود وحفظ الشرائع، وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم صغيرة، إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين، و لا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية، إلا من شذ منهم، وتعلق بظاهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب»[4].

ويقول المجلسي في بحار الأنوار : «اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة – عليهم السلام – من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً، ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه»[5].

ويقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية : «ونعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ومن سن الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان»[6].

(1) المرجع السابق (134/100).
(2) الناحية المقدسة رمز عندهم على مهديهم المنتظر.
(3) الاحتجاج (312/2)، بحار الأنوار (128/100).
(4) أوائل المقالات (ص : 65).
(5) بحار الأنوار (209/25).
(6) عقائد الإمامية (ص: 91).

وقال أيضاً : «إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة – صلوات الله عليهم – من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأ ونسياناً... من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل»[1].

ويقول الخميني تحت عنوان: منصب العلماء محفوظ دائماً : «نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة (ع) للفقهاء لا يزال محفوظا لهم ؛ لأن الأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة...»[2].

موقف أهل السنة من آل البيت رضي الله عنهم :

موقف أهل السنة والجماعة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عموماً ومن أئمة الشيعة الإمامية الإثني عشرية خصوصاً موقف وسط بين الإفراط والتفريط.

فهم يحبونهم ويتولونهم ويترضون عنهم، ولهم نصيب من الدعاء لهم في تشهدهم، ومع هذا كله لا يعتقدون فيهم الألوهية ولا الربوبية ولا العصمة، ولا يقولون : إن منزلتهم فوق الأنبياء والمرسلين، ولا يصفونهم بما اختص الله به من صفات، ولا بما اختص به أنبياؤه عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

هذا هو موقف أهل السنة تُجاه أهل بيت رسول صلى الله عليه وسلم متبعين في ذلك وصية نبي الله صلى الله عليه وسلم فيهم، وهو ما سار عليه أصحابه الكرام من بعده، والتابعون من بعدهم من أهل العلم والفضل والشرف والتقوى[3].

وهذه بعض النقول التي تبين موقف أهل السنة والجماعة من الآل مأخوذاً من أمهات كتبهم :

أولاً : ما ورد عن أبي بكر وعمر في آل البيت رضي الله عن الجميع :

1- روى البخاري رحمه الله أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : «ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته»[4].

---

(1) بحار الأنوار (25/350، 351).

(2) الحكومة الإسلامية (ص : 71).

(3) يُنظر : العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط (ص : 207) وما بعدها.

(4) صحيح البخاري (3/1361) (3509).

2- وروى البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه : «والذي نفسي بيده ! لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي»[1].

3- وجاء في صحيح البخاري رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قيل له : «أوص يا أمير المؤمنين ! استخلف قال : ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن»[2].

4- وروى البخاري رحمه الله أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه[3] قال : «رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول : بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، وعلي يضحك»[4].

5- وروى الذهبي رحمه الله : «أن عمر لما دون الديوان ألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم»[5].

6- روى البخاري رحمه الله بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال : وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني فقال : ما تقولون في ةإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر : 1-2] حتى ختم السورة، فقال بعضهم : لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي : يا ابن العباس ! أكذلك تقول ؟ قلت : لا، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له (إذا جاء نصر الله) والفتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر : 3] قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم»[6].

(1) المرجع السابق (1360/3) (3508)، وصحيح مسلم (1380/3) (1759).
(2) صحيح البخاري (469/1) (1328).
(3) عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف النوفلي المكي صحابي من مسلمة الفتح، بقي إلى بعد الخمسين. يُنظر : التقريب (4634).
(4) صحيح البخاري (1302/3) (3349).
(5) سير أعلام النبلاء ،(259/3) ويُنظر : البداية والنهاية (36/8).
(6) صحيح البخاري (1327/3) (3428).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وأخرج البغوي في «معجم الصحابة» من طريق زيد بن أسلم[1] عن ابن عمر قال : (كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوماً فمسح رأسك، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)»[2].

وكان يقول إذا أقبل : «جاء فتى الكهول، وذو اللسان السئول، والقلب العقول»[3].

ثانياً : المحبة المتبادلة بين آل البيت والصحابة رضي الله عنهم :

1- روى الحاكم رحمه الله بإسناده إلى جُرَيٍّ بن كُلَيْب العَامِرِي قال : «لما سار علي إلى صفين كرهت القتال، فأتيت المدينة فدخلت على ميمونة بنت الحارث[4] فقالت: ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة. قالت : من أيهم ؟ قلت : من بني عامر. قالت : رحباً على رحب وقرباً على قرب تجيء، ما جاء بك ؟ قال : قلت : سار علي إلى صفين وكرهت القتال، فجئنا إلى هاهنا قالت : أكنت بايعته، قال : قلت : نعم، قالت : فارجع إليه فكن معه، فوالله ما ضل ولا ضل به»[5].

2- وروى ابن أبي شيبة رحمه الله[6] بسنده «أن ابن عمر كان جالساً فجاءه نافع بن الأزرق[7]، فقام على رأسه فقال : والله إني لأبغض علياً، قال : فرفع إليه ابن عمر رأسه فقال : أبغضك الله، تبغض رجلاً لسابقة من سوابقه خير من الدنيا وما فيها»[8].

---

(1) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله وأبو أسامة المدني ثقة عالم، مات سنة (36هـ). يُنظر : التقريب (2117).

(2) فتح الباري (170/1).

(3) يُنظر : البداية والنهاية (299/8).

(4) ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قيل وكان اسمها برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة، وتزوجها بسرف سنة سبع وماتت بها ودفنت سنة إحدى وخمسين على الصحيح. يُنظر : التقريب (8688).

(5) يُنظر : مصنف ابن أبي شيبة 371/6، والمستدرك (141/3).

(6) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر، حافظ للحديث. له فيه كتب، منها : المسند، والمصنف في الأحاديث والآثار، والإيمان، وكتاب الزكاة. توفي سنة (235هـ). يُنظر : الوافي بالوفيات (237/17)، الأعلام 118/4).

(7) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج، إليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية. يُنظر : لسان الميزان (144/6).

(8) يُنظر : مصنف ابن أبي شيبة (373/6).

3- وروى ابن أبي شيبة رحمه الله بإسناده إلى عطية بن سعد رحمه الله قال : «دخلنا على جابر بن عبد الله[1] وهو شيخ كبير، وقد سقط حاجباه على عينيه، فقلت : أخبرنا عن علي بن أبي طالب، قال : فرفع حاجبيه بيديه ثم قال : ذاك من خير البشر»[2].

4- وروى البخاري رحمه الله بإسناده إلى سعد بن عبيدة رحمه الله[3] قال : «جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر عن محاسن عمله، قال : لعل ذاك يسوؤك قال : نعم، قال : فأرغم الله بأنفك ! ثم سأله عن علي، فذكر عمله قال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال : لعل ذاك يسوءك قال : أجل. قال : فأرغم الله بأنفك ! قال : انطلق فاجهد على جهدك»[4].

5- وقد نهج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين هذا المنهج تُجاه بقية آل البيت، فقد روى الحاكم رحمه الله أن أبا هريرة رضي الله عنه، لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال : (رأيت رسول الله قَبَّلَ بطنك، فاكشف الموضع الذي قَبَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله، قال : وكشف الحسن فقبله)[5].

6- وروى أيضاً أن أبا سعيد المقبري رحمه الله[6] قال : (كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، ولم يعلم به أبو هريرة، فقلنا له : يا أبا هريرة ! هذا الحسن بن علي قد سلم علينا، فلحقه وقال : وعليك السلام يا سيدي ! ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيد)[7].

---

(1) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي، صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. توفي بالمدينة سنة (78هـ). ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة (434/1)، الأعلام (104/2).

(2) يُنظر : مصنف ابن أبي شيبة (373/6).

(3) سعد بن عبيدة السلمي أبو حمزة الكوفي ثقة، مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق. يُنظر : التقريب (2249).

(4) صحيح البخاري (1358/3) (3501).

(5) المستدرك (168/3).

(6) كيسان أبو سعيد المقبري المدني مولى أم شريك، ويقال : هو الذي يقال له صاحب العباء، ثقة ثبت، مات سنة مائة. يُنظر : التقريب (5676).

(7) المستدرك (169/3).

7- وروى الترمذي رحمه الله بإسناده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

8- وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : «لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يُقدِّم عليه أحداً»[2].

9- وجاء عن الشعبي رحمه الله أنه قال : «ركب زيد بن ثابت[3] فأخذ ابن عباس بركابه، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا. فقال زيد : أني يداك، فأخرج يديه فقبلهما، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا»[4].

فهذه نماذج من سيرة الصحابة وآل البيت مع بعضهم البعض محبة ومودة واحتراماً وتقديراً، ومعرفة للفضل وأهله.

ثالثاً : المحبة المتبادلة بين آل البيت والتابعين ومن بعدهم :

لقد اقتفى التابعون نهج الصحابة رضوان الله عليهم تُجاه أهل البيت، وكانت العلاقة بينهم على ما كان عليه سلفهم، وقد تقدم طرف منها، وقد رأينا فيما سبق حب الصحابة لعلي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، واحترامهم وتقديرهم ومعرفة فضلهم ومكانتهم، وسأورد هنا نماذج من أقوال التابعين ومن جاء بعدهم في آل البيت، ولاسيما في الذين تزعم الإثنا عشرية إمامتهم، والذين تقدم ثناؤهم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك لإبطال ما تزعمه الإثنا عشرية من بغض أهل السنة لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(1) سنن أبي داود (355/4) (5217)، سنن النسائي الكبرى (96/5) (8369)، جامع الترمذي (700/5) (3872) وقال : حسن غريب، مستدرك الحاكم (303/4) (7715) وقال : (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).
(2) الطبقات الكبرى (370/2).
(3) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري أبو سعيد وأبو خارجة صحابي مشهور، كاتب الوحي، وقدوة الفرضيين. قال مسروق : كان من الراسخين في العلم مات سنة (45هـ). يُنظر : التقريب (2120).
(4) البداية والنهاية (301/8).

1- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله، وهو الإمام الرابع لدى الإثني عشرية :

ومما يبين تلك العلاقة والمودة ما جاء عن علي بن الحسين رحمه الله أنه أخذ عن المسور بن مخرمة[1]، وأبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم، وعائشة وأم سلمة[2] وصفية[3] أمهات المؤمنين، ومروان بن الحكم[4]، وسعيد بن المسيب، وذكوان مولى عائشة رضي الله عنها وغيرهم.

وروى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن[5]، ويحيى بن سعيد الأنصاري[6]، وأبو الزناد[7] وزيد بن أسلم، وقد اعترفوا له بالفضل وعلو المنزلة.

قال عنه يحيى بن سعيد رحمه الله : «هو أفضل هاشمي رأيته في المدينة»[8].

وقال ابن سعد رحمه الله : «كان ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعا»[9].

وروى أبو نعيم رحمه الله أن رجلاً قال لسعيد بن المسيب رحمه الله : «ما رأيت أحداً أورع من فلان، قال : هل رأيت علي بن الحسين، قال : لا قال : ما رأيت أحداً أورع منه»[10].

---

(1) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري أبو عبد الرحمن له ولأبيه صحبة، مات سنة (64هـ(. يُنظر : التقريب (6672).

(2) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية أم سلمة أم المؤمنين، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث للهجرة، وعاشت بعد ذلك ستين سنة. ماتت سنة (62هـ). يُنظر : التقريب (8694).

(3) صفية بنت حيي بن أخطب أم المؤمنين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خيبر وماتت في خلافة معاوية. يُنظر : التقريب (8621).

(4) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو عبد الملك الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة (64هـ) ومات سنة (65هـ) في رمضان وله ثلاث أو إحدى وستون سنة. يُنظر : التقريب (6567).

(5) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، مات سنة (94هـ) أو (104هـ) وكان مولده سنة بضع وعشرين. يُنظر : التقريب (8142).

(6) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي ثقة ثبت مات سنة (144هـ) أو بعدها. يُنظر : التقريب (7559).

(7) عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن المدني المعروف بأبي الزناد ثقة فقيه مات سنة (130هـ) وقيل بعدها. يُنظر : التقريب (3302).

(8) حلية الأولياء (138/3).

(9) الطبقات الكبرى (222/5).

(10) حلية الأولياء (141/3)، وتهذيب التهذيب (305/7).

وجاء عن الزهري رحمه الله أنه قال : «لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين»[1].

ومما يدل على فضله وتقديره لأهل العلم والفضل أنه كان يتخطى مجالس أكابر الناس، ويجالس زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما يجد لديه من علم، فيقال له : «تدع مجالس قومك وتجالس هذا، فيقول : إنما يجلس الرجل حيث يجد صلاح قلبه»[2].

وروى أبو نعيم رحمه الله أن نافع بن جبير[3] كان يقول لعلي بن الحسين رضي الله عنه : «غفر الله لك ! أنت سيد الناس وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه، يعني : زيد بن أسلم، فقال : إنه ينبغي للعلم أن يتبع حيث ما كان».

وفي رواية : «إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه»[4].

وجاء عن زيد بن أسلم رحمه الله أنه قال : «ما رأيت فيهم مثل علي بن الحسين»[5].

وعن مالك رحمه الله قال : «لم يكن في أهل البيت مثله»[6].

وروى ابن سعد رحمه الله بإسناده إلى جويرية بن أسماء قال : «سَمِعَت فاطمة بنت علي بن أبي طالب ذكرَ عمر بن عبد العزيز، فأكثرت الترحم عليه وقالت : دخلت عليه وهو أمير المدينة يومئذ فأخرج عني كل خصي[7] وحرسي[8]، حتى لم يبق في البيت أحد غيري وغيره، ثم قال : يا ابنة علي ! والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم، ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي»[9].

---

(1) حلية الأولياء (141/3)، وتهذيب التهذيب (305/7).

(2) الطبقات الكبرى (216/5)، ومنهاج السنة (49/4).

(3) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي أبو محمد وأبو عبد الله المدني ثقة فاضل، مات سنة (99هـ). يُنظر : التقريب (7072).

(4) حلية الأولياء (138/3).

(5) سير أعلام النبلاء (389/4).

(6) المرجع السابق (389/4).

(7) قال في مختار الصحاح (196/1) باب الخاء : (خَصَيْتُ الفحل أخصيه وخِصَاءً بالكسر والمد إذا سللت خصييه، والرجل خَصِيٌّ).

(8) قال في لسان العرب (48/6) مادة «حرس» : الحرسي بفتح الراءِ واحد الحُرَّاس والحَرَس، وهم خَدَمُ السلطان المرتبون لحفظه وحِراسَتِه.

(9) الطبقات الكبرى (333/3-334)، والصواعق المحرقة (ص : 355).

وفي هذا دليل على منزلة أهل البيت لدى سلف هذه الأمة وهو تأصيل لمنهج أهل السنة والجماعة تجاه آل البيت رضي الله عن الجميع.

وكان يقول زين العابدين رحمه الله عن سعيد بن جبير رحمه الله : «ذاك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، وأشار بيده إلى أهل العراق»[1].

2- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله، الإمام الخامس عند الإثني عشرية :

وكان من خيار أهل العلم والدين، وقد روى عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري[2] وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، وأخذ عنه عطاء بن أبي رباح، والأعرج[3]، وعمرو بن دينار[4]، وأبو إسحاق السبيعي[5]، والزهري، وآخرون[6].

ولقد شهد له بالفقه والعلم رحمه الله أهل العلم من الأئمة والحفاظ :

فقد عده النسائي رحمه الله[7] وغيره من فقهاء التابعين بالمدينة[8].

وقد اتفق الحفاظ على الاحتجاج به، كما نص على ذلك الذهبي رحمه الله[9].

وقال ابن سعد رحمه الله : «كان كثير العلم والحديث»[10].

---

(1) الطبقات الكبرى (160/5).

(2) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة، استصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير، مات بالمدينة سنة (74هـ). يُنظر : التقريب (2253).

(3) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث ثقة ثبت عالم، مات سنة (117هـ). يُنظر : التقريب (4033).

(4) عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت، مات سنة (126هـ). يُنظر : التقريب (2024).

(5) عمرو بن عبد الله بن عبيد ويقال علي ويقال ابن أبي شعيرة الهمداني أبو إسحاق السبيعي ثقة مكثر عابد مات سنة (129هـ). يُنظر : التقريب (5065).

(6) يُنظر : منهاج السنة (51/4)، وتهذيب التهذيب (350/9).

(7) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي الحافظ صاحب السنن، أحد الكتب الستة، مات سنة (303هـ). يُنظر : التقريب (47).

(8) تذكرة الحفاظ (1/124-125)، وسير أعلام النبلاء (413/4).

(9) تذكرة الحفاظ (1/124-125)، وسير أعلام النبلاء (413/4).

(10) الطبقات الكبرى (324/5).

وقال الصفدي رحمه الله[1] : «هو أحد من جمع العلم، والفقه، والديانة»[2].

3- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمه الله، الإمام السادس عند الإثني عشرية (الملقب بالصادق) :

كانوا يعدونه من خيار أهل العلم والدين، وقد أخذ عن أبيه وعن عطاء بن أبي رباح وعكرمة[3] ونافع مولى ابن عمر وعبد الرحمن بن القاسم[4] وغيرهم.

وروى عنه عدة من التابعين، منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأيوب السختياني[5]، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري[6]، وسفيان بن عيينة[7]، ويحيى بن سعيد القطان، وآخرون[8].

قال عنه الإمام أبو حنيفة رحمه الله : «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد»[9].

وقال أبو حاتم رحمه الله : «ثقة لا يسأل عن مثله»[10].

---

(1) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين : أديب، مؤرخ، كثير التصانيف. ولد في صفد بفلسطين، وإليها نسبته. وتعلم في دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها. له زهاء مئتي مصنف، منها : الوافي بالوفيات، ونكت الهميان، وألحان السواجع. يُنظر : الأعلام (315/2).

(2) الوافي بالوفيات (102/4).

(3) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير، توفي سنة (104هـ). يُنظر : التقريب (4673).

(4) عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي أبو محمد المدني ثقة جليل، قال ابن عيينة : كان أفضل أهل زمانه. مات سنة (126هـ). يُنظر : التقريب (3981).

(5) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني، أبو بكر البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد، مات سنة (131هـ). يُنظر : التقريب (605).

(6) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، مات سنة (161هـ). يُنظر : التقريب (2445).

(7) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات سنة (198هـ) بمكة. يُنظر : التقريب (2451).

(8) يُنظر : حلية الأولياء (198/3، 199) ومنهاج السنة (52/4)، والتهذيب (103/2).

(9) تذكرة الحفاظ (166/1).

(10) كتاب الجرح والتعديل (487/2).

وقال الذهبي رحمه الله : «جعفر بن محمد الصادق سيد العلويين في زمانه، وأحد أئمة الحجاز، لم يلحق بالصحابة»[1].

4- أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد المعروف بالكاظم رحمه الله، الإمام السابع عند الإثني عشرية :

قال فيه أبو حاتم الرازي رحمه الله : «ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «وموسى بن جعفر مشهود له بالعبادة والنسك»[3].

وقال الذهبي رحمه الله : «كان موسى من أجواد الحكماء، ومن العباد الأتقياء»[4].

5- علي بن موسى بن جعفر رحمه الله الملقب بالرضا، ثامن الأئمة عند الإثني عشرية :

أحبه المأمون رحمه الله[5] فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وقد مات في حياة المأمون بطوس سنة (203هـ)[6].

قال عنه الذهبي رحمه الله : «كان من العلم، والدين، والسؤدد بمكان»[7].

---

(1) مختصر العلو (148).

(2) الجرح والتعديل (139/4).

(3) منهاج السنة (57/4).

(4) ميزان الاعتدال (202/4).

(5) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس : سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (198هـ) ترجمت في عهده كتب العلم والفلسفة. كان فصيحاً مفوهاً، واسع العلم، محباً للعفو، توفي سنة (218هـ) في بذندون ودفن في طرسوس. يُنظر : سير أعلام النبلاء (10/272-290)، والأعلام (142/4).

(6) يُنظر : ميزان الاعتدال (158/3)، وتهذيب التهذيب (7/386، 389) والأعلام (26/5).

(7) يُنظر : سير أعلام النبلاء (387/9).

6- أبو جعفر محمد بن علي بن موسى رحمه الله الملقب بالجواد، الإمام التاسع عند الإثني عشرية :

انتقل مع والده إلى بغداد فكفله المأمون بعد وفاة والده الرضا، وزوجه ابنته أم الفضل، وبعد وفاة المأمون وفد على المعتصم[1] فأكرم مورده، حتى توفي سنة (220هـ)[2].

قال عنه شيخ الإسلام رحمه الله : «كان يعد من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد ؛ ولهذا يسمى الجواد»[3].

فمما تقدم من هذه النماذج تنضم سيرة الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أهل العلم والفضل مع آل البيت والتي بنوها على المحبة والمودة والاحترام، ومعرفة كل منهم فضل الآخر ومنزلته.

فضلاً عما حصل بينهم من مصاهرة ورحم وتسمية أولادهم بأسماء بعضهم البعض، تيمناً بذلك.

فقد سمى علي أبناءه بعد الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية بأسماء أصدقائه وأحبائه في الله أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم[4].

وسمى عبد الله بن جعفر ذي الجناحين بن أبي طالب أحد بنيه باسم أبي بكر، وسمى ابنا آخر له باسم معاوية، والحسن رضي الله عنه سمى أحد بنيه أبا بكر والآخر عمر والثالث طلحة[5]، كما سمى الحسين بن علي رضي الله عنهما أحد أبنائه بأبي بكر[6].

---

(1) محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو إسحاق، ولد سنة (180هـ) وأمه ماردة أم ولد، فاتح عمورية من بلاد الروم الشرقية، وباني مدينة سامرا (سنة 222) حين ضاقت بغداد بجنده. وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء، فقيل (المعتصم بالله)، كان لين العريكة رضي الخلق، اتسع ملكه جدا. توفى بسامرا. يُنظر : سير أعلام النبلاء (290/10)، الأعلام (127/7-128).

(2) يُنظر : الأعلام (272/6).

(3) منهاج السنة (68/4).

(4) يُنظر : جمهرة أنساب العرب (38)، ومقاتل الطالبيين (83)، والبداية والنهاية(332/7).

(5) مقاتل الطالبيين (119)، وتاريخ اليعقوبي (228/2).

(6) مقاتل الطالبيين (87).

وقد فعل ذلك زين العابدين علي بن الحسين رحمه الله، حيث كان يكنى بأبي بكر، وكذلك علي بن موسى بن جعفر - الإمام الثامن عند الإثني عشرية - كان يكنى بأبي بكر[1].

أما المصاهرة فكما تقدم من أن الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم كان بينهم وبين آل البيت مصاهرة ورحم، ولقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم من بناته الأربع ثلاثاً من بني أمية، من أبي العاص بن الربيع[2]، ومن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو مع ذلك - أي : عثمان - ابن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي ولدت مع والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد المطلب توأمين، وهي أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس[3] وهي أم عثمان، وأمها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب[4] عمة النبي صلى الله عليه وسلم[5].

وقد زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنته أم كلثوم[6] بعمر بن الخطاب رضي الله عنه[7].

وقد تزوج أبان بن عثمان بن عفان[8] من بني هاشم أيضاً، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطيار، شقيق علي رضي الله عنهم[9].

---

(1) المرجع السابق (562-562).

(2) أبو العاص بن الربيع ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، ابن أخت أم المؤمنين خديجة، أمه هالة بنت خويلد، وكان أبو العاص يدعى جرو البطحاء، أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر. يُنظر : سير أعلام النبلاء(1/330-331).

(3) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس العبشمية والدة عثمان بن عفان، قال ابن سعد : تزوجها عفان بن أبي العاص فولدت له عثمان وآمنة، ثم تزوجها عقبة بن أبي معيط فولدت له الوليد وعمارة وخالدا وأم كلثوم وأم حكيم وهنداً. وأسلمت أروى وهاجرت بعد ابنتها أم كلثوم وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تزل بالمدينة حتى ماتت. يُنظر : الإصابة (7/481-482).

(4) أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، تزوجها في الجاهلية كريز بن ربيعة بن حبيب بن شمس بن عبد مناف بن قصي، فولدت له عامرا وأروى وطلحة وأم طلحة. يُنظر: الطبقات الكبرى (8/45).

(5) الطبقات الكبرى (8/166).

(6) أم كلثوم هي الكبرى أمها فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها عمر فولدت له، والصغرى عمرت وسمع منها عطاء بن السائب وأمها أم ولد. يُنظر : تعجيل المنفعة (1/563).

(7) يُنظر : الطبقات الكبرى (8/463)، وتاريخ الأمم والملوك (2/564)، والمستدرك (3/142)، والتبيين في أنساب القرشيين (134).

(8) أبان بن عثمان بن عفان الأموي أبو سعيد وقيل أبو عبد الله مدني ثقة، مات سنة (105هـ). يُنظر : التقريب (141).

(9) جمهرة أنساب العرب (85).

وتزوج زيد بن عمرو بن عثمان سكينة بنت الحسين رضي الله عنهم[1][2].

وهند بنت أبي سفيان[3] كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم[4]، فولدت ابنه عبد الله[5][6].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، وحسبي منها ما ذكرت ؛ إذ فيه الكفاية لمن يبحث عن الحق ويريده، فهل يعقل مع هذه المودة والمحبة والمصاهرة أن يحدث ما تزعمه الشيعة الإثنا عشرية من بغض سلف هذه الأمة لآل البيت، وبغض آل البيت لهم!

عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل البيت :

قبل أن نختم هذا المبحث نورد بعض المنقولات عن بعض أئمة وعلماء أهل السنة، والتي إنما هي في الحقيقة امتداد لسيرة الصحابة، والتابعين لهم بإحسان تجاه آل البيت إلى يومنا هذا :

يقول الباقلاني رحمه الله : «ويجب أن يعلم أن خير الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفضل الصحابة العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة رضي الله عن الجميع وأرضاهم، ونقر بفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك نعترف بفضل أزواجه رضي الله عنهن، وأنهن أمهات المؤمنين كما وصفهن الله تعالى ورسوله، ونقول في الجميع خيراً.

ونبدع ونضلل ونفسق من طعن فيهم أو في واحد منهم. حتى يستقيم ما بعده ؛ لنصوص الكتاب والسنة في فضلهم ومدحهم والثناء عليهم، فمن ذكر خلاف ذلك كان فاسقاً مخالفاً للكتاب والسنة، ونعوذ بالله من ذلك»[7].

---

(1) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، كانت سيدة نساء عصرها، تزوجها مصعب بن الزبير، وقتل، فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله، فمات عنها، وتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكانت إقامتها ووفاتها بالمدينة سنة (117هـ). يُنظر : الطبقات الكبرى (475/8)، الأعلام (106/3).

(2) جمهرة أنساب العرب (86)، ونسب قريش (120/4).

(3) هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، أخت معاوية، كانت زوج الحارث بن نوفل بن عبد المطلب. يُنظر : الإصابة (153/8).

(4) الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي المكي صحابي نزل البصرة مات في آخر خلافة عثمان. يُنظر : التقريب (1054).

(5) عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي أبو محمد المدني أمير البصرة له رؤية ولأبيه وجده صحبة، قال ابن عبد البر: أجمعوا على ثقته. مات سنة (84هـ). يُنظر : التقريب (3265).

(6) الإصابة (58/3-59).

(7) الإنصاف (112).

وقال الطحاوي رحمه الله[1] : «ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق»[2].

وقال الإسفراييني رحمه الله[3] في بيان منهج أهل السنة : «وقد عصمهم الله أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكراً، أو يطعنوا فيهم طعناً، فلا يقولون في المهاجرين والأنصار وأعلام الدين ولا في أهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان إلا أحسن المقال، ولا في جميع من شهد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة، ولا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل الحسن والحسين والمشاهير من ذرياتهم مثل عبد الله بن الحسن وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى الرضا، ومن جرى منهم على السداد، من غير تبديل ولا تغيير، ولا في الخلفاء الراشدين، ولم يستجيزوا أن يطعنوا في واحد منهم، وكذلك في أعلام التابعين وأتباع التابعين، الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع، وإظهار شيء من المنكرات»[4].

ونقل المناوي رحمه الله في «فيض القدير» عن الإمام القرطبي رحمه الله أنه قال : «وهذه الوصية وهذا التأكيد العظيم، يقتضي وجوب احترام أهله، وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة، التي لا عذر لأحد في التخلف عنها، هذا مع ما علم من خصوصيتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم جزء منه»[5].

ويقول عبد القاهر البغدادي رحمه الله : «وقالوا - أي : أهل السنة والجماعة - بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكفروا من أكفرهن أو أكفر

(1) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيه، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وهو ابن أخت المزني، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً. رحل إلى الشام سنة (268هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (321هـ). من تصانيفه : شرح معاني الآثار، ومشكل الآثار، والاختلاف بين الفقهاء، ومناقب أبي حنيفة. يُنظر : الأعلام (206/1)، معجم المؤلفين (107/2).

(2) شرح العقيدة الطحاوية (493).

(3) طاهر بن محمد الإسفراييني، أبو المظفر : عالم بالأصول. من الشافعية، ومن كتبه : التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. توفي سنة (417هـ). يُنظر : الأعلام (223/3).

(4) التبصير في الدين (196).

(5) فيض القدير (20/3).

بعضهن، وقالوا بموالاة الحسن والحسين، والمشهورين من أسباط رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالحسن بن الحسن، وعبد الله بن الحسن، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر، وجعفر بن محمد المعروف بالصادق، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى الرضا، وكذلك قولهم في سائر أولاد علي من صلبه، كالعباس وعمر ومحمد بن الحنفية، وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين، دون من مال إلى الاعتزال أو الرفض»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان أن منهج أهل السنة المنهج العدل والحق بين الرفض والنصب : «وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين، ويتكلمون بعلم وعدل، ليسوا من أهل الجهل، ولا من أهل الأهواء، ويتبرءون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً، ويتولون السابقين الأولين كلهم، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم، ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين، ولا ما فعله الحجاج ونحوه من الظالمين، ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيه أحد من الصحابة لا عثمان ولا علي ولا غيرهما»[2].

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : »فأئمة أهل البيت أمثال زين العابدين وابنه زيد بن علي وأشباههم رضي الله عنهم، شهد لهم أهل العلم بالصدق والأمانة والديانة»[3].

ويقول الشيخ عبد المحس العباد : «عقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الإفراط والتَفريط، والغلو والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإنهم يتولون كل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وكذلك زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - جميعاً، فيحبون الجميع، ويثنون عليهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعسف، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان وشرف النسب، فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم يحبونه لإيمانِه وتقواه، ولصحبتِهِ إياه، ولقرابتِهِ منه - صلى الله عليه وسلم -.

(1) الفرق بين الفرق (360).
(2) منهاج السنة (71/2).
(3) جواب أهل السنة النبوية (151).

ومن لم يكن منهم صحابياً، فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولقربه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويرون أن شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد جمع له بين الحسنيين، ومن لم يوفق للإيمان، فإن شرف النسب لا يفيده شيئاً، وقد قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : 13]، وقال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث طويل رواه مسلم في صحيحه (2699) عن أبي هريرة رضي الله عنه : (ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)»[1].

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وسيرتهم تجاههم، فهم أعدل الناس فيهم، وهم وسط بين الرفض والنصب، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا إجحاف، وإنما عدل وإنصاف، ودوران مع الدليل حيث دار.

فما أثبته النص أثبتوه، وما نفاه نفوه، لا يتجاوزون في ذلك القرآن والحديث، كما هو ظاهر في مواقفهم، ومنها ما تقدم.

---

(1) فضل أهل البيت وعلو مكانتهم (ص : 13-14).

[الموضع الرابع والخامس]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في (ص : 260) من المجلد الرابع الجزء السادس عند قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 67] :

«... وإذ قد كانت هذه الآية من آخر ما نزل من القرآن، علمنا أن من أهم مقاصدها أن الله أراد قطع تخرص من قد يزعمون أن الرسول قد استبقى شيئًا لم يبلغه، أو أنه قد خص بعض الناس بإبلاغ شيء من الوحي لم يبلغه للناس عامة.

فهي أقطع آية لإبطال قول الرافضة بأن القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر ونسخه عثمان، وأن رسول الله اختص بكثير من القرآن علي بن أبي طالب، وأنه أورثه أبناءه، وأنه يبلغ وقر بعير، وأنه اليوم مختزن عند الإمام المعصوم، الذي يلقبه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوصي.

وكانت هذه الأوهام ألمت بأنفس بعض المتشيعين إلى علي رضي الله عنه في مدة حياته، فدعا ذلك بعض الناس إلى سؤاله عن ذلك.

روى البخاري أن أبا جحيفة[1] سأل عليًا : «هل عندكم شيء ما ليس في القرآن وما ليس عند الناس ؟ فقال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن ؛ إلا فهمًا يعطى رجل في كتاب الله، وما في الصحيفة، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»[2].

وحديث مسروق عن عائشة الذي سنذكره ينبئ بأن هذا الهاجس قد ظهر بين العامة في زمانها.

وقد يخص الرسول بعض الناس ببيان شيء من الأحكام ليس من القرآن المنزل إليه، لحاجة دعت إلى تخصيصه، كما كتب إلى علي ببيان العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر؛ لأنه كان يومئذ قاضيًا باليمن... إلخ».

---

(1) وهب بن عبد الله السوائي، ويقال له وهب الخير صحابي، وصحب علياً ومات سنة (74هـ). يُنظر : التقريب (7479).
(2) صحيح البخاري (6/2531) (6507).

وقال رحمه الله في (ص : 247) من المجلد العاشر - الجزء الحادي والعشرين - في أول مقدمة تفسير سورة (الأحزاب) :

«... وكون القرآن قد تلاشى منه كثير هو أصل من أصول الروافض ؛ ليطعنوا به في الخلفاء الثلاثة، والرافضة يزعمون أن القرآن مستودع عند الإمام المنتظر، فهو الذي يأتي بالقرآن وقر بعير.

وقد استوعب قولهم واستوفى إبطاله أبو بكر بن العربي في كتاب العواصم من القواصم» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

وقد تقدم في الموضع الأول نقل الإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله كلاماً للقاضي عبد الوهاب البغدادي رحمه الله، وهو قوله : «... ولذلك قطعنا بمنع أن يكون شيء من القرآن لم ينقل إلينا، وأبطلنا قول الرافضة : إن القرآن حِمْلُ جَملٍ عند الإمام المعصوم المنتظر»اهـ.

فأقول : تكلم الشيخ رحمه الله تعالى عن مسألتين هما : مسألة تحريف القرآن، ومسألة مهدي الشيعة الإثني عشرية وكون القرآن عنده، فأما ما يتعلق بمسألة التحريف فانظر ما قدمناه تحت كلامه رحمه الله في الموضع الثاني[1].

أما ما يتعلق بمسألة مهدي الشيعة الإثني عشرية وكون القرآن عنده فنقول :

بعد انتهاء وجود أئمة الشيعة الإثني عشرية بوفاة الحسن العسكري رحمه الله - إمامهم الحادي عشر - سنة (260هـ)، حيث إنه : «لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمّه»[2].

ذهبت الشيعة الإثنا عشرية إلى الزّعم بأن للحسن العسكري ولدًا «كان قد أخفى - أي : الحسن - مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له.. فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته»[3].

---

(1) يُنظر : (ص : 170-199) من هذا البحث.

(2) المقالات والفرق (ص : 102)، فرق الشيعة (ص : 96).

(3) بحار الأنوار (334/50).

وتعتقد في هذا الابن أنه لم يمت، بل اختفى عن الناس، وأنه سيعود إلى الظهور في المستقبل.

وقد أصبح الإيمان بغيبة هذا الابن المزعوم هو المحور الذي تدور عليه عقائدهم، والأساس الذي يمسك بنيانهم من الانهيار.

روى ابن بابويه القمي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال: «ليس منا من لم يؤمن بِكَرَّتِنَا - أي: الرجعة - ويستحل متعتنا»[1].

وإن المتأمل في هذا المعتقد عند الإثني عشرية يجد أنه مرتبط بشخصية خيالية لا وجود لها في الحقيقة، فإن هذه الشخصية لم يرها الناس، ولم يعرفوها، ولا يعلمون مكانها، غابت بعد ولادتها، ولم يظهر حملها، وأحيطت ولادتها بسياج من السرية والكتمان، بل إن عائلتها، ووكيلها وأقرب الناس إليها لم يعلموا بأمر هذا الحمل وذلك المولود، وكانوا له منكرين، بل لم يظهر للشيعة الإثني عشرية التي تدعيه إلا من خلال نواب يدعون الصلة به.

حتى إنه ورد في رواياتهم: «إن للقائم غيبة ويجحده أهله»[2].

وفي رواية أخرى قالوا: «يبعث الله لهذا الأمر غلامًا منا، خفي الولادة والمنشأ»[3].

وادعوا أن سبب غيبته هو الخوف من القتل، فقد جاء في الكافي عن جعفر الصادق أنه قال: «إن للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف[4] - وأومأ بيده إلى بطنه - يعني: القتل»[5].

وأكد ذلك شيخ طائفتهم الطوسي بقوله: «لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل؛ لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار وكان يتحمل المشاق

---

(1) من لا يحضره الفقيه (458/3).

(2) الغيبة للنعماني (ص: 182).

(3) الكافي (1/341-342)، الغيبة للنعماني (ص: 112).

(4) من المفارقات أن الشيعة الإثني عشرية عابوا على أبي بكر رضي الله عنه في الغار مع النبي صلى الله عليه وسلم أنه خاف! وهذا إمامهم المعصوم يخاف!

(5) الكافي (1/338)، الغيبة للنعماني (ص: 118).

والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى»[1].

وقد ورثت الشيعة الإمامية الإثنا عشرية هذه العقيدة من جذورها السبئية ؛ فإنهم أول فرقة قالت بغيبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث زعمت : «أن علياً لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»[2].

ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي رضي الله عنه بـالمدائن قال للذي نعاه : «كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض»[3].

وقد جدد هذا الدعوى رجل من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، هو عثمان بن سعيد العمري[4]، فزعم - في دعواه - أن للحسن ولدًا قد اختفى وعمره أربع سنوات[5]، وزعم أنه لا يلتقي به أحد سواه، فهو السفير بينه وبين الشيعة، يستلم أموالهم ويتلقى أسئلتهم ومشكلاتهم ليوصلها للإمام الغائب.

ثم ورثه في هذا المنصب ابنه محمد بن عثمان[6]، ثم حسين بن روح[7]، ثم علي بن محمد السمري[8].

---

(1) الغيبة للطوسي (ص : 199).

(2) المقالات والفرق (ص : 19)، فرق الشيعة (ص : 22)، مقالات الإسلاميين (86/1).

(3) فرق الشيعة (ص : 23)، المقالات والفرق (ص : 21).

(4) أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، قال عنه الشيعة : ثقة جليل القدر، هو أول السفراء للإمام الغائب، وعاش زمناً مع الإمام الحسن العسكري والد الإمام الغائب، توفي سنة (265هـ). يُنظر : جامع الرواة (533/1).

(5) يُنظر : الغيبة للطوسي (ص : 258).

(6) محمد بن عثمان ابن السفير الأول، ويعتقد الشيعة الإمامية أن السفارة جاءته بتوقيع من الإمام الغائب بعد أن عزاه في والده، فجعل السفارة له بعد أبيه، وهو أكثر السفراء زمناً، حيث تولى السفارة من حين وفاة والده سنة (265هـ) حتى توفي عام (305هـ). يُنظر : جامع الرواة (1482).

(7) أبو القاسم الحسين بن روح الله النوبختي، تولى السفارة على اعتقاد الشيعة الرافضة (15) عاماً بعد وفاة السفير الثاني محمد بن عثمان إلى أن توفي عام (320هـ). يُنظر : جامع الرواة (2465).

(8) علي بن محمد السمري، آخر السفراء، كانت له مكانة عند الشيعة الإمامية، ويعتقد الشيعة الإمامية أنه جاءه توقيع من صاحب الزمان أن لا يوصي لأحد بعده إذا مات، حيث وقعت الغيبة الكبرى، وكان ذلك عام (329هـ). يُنظر : جامع الرواة (1598).

وقد تعاقب هؤلاء الأربعة الواحد بعد الآخر على هذا الادعاء، وربطوا أتباعهم بهذا الإمام الغائب، حتى كان آخرهم ولم يجد من يصلح لأداء هذا الدور أمام الناس، وأن الأمر سينكشف وتسقط مهابتهم من قلوب الناس، فادعى - أي : الباب الرابع وهو علي بن محمد السمري - أن الإمام الخفي الذي يقابله في مكان ما ويأخذ تعليماته رأى ألا يقابل أحداً بعده، وأنه سيغيب ويختفي عن الجميع، وادعى قبيل وفاته أن رقعة وصلته من الإمام الغائب، مكتوب فيها : «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري! أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، الا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

وكان ذلك سنة (329هـ)، وهذه الغيبة هي ما سميت بالغيبة الكبرى، كما أن الأولى التي كانت باختفاء الغلام الذي يزعمونه محمد بن الحسن العسكري سنة (260هـ) هي الغيبة الصغرى.

قال أبو علي الطبرسي في كتابه أعلام الورى :

«قد حصلت الغيبتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمنته الأخبار السابقة لوجوده عن آبائه وجدوده (عليهم السلام)، أما غيبته الصغرى منهما فهي التي كانت فيها سفراؤه موجودين وأبوابه معروفين، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي (عليهما السلام) فيهم... وكانت هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة.

وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري باباً لأبيه وجده عليهما السلام - ثم سرد تسلسل هذه الأبواب إلى أن قال - : وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري بنص أبي القاسم عليه، وتوفي في النصف من شعبان، سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

فروي عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال : كنت بمدينة السلام[2] في السنة التي توفي فيها علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج

---

(1) الغيبة للطوسي (ص : 395)، والاحتجاج (297/2).

(2) بغداد.

إلى الناس توقيعاً من نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد.... - ثم ساق نص الرقعة التي تقدم ذكرها آنفاً -... ثم حصلت الغيبة الطولى التي نحن في أزمانها، والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى»[1].

عقيدة الشيعة الإثني عشرية في المهدي المنتظر :

وللشيعة الإثني عشرية في مهديهم المنتظر عقائد تخالف عقائد المسلمين في مهديهم، الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن تلك العقائد التي يعتقدها الشيعة الإثنا عشرية في مهديهم ما يلي :

أ - يعتقدون أنه سيحكم بشريعة داود وآله وبتوراة موسى :

فقد ورد في الكافي للكليني عن أبي عبيد الحذّاء[2] أنه قال : «كنا زمان أبي جعفر - عليه السلام - حين قبض نتردد كالغنم لا راعي لها، فلقينا سالم بن أبي حفصة، فقال لي : يا أبا عبيدة ! من إمامك ؟ فقلت : أئمتي آل محمد، فقال: هلكت وأهلكت، أما سمعتُ أنا وأنت أبا جعفر - عليه السلام - يقول: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ؟ فقلت : بلى لعمري! ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها، فدخلت على أبي عبد الله - عليه السلام - فقلت لأبي عبد الله - عليه السلام - : إن سالمًا قال لي كذا وكذا، قال : يا أبا عبيدة ! إنَّه لا يموت هنا ميت حتى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله، ويسير بسيرته ويدعو إلى ما دعا إليه، يا أبا عبيدة ! إنَّه لم يمنع ما أعطي داود أن أعطي سليمان.

ثم قال : يا أبا عبيدة ! إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود وسليمان ولا يُسأل بينة».

وعن أبان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني يحكم بحكومة آل داود، ولا يُسأل بيّنة، يعطي كل نفس حقها».

---

(1) أعلام الورى (ص : 416-417)، ويُنظر : كشف الغمة (2/530).

(2) قال عنه النجاشي : «هو زياد بن عيسى، كوفي ثقة، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام،... مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام». رجال النجاشي (ص : 170)، ويُنظر : خلاصة الأقوال (ص : 148).

وعن عمار الساباطي[1] قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بم تحكمون إذا حكمتم ؟ قال : بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا الشيء الذي ليس عندنا تلقانا به روح القُدُس».

وعن جعيد الهمداني[2] عن عليٍّ بن الحسين عليه السلام قال : «سألته بأي حكم تحكمون ؟ قال : بحكم آل داود، فإن أعيانا شيء تلقانا به روح القُدُس».

وعن عمار السَّاباطي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : «ما منزلة الأئمَّة ؟ قال : كمنزلة ذي القرنين، وكمنزلة يوشع، وكمنزلة آصف صاحب سليمان، قلت : فبم تحكمون ؟ قال : بحكم الله وآل داود، وحكم محمَّد صلى الله عليه وسلم، ولتلقَّانا به روح القُدُس»[3].

ب- المهدي المنتظر يتكلم العبرانية :

وجاء في كتاب الغيبة للنعماني : «إذا أذَّن الإمام دعا الله باسمه العبراني (فانتخب) له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر كقزع الخريف، منهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهارًا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه..»[4].

ج - اليهود من أتباع المهدي الشيعي المنتظر :

روى الشَّيخ المفيد في الإرشاد عن أبي عبد الله قال : «يخرج مع القائم - عليه السلام - من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً من قوم موسى، وسبعة من أهل

---

(1) قال النجاشي : (عمار بن موسى الساباطي أبو الفضل، مولى، و أخواه قيس وصباح، رووا عن أبي عبد الله (ع)، وأبي الحسن (ع)، وكانوا ثقات في الرواية) كان فطحياً. ينظر : معجم رجال الحديث (278/13).

(2) قال الخوئي : (من أصحاب علي عليه السلام، من اليمن... وذكر البرقي عند عده أصحاب الحسن والسجاد عليهما السلام أنه كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. روى عن علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه عمران بن أعين). معجم رجال الحديث للخوئي (111/5).

(3) الكافي (1/397-398).

(4) الغيبة (ص : 169).

الكهف، ويوشع بن نون، وسليمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر[1]، فيكونون بين يديه أنصارًا»[2].

د - مهدي الإثني عشرية عنده أضعاف ما عند الأنبياء من العلم كما يزعمون :

يزعم الشيعة الإثنا عشرية أن ما عند القائم أضعاف ما عند الأنبياء من العلم، حتى جاء في بحار الأنوار وغيره عن أبان عن أبي عبد الله رحمه الله أنه قال : «العلم سبعة وعشرون حرفًا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفًا فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفًا»[3].

هـ- مهدي الإثني عشرية يعيد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لعذابهما وإحراقهما :

يزعم الشيعة الإثنا عشرية أن أول ما يبدأ به مهديهم من الأعمال هو إخراج خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيعذبان ثم يحرقان على يد مهديهم وحاشاهما رضي الله عنهما، فقد روى المجلسي عن بشير النبال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «هل تدري أول ما يبدأ به القائم عليه السلام ؟ قلت : لا. قال : يخرج هذين الرطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الرياح، ويكسر المسجد !!»[4].

وفي رواية أخرى يرويها المفضل عن جعفر الصادق رحمه الله وفيها : قال المفضل : «يا سيدي ! ثم يسير المهدي إلى أين ؟ قال : إلى مدينة جدي رسول الله... فيقول : يا معشر الخلائق ! هذا قبر جدي رسول الله ؟ فيقولون : نعم يا مهدي آل محمد ! فيقول : ومن معه في القبر ؟ فيقولون : صاحباه وضجيعاه أبو بكر وعمر، فيقول : أخرجوهما من

---

(1) مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع النخعي الكوفي المعروف بالأشتر، أدرك الجاهلية، وسكن الكوفة. وكان له نسل فيها، شهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه على مصر فقصدها، فمات في الطريق سنة (37هـ). ينظر : تهذيب الكمال (126/27)، الأعلام (259/5).

(2) الإرشاد (ص : 402).

(3) بحار الأنوار (336/52).

(4) المرجع السابق (386/52).

قبريهما، فيخرجان غضين طريين لم يتغير خلقهما ولم يشحب لونهما، فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها !»[1].

يقول نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية - بعد ما ذكر رأيه في حكم لعن الشيخين رضي الله عنهما وأنه من ضرورات المذهب عندهم - : «.. وفي الأخبار ما هو أغرب من هذا، وهو أن مولانا صاحب الزمان عليه السلام (المهدي) إذا ظهر وأتى المدينة أخرجهما من قبريهما، فيعذبهما على كل ما وقع في العالم من ظلم متقدم على زمانيهما، كقتل قابيل وهابيل، وطرح إخوة يوسف له في الجب، ورمي إبراهيم في نار نمرود، وإخراج موسى خائفًا يترقب، وعقر ناقة صالح، وعبادة من عبد النيران، فيكون لهما الحظ الأوفر من أنواع ذلك العذاب»[2].

و- مهدي الإثني عشرية ينسخ الشريعة المحمدية :

يعتقد الشيعة الإثنا عشرية أن مهديهم سيأتي بنسخ الشريعة المحمدية، ويأتي بقضاء جديد وكتاب جديد غير القرآن، وأنه سيحكم لكل أهل ملة بكتابهم، فيحكم لليهودية بالتوراة، وللنصارى بالإنجيل، ولأهل الزبور بالزبور، ولأهل القرآن بالقرآن، وإليك ما يثبت ذلك من كتبهم ورواياتهم وأقوال علمائهم:

فقد جاء في أخبارهم : «إذا قام القائم قسم بالسوية، وعدل في الرعية، واستخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى من غار بأنطاكية، حتى يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن»[3].

وقد أورد النعماني رواية عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر رضي الله عنه : «يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد[4]، لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد»[5].

(1) الرجعة للأحسائي (ص : 186).
(2) الأنوار النعمانية (141/1).
(3) الغيبة للنعماني (ص : 157)، ويُنظر : بحار الأنوار (351/52).
(4) الغيبة للنعماني (ص : 154)، بحار الأنوار (354/52).
(5) الغيبة للنعماني (ص : 176)، بحار الأنوار (135/52).

ويشير ابن بابويه في كتابه الاعتقادات إلى أن المهدي إذا رجع من غيبته ينسخ شريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام الميراث، ويذكر عن الصادق أنه يقول : «إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة»[1].

بل إن الحكم والقضاء في دولة المنتظر يقام على غير شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع أن هذه الشريعة ناسخة لكل الشرائع قبلها، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ [المائدة : 48].

فقد جاء في الكافي، قال أبو عبد الله : «إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان، ولا يسأل بينة»[2]، وفي لفظ آخر : «إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام، ولا يحتاج إلى بينة»[3].

وتقدم رواياتهم بعض أحكامه وأقضيته فتقول : «إنه يحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله ؛ يقتل الشيخ الزاني، ويقتل مانع الزكاة، ويورث الأخ أخاه في الأظلة[4]، وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين.. إلخ»[5].

ز – بعض أعمال مهدي الإثني عشرية :

تنص أخبارهم : «أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وإقامته على أساسه»[3].

ولم يكتف منتظرهم بهذا ؛ بل إنه يقوم بقتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده، ولذلك فإن أخبارهم تعد العرب بملحمة على يد غائبهم – إذا رجع – لا تبقي ولا تذر على رجل أو امرأة، ولا صغير ولا كبير، بل تأخذهم جميعًا فلا تغادر منهم أحدًا.

---

(1) الاعتقادات (ص : 83).
(2) الكافي (397/1).
(3) الإرشاد (ص : 413)، أعلام الورى (ص : 433).
(4) الخصال (ص : 169)، بحار الأنوار (359/52).
(5) أعلام الورى (ص : 431)، بحار الأنوار (152/52).
(6) الغيبة للطوسي (ص : 282)، بحار الأنوار (338/52).

فيروي النعماني : ... عن الحارث بن المغيرة وذريح المحاربي قالا : قال أبو عبد الله عليه السلام : «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»[1].

وتقول رواياتهم بأن القائم «يبهرج[2] سبعين قبيلة من قبائل العرب»[3].

وفي الإرشاد للمفيد : عن عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إذا قام القائم من آل محمد - عليه السلام - أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات. قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ قال : نعم منهم ومن مواليهم»[4].

ويروون عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا»[5].

وهذا القتل ليس خاصاً بأهل السنة فقط، بل هو عام لكل من لم يكن إمامياً، ولذا فقد أوردوا رواية عن مهديهم أنه يقتل الزيدية غير الغلاة فقالوا : «إذا قام القائم - عليه السلام - سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس، يدعون البترية عليهم السلاح، فيقولون له : ارجع من حيث جئت، فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم»[6].

بل إنه يقتل من لا ذنب له. تقول رواياتهم : «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها»[7]. وهكذا فإن قائمهم «ليس شأنه إلا القتل لا يستبقي أحدًا[8] ولا يستتيب أحدًا»[9]، وفي لفظ : «ولا يستنيب أحدًا»[10] أي : يتولى ذلك بنفسه.

(1) الغيبة للنعماني (ص : 282)، بحار الأنوار (349/52).
(2) بهرج الدماء : أهدرها وأبطلها. يُنظر : [بحار الأنوار 334/52) هامش].
(3) بحار الأنوار (334/52).
(4) الإرشاد (ص : 411)، بحار الأنوار (338/52).
(5) بحار الأنوار (376/52).
(6) الإرشاد (ص : 411-412)، بحار الأنوار (338/52).
(7) علل الشرائع (ص : 229)، بحار الأنوار (313/52).
(8) بحار الأنوار (231/52).
(9) المرجع السابق (349/52).
(10) المرجع السابق (349/52).

وتصور بعض رواياتهم مبلغ ما يصل إليه من سفك دماء الناس (من غير طائفته) حتى تقول : «لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس.. حتى يقول كثير من الناس : ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم»[1].

وذكروا في كتبهم أن الباقر رحمه الله سئل : أيسير القائم بسيرة محمد ؟ فقال : «هيهات ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار في أمته باللين وكان يتألف الناس، والقائم أمر أن يسير بالقتل وألا يستتيب أحدًا، فويل لمن ناوأه»[2].

وسئل الصادق رحمه الله : «أيسير القائم بخلاف سيرة علي ؟ فقال : نعم، وذاك أن عليًا سار بالمن والكف لعلمه أن شيعته سيظهر عليهم من بعده، أما القائم فيسير بالسيف والسبي ؛ لأنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده أبدًا»[3].

وقال جعفر الصادق رحمه الله يخاطب بعض الشيعة : «كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة، ثم أخرج المثال الجديد، على العرب شديد.

قال (الراوي) : قلت : جعلت فداك ما هو ؟ قال : الذّبح، قال : قلت بأي شيء يسير فيهم ؟ بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد ؟ قال : لا، إن عليًا سار بما في الجفر الأبيض، وهو الكف، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعده، وأن القائم يسير بما في الجفر الأحمر وهو الذبح، وهو يعلم أنه لا يظهر على شيعته»[4].

وروى المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن عليًا عليه السلام قال : «كان لي أن أقتل المولى وأجهز على الجريح، ولكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي، إن جرحوا لم يقتلوا، والقائم له أن يقتل المولى ويجهز على الجريح...»[5].

---

(1) الغيبة للنعماني (ص : 154)، بحار الأنوار (52/354).
(2) الغيبة للنعماني (ص : 153)، بحار الأنوار (52/353).
(3) الغيبة للنعماني (ص : 153)، بحار الأنوار (52/353).
(4) بحار الأنوار (52/318).
(5) المرجع السابق (52/353).

هذه هي سيرة مهديهم المنتظر، الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ليس له عين ولا أثر، ولا يعرف له حس ولا خبر، ولم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد»[1].

ولنا هنا وقفة تأمل مع هذه الروايات الدموية والحقد الدفين للعرب عامة، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجاته خاصة رضي الله عنهم أجمعين، فلم كل هذا تجاه من حمل الدين وأداه للمسلمين.. ووالله إنه ليعجب القارئ من هذه العقيدة التي لا يكاد يجدها أحدٌ إلا في بروتوكولات حكماء صهيون.. ولكن الآن نقول : إن هذه العقائد موجودة وللأسف في كتب طائفة تنتسب للإسلام وهي (الشيعة الإثنا عشرية)!!

(1) منهاج السنة (213/4).

[الموضع السادس]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله (ص : 311) من المجلد الرابع - الجزء السابع - عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام : 74] :

«... قال الفخر[1] : وقالت الشيعة : لا يكون أحد من آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجداده كافرًا. وأنكروا أن آزر أب لإبراهيم، وإنما كان عمه، وأما أصحابنا فلم يلتزموا ذلك.

قلت : هو كما قال الفخر من عدم التزام هذا، وقد بينت في رسالة لي في طهارة نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الكفر لا ينافي خلوص النسب النبوي خلوصًا جبليًا ؛ لأن الخلوص المبحوث عنه هو الخلوص مما يتعير به في العادة» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : من غلو الشيعة الإثني عشرية الكبير في الأئمة ادعاء إيمان أبي طالب والد الإمام علي رضي الله عنه، فقد روى المجلسي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : (قلت : يا رسول الله ! إن الناس يقولون : إن أبا طالب مات كافرًا، قال : يا جابر ! ربك أعلم بالغيب، إنه لما كانت الليلة التي أسري بي إلى السماء انتهيت إلى العرش، فرأيت أربعة أنوار فقيل لي : هذا عبد المطلب، وهذا عمك أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا ابن عمك جعفر بن أبي طالب، فقلت : إلهي لم نالوا هذه الدرجة ؟ قال : بكتمانهم الإيمان، وإظهارهم الكفر حتى ماتوا على ذلك !)[2].

وقد ألف علماؤهم حول إيمان أبي طالب المؤلفات، عدها بعضهم في تحقيقه لكتاب إيمان أبي طالب للمفيد، وأوصلها إلى بضع وثلاثين مؤلفاً، ومن رواياتهم في هذا المعتقد ما يلي :

(1) الفخر الرازي. تقدمت ترجمته في (ص : 63) من هذا البحث.

(2) بحار الأنوار (35/15-16).

عن العباس بن عبد المطلب[1] رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (ما ترجو لأبي طالب ؟ فقال : كل خير أرجو من ربي عز وجل).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار ؟ فقال : مه، فض الله فاك ! والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار ؟ والذي بعث محمداً بالحق إن نور أبي طالب ليطفئ أنوار الخلائق إلا خمسة أنوار، نور محمد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام»[2].

وعن أبان بن محمد[3] قال : «كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى (ع) جعلت فداك إني شككت في إيمان أبي طالب ؟ قال : فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [النساء : 115] إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»[4].

وروى ابن بابويه القمي أن عبد العظيم بن عبد الله العلوي الحسني[5] المدفون بالري، كان مريضاً يكتب إلى أبي الحسن الرضا (ع) : عرفني يا ابن رسول الله ! عن

---

(1) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين. كانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين فكان ممن ثبت حين انهزم الناس. وشهد فتح مكة. وعمي في آخر عمره، توفي بالمدينة سنة (32هـ). ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة (631/3)، الأعلام (262/3).

(2) بحار الأنوار (69/35).

(3) أبان بن محمد البجلي، وهو المعروف بسندي بن محمد واسمه أبان، يكنى أبا بشر صليب، من جهينة، ويقال من بجيلة، وهو الأشهر، له كتاب نوادر، قال عنه النجاشي: «أبان بن محمد البجلي، وهو المعروف بسندي البزاز، كان ثقة وجهاً في أصحابنا الكوفيين». يُنظر : خلاصة الأقوال (ص : 161)، رجال النجاشي (ص 187).

(4) بحار الأنوار 110/35).

(5) قال الخوئي في ترجمته : «قال النجاشي : ()عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو القاسم) عده البرقي في رجاله في أصحاب الهادي والعسكري عليهما السلام». معجم رجال الحديث (11/50-51).

الخبر المروي أن أبا طالب في ضحضاح[1] من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا (ع) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإنك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار»[2].

وعن محمد بن يونس عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «يا يونس ! ما تقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه، فقال : كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً»[3].

وعن عبد الرحمن بن كثير[4] قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : «إن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال : كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وسلم قلت : وبم نزل ؟ قال : أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمد ! إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك ؛ فأتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، فأتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال : كيف يصفونه بهذا الملاعين وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد! اخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب ؟»[5].

وعن أبي بصير ليث المرادي قال : قلت لأبي جعفر (ع) : «سيدي ! إن الناس يقولون : إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه ؟ فقال (ع) كذبوا، والله أن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم.

(1) قال في النهاية في غريب الحديث والأثر (164/3) باب الضاد مع الحاء : الضحضاح في الأصل : ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلُغ الكَعْبين فاستَعارَه للنار.
(2) بحار الأنوار 110/35).
(3) الغدير (7/392-393).
(4) قال الخوئي في ترجمته : «قال النجاشي : (عبد الرحمن بن كثير الهاشمي مولى عباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كان ضعيفاً غمز أصحابنا عليه). وعده البرقي في أصحاب الصادق عليه السلام». معجم رجال الحديث (373/10).
(5) أبو طالب حامي الرسول (ص : 141).

ثم قال : كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحج عن أبي النبي وأمه، وعن أبي طالب حياته، ولقد أوصى في وصيته بالحج عنهم بعد مماته»[1].

وعن داود الرقي قال : «دخلت على أبي عبد الله (ع) ولي على رجل دين وقد خفت تواه، فشكوت ذلك إليه فقال (ع) : إذا مررت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصل عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصل عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصل عنها ركعتين، ثم ادع الله عز وجل أن يرد عليك مالك، قال : ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا فإذا غريمي واقف يقول : يا داود ! جئني هناك فاقبض حقك»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «أخبرني العباس بن عبد المطلب أن أبا طالب شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[3].

وعن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه الرضا»[4].

وعن حماد عن أبي عبد الله رحمه الله قال : «إنا لنرى أن أبا طالب أسلم بكلام الجمل، قوله (ع) : لنرى، معناه : لنعتقد ؛ لأنه يقال : فلان يرى رأي فلان، أي : يعتقد اعتقاده، وقوله (ع) : بكلام الجمل، يعني : الجمل الذي خاطب النبي صلى الله عليه وسلم، وقصته مشهورة»[5].

ويقول أبو علي الموضح : «تواترت الأخبار بهذه الرواية وبغيرها، عن علي بن الحسين (ع) أنه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال (ع) : نعم، فقيل له : إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال (ع) : واعجبا كل العجب، أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهاه الله تعالى أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية

---

(1) بحار الأنوار (112/35).
(2) المرجع السابق (113-112/35).
(3) المرجع السابق 113/35).
(4) الغدير (ص : 369).
(5) بحار الأنوار (113/35).

من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها من المؤمنات السابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه»[1].

ويقول الفخار : «وقد كنت سمعت جماعة من أصحابنا العلماء مذاكرة يروون عن الأئمة الراشدين من آل محمد صلى الله عليه وسلم أنهم سئلوا عن قول النبي - المتفق على روايته المجمع على صحته - : (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)، فقالوا : أراد بكافل اليتيم عمه أبا طالب ؛ لأنه كفله يتيما من أبويه، ولم يزل شفيقاً حدباً عليه»[2].

فَلِمَ اعتقد الشيعة الإثنا عشرية هذه العقيدة ؟

تكلف الشيعة الإثنا عشرية افتراء هذه الأحاديث وتوثيقها ولي عنق الآيات لإثبات إيمان أبي طالب، ليس تنزيهاً للرسول صلى الله عليه وسلم عن أن يكون عمه كافرًا ؛ فإننا نجد أنهم أثبتوا كفر عمه أبي لهب، فلو كان كفر عمه أبي طالب منقصة فالمنقصة واقعة بكفر عمه أبيٍ لهب، لكن المراد منه تنزيه علي رضي الله عنه عن أن يكون أبوه - أبو طالب - مشركًا ؛ إذ الشيعة الإثنا عشرية يرون أن القرابة كافية لدخول الإنسان الجنة، فأنكروا أن يكون آزر أبو إبراهيم في النار وكذلك أبو طالب.

موقف أهل السنة من أبي طالب :

إن موقف أهل السنة من أبي طالب عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم هو اعتقاد ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أحاديث صحيحة صريحة في أنه مات على الكفر بالله رب العالمين، وأنه سيعذب يوم القيامة في ضحضاح من نار لشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وأنه أهون أهل النار عذاباً، مع إثباتهم أنه كان يعرف أن دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من خير أديان البرية، كما يقول ذلك هو عن نفسه، ولكن خوف العار والملامة هو الذي جعله يصر على ما هو عليه من الكفر بالله العظيم، وإليك ما يدل على ذلك من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأشعاره - أي : أبي طالب - وأقوال العلماء فيه :

---

(1) المرجع السابق (115/35).

(2) يُنظر : إيمان أبي طالب (ص : 69).

أخرج البخاري ومسلم رحمهما الله عن المسيب بن حزن رضي الله عنه قال : (لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أي عم ! قل : لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ! أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، وأبو جهل وعبد الله يعاودانه بتلك المقالة، فقال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فنزلت : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ... الآية﴾ [التوبة : 113])[1].

وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا عماه ! قل : لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة. فقال : لولا أن تعيرني قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص : 56])[2].

وروى البخاري رحمه الله من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال : (قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)[3].

وروى مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه فقال : (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه)[4].

وفي رواية : (تغلي منه أم دماغه)[5].

---

(1) صحيح البخاري (1/457) (1294)، صحيح مسلم (1/54) (24).
(2) صحيح مسلم (1/55) (25).
(3) صحيح البخاري (3/1408) (3670).
(4) صحيح مسلم (1/195) (210).
(5) صحيح البخاري (3/1409) (3672).

وروى مسلم رحمه الله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه)[1].

قال الشيخ ابن أبي العز رحمه الله[2] في شرحه للطحاوية ما نصه : «النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع : فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : 48]. قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن اعتقاد الإثني عشرية ما نصه : «ويمدحون أبا طالب الذي مات كافراً باتفاق أهل العلم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة»[4].

فهذا هو موقف أهل السنة من إيمان أبي طالب، لم يميلوا به عما جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

---

(1) صحيح مسلم (1961) (212).

(2) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. امتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقي. من تصانيفه : شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية. يُنظر : الأعلام (313/4).

(3) شرح العقيدة الطحاوية (229/1)، وينظر : التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (608/2).

(4) منهاج السنة النبوية (192/4).

[الموضع السابع]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في (ص : 16) من المجلد الحادي عشر - الجزء الثاني والعشرين - عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب : 33] :

«... وقد تلقف الشيعة حديث الكساء، فغصبوا وصف أهل البيت وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان، وزعموا أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لسن من أهل البيت. وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشوًا بين ما خوطب به أزواج النبي. وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء ؛ إذ ليس في قوله : (هؤلاء أهل بيتي) صيغة قصر، وهو كقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي﴾ [الحجر : 68] ليس معناه ليس لي ضيف غيرهم، وهو يقتضي أن تكون هذه الآية مبتورة عما قبلها وما بعدها.

ويظهر أن هذا التوهم من زمن عصر التابعين وأن منشأه قراءة هذه الآية على الألسن دون اتصال بينها وبين ما قبلها وما بعدها، ويدل لذلك ما رواه المفسرون عن عكرمة أنه قال : من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه قال أيضًا : ليس بالذي تذهبون إليه، إنما هو نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يصرخ بذلك في السوق. وحديث عمر بن أبي سلمة صريح في أن الآية نزلت قبل أن يدعو النبي الدعوة لأهل الكساء، وأنها نزلت في بيت أم سلمة.

وأما ما وقع من قول عمر بن أبي سلمة أن أم سلمة قالت : (وأنا معهم يا رسول الله ؟ فقال : أنت على مكانك وأنت على خير) ؛ فقد وهم فيه الشيعة فظنوا أنه منعها من أن تكون من أهل بيته، وهذه جهالة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد ما سألته من الحاصل ؛ لأن الآية نزلت فيها وفي ضرائرها فليست هي بحاجة إلى إلحاقها بهم، فالدعاء لها بأن يذهب الله عنها الرجس ويطهرها دعاء بتحصيل أمر حصل، وهو مناف لآداب الدعاء كما حرره شهاب الدين القرافي في الفرق بين الدعاء المأذون فيه والدعاء الممنوع منه، فكان جواب النبي صلى الله عليه وسلم تعليمًا لها. وقد وقع في بعض الروايات أنه قال لأم سلمة : (إنك من أزواج النبي). وهذا أوضح في المراد بقوله : (إنك على خير)» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : تضمن كلامه رحمه الله تعالى الرد على الشيعة في إخراجهم أزواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من آل البيت، مستدلاً عليهم بأدلة تدل صراحة على دخول أزواج النبي في مفهوم (آل البيت) وراداً عليهم ما استدلوا به من أدلة على خروجهن من ذلك المفهوم.

وقبل أن نبين موقف الشيعة وأهل السنة من أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم نبين مفهوم أهل البيت عند السنة والشيعة، فنقول :

أولاً : مفهوم أهل البيت عند أهل السنة :

اختلف علماء أهل السنة والجماعة في تحديد آل النبي صلى الله عليه وسلم على أربعة أقوال :

القول الأول : أن آل النبي صلى الله عليه وسلم : هم الذين حرمت عليهم الصدقة.

وقد نص على ذلك الإمام أبو حنيفة رحمه الله[1]، والإمام الشافعي رحمه الله[2]، والإمام أحمد رحمه الله[3]، وبعض المالكية[4].

القول الثاني : أن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد[5]، وبه قال ابن العربي رحمه الله[6]، وعند الإمام أحمد رحمه الله روايتان، والصحيح دخول زوجاته في أهل بيته[7]، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[8].

---

(1) يُنظر : شرح فتح القدير لابن الهمام (274/2)، وعمدة القاري للعيني (339/7).
(2) المجموع للنووي (466/3)، وفتح الباري لابن حجر (160/11).
(3) مجموع الفتاوى لابن تيمية (460/22)، وجلاء الأفهام لابن القيم (109).
(4) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك للباجي (153/2).
(5) التمهيد (303-302/17).
(6) أحكام القرآن (623/3).
(7) الإنصاف للمرداوي (79/2).
(8) الاختيارات (ص : 55)، ومجموع الفتاوى (461/22).

القول الثالث : أن آله صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى يوم القيامة، روى ذلك البيهقي رحمه الله[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وسفيان الثوري رحمه الله[2]، وبه قال بعض الشافعية[3] والحنابلة[4].

القول الرابع : أن آله صلى الله عليه وسلم هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين رحمه الله[5]، والراغب[6] رحمه الله[7] وغيرهم[8].

فهذه أقوال أهل العلم في تحديد آل البيت ومن المراد بهم، والراجح والله أعلم أن آله صلى الله عليه وسلم قرابته الذين حرمت عليهم الصدقة، وزوجاته وذريته رضي الله عنهم أجمعين.

فقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالنخل عند صرامه، فيجيء هذا بتمره وهذا بتمره حتى يصير عنده كوم من تمر، فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما تمرة فجعلها في فيه، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجها من فيه فقال : أعلمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة)[9].

---

(1) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (384-458هـ) من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد من قرى بيهق بنيسابور، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. من كتبه : السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، ومناقب الإمام الشافعي، ومعرفة السنن والآثار. ينظر : الأعلام (116/1).

(2) يُنظر : السنن الكبرى للبيهقي (2/151-152)، وجلاء الأفهام (110).

(3) ينُظر : المجموع للنووي (466/7)، وشرح صحيح مسلم (368/4).

(4) يُنظر : الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد (79/2).

(5) القاضي حسين بن محمد بن أحمد، أبو علي المروروذي الشافعي من كبار أصحاب القفال، كانت وفاته سنة (462هـ). يُنظر : طبقات الشافعية لابن هداية الله (164)، والعبر للذهبي (2/312-313).

(6) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني، المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه : الذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن، وتحقيق البيان، توفي سنة (502هـ). ينظر : الأعلام (255/2)

(7) يُنظر : المفردات (ص : 30).

(8) يُنظر : المجموع للنووي (466/7)، وجلاء الأفهام (110)، وفتح الباري (160/11).

(9) صحيح البخاري (542/2) (1420).

وروى مسلم رحمه الله في صحيحه عن زيد بن أرقم[1] رضي الله عنه أنه قال : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً[2] بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس : إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل، وإني تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، وقال : وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال حصين[3] : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم ؟ قال : هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم)[4].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : (أن فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعني : مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل)[5].

وروى مسلم رحمه الله عن عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي : (أن عبد المطلب بن ربيعة[6] أخبره أن أباه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب[7] والعباس بن عبد المطلب قالا لعبد المطلب بن ربيعة والفضل بن العباس[8] رضي الله عنهما : ائتيا

---

(1) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو عمرو، صحابي، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي، ومات بالكوفة سنة (68هـ). ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة (589/2)، الأعلام (56/3).

(2) خم : بضم أوله واد بين مكة والمدينة عند الجحفة. يُنظر : معجم البلدان (389/2).

(3) حصين بن سبرة كوفي ثقة، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. يُنظر : الجرح والتعديل للرازي (193/30).

(4) صحيح مسلم (1873/4) (2408).

(5) صحيح البخاري (1360/3) (3508)، صحيح مسلم (1380/3) (1759).

(6) عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، صحابي. سكن المدينة، وانتقل إلى الشام في خلافة عمر، فتوفي في دمشق سنة (62هـ). يُنظر : الأعلام (154/5).

(7) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، له صحبة، مات في أول خلافة عمر وقيل في آخرها سنة (23هـ). ينظر : تقريب التهذيب (1904).

(8) الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر ولد العباس استشهد في خلافة عمر. يُنظر : التقريب (5407).

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولا له : استعملنا يا رسول الله على الصدقات - فذكر الحديث - وفيه فقال لنا : إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وأنها لا تحل لمحمد ولآل محمد)[1].

قال الحليمي رحمه الله[2] : «ومعلوم أن صدقات المسلمين موضوعة منهم، غير مخرجة إلى غير أهل دينهم، فبان أنه أراد بالآل قرابته خاصة»[3].

والتصريح بكون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من آل بيته جاء واضحاً في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه حيث قال : (بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش[4] بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت : وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك بارك الله لك. فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة)[5].

وجاء في حديث الإفك كما في صحيح مسلم : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر - حاكياً اتهام عبد الله بن أبي ابن سلول لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا - : يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ؟ فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً - أي : صفوان بن المعطل[6] رضي الله عنه - ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي)[7].

---

(1) صحيح مسلم (754/2) (1072).

(2) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، أبو عبد الله الحليمي، الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف، كان إماماً متقناً، ولد في جرجان سنة (331هـ)، وكانت وفاته في بخارى سنة (403هـ). يُنظر : العبر (205/2) والأعلام (235/2).

(3) المنهاج في شعب الإيمان (137/2).

(4) زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر الأسدية أم المؤمنين، أمها أميمة بنت عبد المطلب، يقال ماتت سنة عشرين في خلافة عمر. يُنظر : التقريب (8594).

(5) صحيح البخاري (1799/4) (4515).

(6) صفوان بن المعطل بن رحيضة السلمي الذكواني كنيته أبو عمرو، وهو الذي رميت عائشة به حتى برأها الله من فوق سبع سماوات وأنزل الله في براءتها آيات، قتل صفوان غازياً سنة (19هـ). يُنظر : مشاهير علماء الأنصار (171).

(7) صحيح مسلم (2129/4) (2770).

وقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم على أزواجه آل محمد كما في حديث أَبي هريرة رضي الله عنه : (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)[1] وحديث عائشة رضي الله عنها : (ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثا)[2].

أما في اللغة فكلام علماء اللغة العربية أشهر من نار على علم في بيان دخول زوجات الرجل في مسمى أهل بيته.

فمن ذلك ما يلي :

قال الخليل رحمه الله[3] في كتابه العين : «أهل الرجل : زوجه، والتأهل : التزويج»[4].

وقال ابن منظور رحمه الله في لسان العرب : «أهل البيت سكانه، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره، أعني : علياً عليه السلام»[5].

وقال الفيروزآبادي رحمه الله في القاموس المحيط : «أهل الأمر ولاته، وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته، كأهلته، وللنبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته، وصهره علي رضي الله عنه أو نساؤه، والرجال الذين هم آله، ولكل نبي أمته»[6].

وقال الزبيدي رحمه الله في تاج العروس : «والأهل للبيت سكانه، ومن ذلك أهل القرى سكانها، والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده، ومن المجاز الأهل للرجل زوجته، ويدخل فيه الأولاد، وبه فسر قوله تعالى : ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص : 29] أي : زوجته وأولاده كأهلته بالتاء، والأهل للنبي صلى الله عليه وسلم : أزواجه وبناته وصهره علي

---

(1) المرجع السابق (730/2) (1055).

(2) مسند أحمد (187/6) (25581)، سنن النسائي (235/7) (4432). وورد في صحيح البخاري (2067/5) (5100) وصحيح مسلم (2281/4) (2970) بلفظ : (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض).

(3) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن (100-170هـ) إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه. يُنظر : وفيات الأعيان (172/1)، والأعلام (314/2).

(4) كتاب العين (89/4).

(5) لسان العرب (28/11) مادة «أهل».

(6) القاموس المحيط (ص : 1245) باب اللام فصل الهمزة.

أو نساؤه، وقيل : أهله الرجال الذين هم آله، ويدخل فيه الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه : 132] وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب : 33] وقوله تعالى : ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود : 73] أ.هـ»[1].

ومما يدل على ذلك أيضاً آيات القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلقد سمى الله في القرآن الكريم أزواج الأنبياء أهل بيته، فقال عز من قائل : ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل : 7] ومعلوم : أن زوجته هي التي كانت معه وليس معهما أحد آخر.

وقال تعالى : ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ﴾ [يوسف : 25] والآية تحكي قول زليخا امرأة العزيز.

وقال تعالى أيضاً : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص : 29].

يقول القمي مفسراً الآية : «فلما حال عليه الحول حمل موسى امرأته وزوده شعيب من عنده، وساق غنمه، فلما أراد الخروج قال له شعيب : اذهب فقد خصك الله بها، فساق غنمه فخرج يريد مصر، فلما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم برد شديد وريح وظلمة وجنهم الليل، فنظر موسى إلى النار قد ظهرت كما قال الله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [القصص : 29]»[2].

ثانياً : مفهوم أهل البيت عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية :

الناظر في كتب الإثني عشرية يجد أنهم يفرقون من حيث التعريف بين الأهل والآل والعترة عند الإطلاق.

فقد ذكر القمي في كتابه معاني الأخبار باب معنى الآل والأهل والعترة والأمة، وأورد تحته ثلاثة أحاديث بسنده، منها ما رواه عن أبي بصير قال : «قلت لأبي عبد الله - عليه السلام - من آل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ذريته، فقلت : من أهل بيته ؟ قال : الأئمة الأوصياء، فقلت : من عترته ؟ قال : أصحاب العباء، فقلت : من

(1) تاج العروس (217/7) باب اللام مادة «أهل».
(2) تفسير القمي (116/2-117).

أمته ؟ قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل، المتمسكون بالثقلين اللذين أمروا بالتمسك بهما : كتاب الله عز وجل وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[1].

فجمهور الإثني عشرية على أن المراد بأهل البيت أصحاب الكساء الخمسة، الذين نزلت فيهم آية التطهير، أي : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : 33] وهم محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم[2].

ومنهم من لم ير فرقاً بين الأهل والآل، وقال : إنهما بمعنى واحد، والمراد بهم : أصحاب الكساء[3].

أما من فرق بين الآل والأهل فقال : إن المراد بالآل ذرية محمد صلى الله عليه وسلم، والأهل : هم الأئمة الاثنا عشر[4].

أما العترة فقال المفيد : إن المراد بها جميع بني هاشم، وحكى الإجماع[5] على ذلك بين الإثني عشرية، وقال : «لو كان المراد بالعترة الذرية دون الإخوة والعمومة وبني العم لخرج أمير المؤمنين من العترة؛ لخروجه من جملة الذرية، وهذا باطل بالاتفاق»[6].

ولكن هذا الإجماع الذي حكاه المفيد لا يستقر ؛ وذلك أنا نجد من يحصر العترة في أصحاب الكساء كما نص على ذلك القمي[7].

وروى المجلسي عن الصادق رحمه الله عن آبائه عن الحسين[8] رضي الله عنه أنه قال : «سئل أمير المؤمنين – عليه السلام – عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه

(1) معاني الأخبار (94).

(2) يُنظر : تفسير فرات الكوفي (123)، والصراط المستقيم (1/184-185)، وبحار الأنوار (35/217).

(3) يُنظر : الصوارم المهرقة (ص : 145)، والشيعة في الميزان (ص : 447)

(4) يُنظر : المقالات والفرق (ص : 141).

(5) يبين علامتهم ابن المطهر الحلي حجية الإجماع عندهم فيقول : (الإجماع إنما هو حجة عندنا لاشتماله على قول المعصوم، فكل جماعة كثرت أو قلت كان قول الإمام في جملة أقوالها، فإجماعها حجة لأجله لا لأجل الإجماع). تهذيب الوصول إلى علم الأصول (ص : 70)

(6) الثقلان للمفيد (10).

(7) يُنظر : معاني الأخبار (94).

(8) هو الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد تقدمت ترجمته في (ص : 61) من هذا البحث.

وسلم : (إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي)، من العترة ؟ فقال : أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم»[1].

وفي ذلك يقول علي البحراني : «إن إطلاق لفظ العترة على غيرهم إنما هو على ضرب من المجاز، فعترة النبي صلى الله عليه وسلم الأقربون منه وشيجة، والأدنون منه نسباً من بني هاشم دون غيرهم من قريش، هذا باعتبار اللغة العربية، أما باعتبار العرف الشرعي فإن العترة هم أمير المؤمنين - عليه السلام - وفاطمة وولداها الحسن والحسين، والأئمة من ذرية الحسين عليهم السلام»[2].

كما نجد أن البعض يحصرها في ولد فاطمة رضي الله عنها خاصة[3].

والبعض يحصرها في الحسن والحسين رضي الله عنهما فقط دون غيرهما، كما نص على ذلك رجب البرسي[4][5].

خلاصة المراد بالآل عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية :

فهذا مفهوم آل البيت عند الإمامية الإثني عشرية، والذي أخلص إليه من هذه التعريفات : أن المراد بهم أصحاب الكساء، ويلحق بهم الأئمة التسعة ؛ وذلك أن من قال : إن المراد بالآل ذرية محمد صلى الله عليه وسلم نجده قد حصرها في فاطمة وبنيها دون غيرهم.

وأما من قال : إن المراد بالأهل الأئمة الاثنا عشر، فكما هو معلوم أنهم من ولد الحسين رضي الله عنه، فهم إذاً تبع له.

فحاصل ما تقدم : أن المراد بالأهل والآل والعترة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية أصحاب الكساء فحسب، ويلحق بهم الأئمة من ولد الحسين رضي الله عنه.

---

(1) بحار الأنوار (147/23).

(2) منار الهدى (571-572).

(3) يُنظر : كشف الغمة (43/1)، وسيرة الأئمة (13).

(4) قال عنه الحر العاملي : «كان فاضلاً، محدثاً شاعراً منشئاً أديباً». وهو من الحفاظ عند الرافضة. ينظر : أمل الآمل (117/12-118)، والكنى والألقاب (148/2)..

(5) يُنظر : مشارق أنوار اليقين (49).

ويؤيد ذلك ما ذكره البحراني جواباً على من قال : إن المراد بأهل البيت والآل وذوي القربى في كل ما جاء في فضلهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، وكان الثلاثة العترة، فالألفاظ الأربعة بمعنى واحد.

فكان جوابه : «قلت : لعمري إن الألفاظ الأربعة بمعنى واحد، ولكن ليس المراد منها إلا علياً وفاطمة وابنيهما، كما قال به أكثر القوم من المتقدمين والمتأخرين»[1].

وقال نعمة الله الجزائري : «وأما آله صلى الله عليه وسلم، فقد اختلف المسلمون في المراد بهم، والذي اجتمعت عليه شيعتهم بسبب النقل المستفيض عن المعصومين أنهم المعصومون عليهم السلام لا غير»[2].

فهؤلاء هم آل البيت في مفهوم الإمامية الإثني عشرية، وقد أجمعوا على عدم دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت[3].

وفي ذلك يقول المجلسي - بعد أن سرد عدة روايات في تقرير ذلك - : «فقد ظهر من تلك الأخبار المتواترة من الجانبين، بطلان القول بأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم داخلة في الآية، وكذا القول بعمومها لجميع الأقارب، ولا عبرة بما قاله زيد بن أرقم من نفسه، مع معارضته بالأخبار المتواترة»[4].

وقد وردت روايات كثيرة في كتب الإمامية الإثني عشرية تخالف هذا المفهوم، منها :

روى ابن بابويه القمي في الأمالي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قال عليٍ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! إنك لتحب عقيلاً، قال : إي والله، إني لأحبه حبين حباً له وحباً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال : إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي)[5].

---

(1) منار الهدى (572).

(2) الأنوار النعمانية (133/1).

(3) يُنظر : تفسير القمي (193/2)، والصوارم المهرقة (146).

(4) بحار الأنوار (333/35).

(5) أمالي الصدوق (ص : 128)، بحار الأنوار (288/22).

فأثبت رسول الله بهذا الحديث أن عقيلاً وابنه من عترته عليه الصلاة والسلام.

وفي بحار الأنوار للمجلسي أن الحسين رضي الله عنه قال - بعد أن جمع ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم فبكى ساعة - : «اللهم إنا عترة نبيك محمد، وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا...»[1].

فلم يحصر الحسين رضي الله عنه العترة في نفسه وفي ولده زين العابدين رحمه الله، بل عمم اللفظ لسائر من كان معه من أهل البيت.

وقد خاطب أحد الشيعة زيد بن علي بن الحسين رحمه الله قائلاً : «يا ابن رسول الله! ألست صاحب هذا الأمر ؟ قال : أنا من العترة»[2].

وروى شيخ الطائفة الطوسي شهادة ولدي مسلم بن عقيل الصغيرين والتي فيها : «فقال له الغلام الصغير : يا شيخ ! أتعرف محمداً ؟ قال : فكيف لا أعرف محمداً وهو نبيي ! قال : أفتعرف جعفر بن أبي طالب ؟ قال : وكيف لا أعرف جعفراً وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء، قال : أفتعرف علي بن أبي طالب ؟ قال : وكيف لا أعرف علياً وهو ابن عم نبيي وأخو نبيي قال له : يا شيخ ! فنحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونحن من ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب بيدك أسارى نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا ومن بارد الشراب فلا تسقنا»[3].

ومنها حديث أكثر صراحة في بيان العترة، فقد روى الأربلي[4] عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول : إني تارك فيكم كتاب الله حبلا ممدودا من السماء، من استمسك به كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة، وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي، قال فقلت لزيد : من أهل بيته ؟ فقال : الذين لا تحل لهم الصدقة، آل علي وآل عباس وآل جعفر وآل عقيل)[5].

---

(1) بحار الأنوار (383/44).

(2) المرجع السابق (202/46).

(3) أمالي الصدوق (ص : 83)، بحار الأنوار (45/100-101).

(4) علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي : من علماء الشيعة الرافضة، من تصانيفه : كشف الغمة بمعرفة الأئمة، وحياة الإمامين زين العابدين ومحمد الباقر. يُنظر : الأعلام (4/318-319).

(5) كشف الغمة (549/1).

وقد أشار الأربلي إلى هذا في موضع آخر من كتابه فقال : «فإن قال قائل : فما حقيقة الآل في اللغة عندك ؟ وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل فقال : (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفونني فيهما، قلنا : فمن أهل بيته ؟ قال: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس)»[1].

ويؤكد ذلك المفيد في كتابه العمدة فيقول : «ومن ذلك ما ذكره الثعلبي[2] أيضاً في تفسير قوله تعالى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...﴾ [الحشر : 7] يعني : من أموال كفار أهل القرى، ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ [الحشر : 7] يعني : قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، قال : وهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه وآل جعفر وآل عقيل رضي الله عنهم، ولم يشرك بهم غيرهم، وهذا وجه صحيح يطرد على الصحة ؛ لأنه موافق لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله، يدل عليه ما هو مذكور عندهم في تفسير قوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾ [الأنفال : 41] ؛ لأن مستحق الخمس عندهم آل علي عليه السلام وآل العباس رضي الله عنه، وآل جعفر وآل عقيل عليه السلام ولا يشرك بهم غيرهم»[3].

وروى الطبرسي في الاحتجاج : (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي توفي فيه إلى الصلاة متوكئاً على الفضل بن عباس وغلام له يقال له ثوبان[4]، وهي الصلاة التي أراد التخلف عنها لثقله، ثم حمل على نفسه وخرج، فلما صلى عاد إلى منزله فقال لغلامه : اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار، وتجلاه الغشي وجاءت الأنصار، فأحدقوا بالباب وقالوا : استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هو مغشي عليه، وعنده نساؤه، فجعلوا يبكون فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم البكاء، فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : الأنصار. فقال : من هاهنا من أهل بيتي ؟ قالوا : علي والعباس، فدعاهما وخرج متوكئاً عليهما)[5].

---

(1) بحار الأنوار (237/25).

(2) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، مفسر، من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ. من كتبه : عرائس المجالس في قصص الأنبياء، والكشف والبيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الثعلبي. توفي سنة (427هـ). ينظر : الأعلام (212/1).

(3) العمدة للمفيد (ص : 6).

(4) ثوبان الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة (54هـ). يُنظر : التقريب (858).

(5) الاحتجاج (70/1)، بحار الأنوار (176/28).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : (كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله في المسجد، إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم ورحب به، فقال : يا رسول الله ! بم فضل علينا أهل البيت علي بن أبي طالب والمعادن واحدة ؟ فقال النبي : إذن أخبرك يا عم !...)[1].

وفي هذا الحديث إقرار من رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه بأنه من أهل البيت، ثم إخبار له بسبب تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليه وعلى سائر رجال أهل البيت.

وعن محمد الباقر رحمه الله قال : (لما أمر العباس بسد الأبواب وأذن لعلي عليه السلام بترك بابه، جاء العباس وغيره من آل محمد صلى الله عليه وآله سلم فقالوا : يا رسول الله ! ما بال علي يدخل ويخرج ؟ فقال رسول الله : ذلك إلى الله فسلموا له حكمه)[2].

والشاهد : قول الباقر : جاء العباس وغيره من آل محمد، وهو واضح جلي في دخول العباس وغيره في مسمى أهل البيت والعترة، وعدم انحصار مسمى آل محمد بأصحاب الكساء أو بالأئمة الإثني عشر.

ثالثاً : موقف الشيعة الإثني عشرية من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن موقف الشيعة الإثني عشرية من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح جلياً بما رووه من روايات تقدح في بعضهن خصوصاً، أو تقدح فيهن كلهن عموماً، بدخولهن في جملة المذمومين، وإليك ما يثبت ذلك من مصادرهم :

أولاً : الطعن فيهن عموماً :

لقد روى الشيعة الإثنا عشرية روايات في كتبهم المعتمدة تحكي ارتداد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إلا نفراً يسيراً أوصله بعضهم إلى ثلاثة، وجعله بعضهم أربعة، وزاد بعضهم على ذلك، وكان أقصى حد وصلت إليه رواياتهم لم يتجاوز السبعة عشر شخصاً، هم الذين بقوا على الإيمان، أما ما عداهم في ذلك الزمان فهم كفار مرتدون على زعم الإثني عشرية، ولم يكن من هؤلاء النفر الذين نجوا أمهات المؤمنين.

---

(1) إرشاد القلوب (403/2)، بحار الأنوار (17/43).

(2) تفسير الإمام العسكري (ص : 20)، بحار الأنوار (25/39).

وقد وصفوا أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بالحشايا[1] في القصة التي اختلقوها، وذلك أن علياً رضي الله عنه بعد انتهائه من موقعة الجمل أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عبد الله بن العباس رضي الله عنه يأمرها بالرحيل، فحصلت مناظرة بينهما – على حد زعمهم – جاء فيها قول ابن عباس لعائشة رضي الله عنهم أجمعين : «ما أنت إلا حشية من تسع حشايا خلفهن بعده. أي : رسول الله صلى الله عليه وسلم»[2].

وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل أمر نسائه بيد علي رضي الله عنه بعده.

فقد روى ابن بابويه القمي عن الحسن العسكري رحمه الله : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل طلاق أزواجه بيد علي بن أبي طالب، وقال له : يا أبا الحسن ! إن هذا الشرف باق لهن ما دمن لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فطلقها في الأزواج، وأسقطها من تشريف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين)[3].

وفي رواية : (فمن عصتك فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها في الدنيا والآخرة)، وفي رواية ثالثة : (لم ترني ولم أرها في عرصات القيامة)[4].

وقال الطبرسي في كتابه الاحتجاج : «وروي عن الباقر (ع) أنه قال : (لما كان يوم الجمل وقد رشق هودجٍ عائشة بالنبل، قال أمير المؤمنين (ع) : والله ما أراني إلا مطلقها، فأنشد الله رجلاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي ! أمر نسائي بيدك من بعدي، لما قام فشهد. فقال : فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب (ع) : يا علي ! أمر نسائي بيدك من بعدي، قال: فبكت عائشة حتى سمعوا بكاءها)»[5].

وفي الاحتجاج أيضاً : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عائشة رضي الله عنها بأن علياً رضي الله عنه سينذرها بما يكون به الفراق بينها وبين رسول الله في الآخرة)[6].

---

(1) الحشية الفراش المحشو. يُنظر : القاموس المحيط (ص : 1644) باب الواو والياء فصل الحاء.

(2) يُنظر : اختيار معرفة الرجال (ص : 57-60)، والشافي للمرتضى (ص : 292).

(3) إكمال الدين (ص : 429-430).

(4) مختصر بصائر الدرجات (ص : 39)، ويُنظر : علم اليقين (660/2).

(5) الاحتجاج (ص : 164).

(6) المرجع السابق (ص : 197-198)، ويُنظر : الصراط المستقيم (195/1-196).

وهم يزعمون أن علياً رضي الله عنه قد أنذرها قبل وقعة الجمل وقال لها : «إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، وإن كففت عني عزتك وإلا طلقتك».

ويزعمون بأنها لم تكف بل حاربته فطلقها[1].

بل ادعى الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كلهن قد طلقن وأخلي سبيلهن بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لما حرم الله الأزواج عليهن لم يجز لهن النكاح، وهذه الدعوى أسندها ابن رستم الطبري[2] وابن بابويه القمي إلى محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر عندهم[3].

ثانياً : الطعن في بعضهن :

أورد الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أقوالاً وروايات تطعن في بعض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بخصوصهن، ومن ذلك ما يلي :

أ - الطعن في عائشة وحفصة رضي الله عنهما وأرضاهما :

روى المجلسي : «أن جعفر الصادق (ع) كان يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء : التيمي والعدوي وعثمان ومعاوية يسميهم، وعائشة وحفصة وهند[4] وأم الحكم[5] أخت معاوية»[6].

---

(1) دلائل الإمامة (ص : 277)، وإكمال الدين (ص : 429-430).

(2) محمد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبري، من علماء الشيعة الإمامية، له تصانيف، منها : المسترشد في الإمامة، نور المعجزات في مناقب الأئمة الاثني عشر. يُنظر : تنقيح المقال (91/2)، لسان الميزان (103/5).

(3) يُنظر : دلائل الإمامة (ص : 277)، وإكمال الدين (ص : 429-430).

(4) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية والدة معاوية بن أبي سفيان أخبارها قبل الإسلام مشهورة، شهدت أحداً وفعلت ما فعلت بحمزة ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها ثم أسلمت هي يوم الفتح. يُنظر : الإصابة (155/8).

(5) أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب، أخت معاوية، وأخت أم حبيبة أم المؤمنين لأبيها، أسلمت يوم الفتح وكانت ممن نزل فيه : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ ففارقها عياض بن غنم وتزوجها عبد الله بن عثمان الثقفي فهي والدة عبد الرحمن ابن أم الحكم اشتهر بالنسبة إليها. يُنظر : الإصابة (192/8).

(6) عين الحياة للمجلسي (ص : 599).

وذكر المجلسي أن من عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية : التبرؤ منهن رضي الله عنهن، فقال : «وعقيدتنا في التبرؤ : أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن النساء الأربع : عائشة وحفصة وهند وأم الحكم، ومن جميع أتباعهم وأشياعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم»[1].

وقد وجه الشيعة الإمامية الإثنا عشرية إلى عائشة وحفصة رضي الله عنهما العديد من المطاعن على وجه الخصوص، أكتفي بذكر بعضها، فمنها :

1- ادعاؤهم عداوتهما وبغضهما لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

زعم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أن حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أرادت أن تخرج مع عائشة لحرب علي لولا منع أخيها عبد الله لها، ولكنها رغم عدم خروجها كانت تتابع أخبار الحرب، وتتمنى موت علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقد ذكر المفيد : «أن عائشة لما بلغها نزول أمير المؤمنين (ع) بذي قار، كتبت إلى حفصة بنت عمر أما بعد: فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قار، والله داق عنقه كدق البيضة على الصفا، إنه بمنزلة الأشتر إن تقدم نحر وإن تأخر عقر.

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعت صبيان بني تيم وعدي، وأعطت جواريها دفوفاً وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن : ما الخبر ما الخبر! علي في السفر كالفرس الأشقر، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر، وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء، فبلغ أم كلثوم بنت علي (ع) فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها، فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت. فقالت أم كلثوم : إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين (ع) فقد تظاهرتما على أخيه رسول الله من قبل فأنزل الله عز وجل ما أنزل، والله من وراء حربكما»[1].

---

(1) حق اليقين (ص : 519).

(2) الجمل للمفيد (ص : 149-140).

2- ادعاء الشيعة الإمامية الإثني عشرية أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما تآمرتا مع أبويهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذاعتا سره وهتكتا ستره، وسقتاه السم، فكان ذلك سبب موته صلى الله عليه وسلم.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم :1-4].

قال علي بن إبراهيم القمي: «كان سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في بعض بيوت نسائه وكانت مارية القبطية[1] تكون معه تخدمه، وكان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها، فتناول رسول الله مارية، فعلمت حفصة بذلك، فغضبت وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله! هذا في يومي وفي داري وعلى فراشي، فاستحيا رسول الله منها فقال: كفى فقد حرمت مارية على نفسي ولا أطؤها بعد هذا أبداً، وأنا أفضي إليك سراً، فإن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقالت: نعم، ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي، ثم من بعده أبوك، فقالت: من أخبرك بهذا؟ قال: الله أخبرني، فأخبرت حفصة عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها، فاسأل أنت حفصة، فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة، فأنكرت ذلك قالت: ما قلت لها من ذلك شيئاً، فقال لها عمر: إن كان هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدم فيه، فقالت: نعم، قد قال رسول الله ذلك.

---

(1) مارية بنت شمعون القبطية، أم إبراهيم: من سراري النبي صلى الله عليه وآله. مصرية الأصل، أهداها المقوقس القبطي صاحب الإسكندرية ومصر سنة (7هـ) إلى النبي صلى الله عليه وسلم هي وأختها سيرين، فولدت له إبراهيم فقال: أعتقها ولدها. وأهدى أختها سيرين إلى حسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن بن حسان. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم تولى الإنفاق عليها أبو بكر، ثم عمر. وماتت سنة (16هـ) في خلافة عمر بالمدينة، ودفنت بالبقيع. يُنظر: الأعلام (255/5).

فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله، فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ [التحريم : 1] إلى قوله تعالى : ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم : 2] يعني : قد أباح الله لك أن تكفر عن يمينك، ﴿وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ [التحريم : 2- 3] يعني : أظهر الله نبيه على ما أخبرت به وما هموا به، ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ [التحريم : 3] أي : أخبرها، وقال : لم أخبرت بما أخبرتك، وقوله : ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم : 3] قال : لم يخبرهم بما علم مما هموا به»[1].

وروى العياشي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قتل ؟ إن الله يقول : ﴿أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُم﴾ [آل عمران : 144] فسم قبل الموت، إنهما سقتاه قبل الموت، فقلنا : إنهما وأبويهما شر من خلق الله»[2].

ووصف المجلسي سند هذه الرواية بأنه معتبر، ثم علق عليها بقوله : «إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق (ع) أن عائشة وحفصة - لعنة الله عليهما وعلى أبويهما - قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه»[3].

3- وزعم الشيعة الإمامية الإثنا عشرية كفر عائشة وحفصة رضي الله عنهما بسبب إفشاء السر، وسمهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم واستدلوا بقوله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم : 4].

وزعموا أن معنى قوله تعالى : (صغت) أي : زاغت، والزيغ هو الكفر، وقد رووا هذا التفسير عن أبي جعفر الباقر وولده جعفر الصادق رحمهما الله[4].

4- وادعى الشيعة الإمامية الإثنا عشرية أن الله ضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما :

(1) يُنظر : تفسير القمي (376/2).
(2) يُنظر : تفسير العياشي (200/1).
(3) حياة القلوب (700/2).
(4) يُنظر : الصراط المستقيم (168/3).

فقوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم : 10] زعموا أنه مثل ضربه الله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

فجاء في كشف الغمة للأربلي أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما ذهبتا تطلبان ميراثهما من عثمان رضي الله عنه، فقالت له عائشة رضي الله عنها : «أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر، فقال : لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل، قالت : فأعطني ميراثي من رسول الله، قال : أليس جئت فشهدت أنت ومالك بن أوس النضري[1] أن رسول الله لا يورث، فأبطلت حق فاطمة (ع) وجئت تطلبينه ! لا أفعله، فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول : إنه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال : إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم : 10] إلى قوله : ﴿وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم : 10]... إلخ»[2].

وقد علق الآملي في كشكوله على هذه القصة بقوله : «يمكن أن يكون أزواج الأنبياء والأوصياء والصالحين حمقات جاهلات خائنات»[3].

وقال المجلسي في كتابه بحار الأنوار معلقاً على تلك الآيات : «لا يخفى على الناقد البصير والفطن الخبير ما في تلك الآيات من التعريض بل التصريح بنفاق عائشة وحفصة وكفرهما»[4].

وقد أشار القمي إلى أن المعني بالآية عائشة وحفصة، وفسر الخيانة بالفاحشة فقال : «والله ما عنى بقوله : (فخانتاهما) إلا الفاحشة»[5].

---

(1) مالك بن أوس بن الحدثان النصري، أبو سعيد المدني له رؤية وروى عن عمر مات سنة (92هـ). يُنظر : التقريب (6426).

(2) كشف الغمة للإربلي (479/1)، ويُنظر : الصراط المستقيم (283/2)، والكشكول للآملي (ص : 133).

(3) يُنظر : الكشكول (ص : 133).

(4) يُنظر : بحار الأنوار (33/22).

(5) يُنظر : تفسير القمي (377/2).

وقال الكاشاني عند تفسير هذه الآية : «مثل الله حال الكفار والمنافقين في أنهم يعاقبون بكفرهم ونفاقهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين من النسبة والمواصلة بحال امرأة نوح وامرأة لوط، وفيه تعريض بعائشة وحفصة في خيانتهما رسول الله صلى الله عليه وآله، بإفشاء سره ونفاقهما إياه وتظاهرهما عليه، كما فعلت امرأتا الرسولين، فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً... إلخ»[1].

5- ادعاء الشيعة الإثني عشرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على عائشة وحفصة رضي الله عنها بقوله : (اللهم سد مسامعهما)[2].

إلى غير ذلك من المطاعن الموجهة إلى عائشة وحفصة معاً رضي الله عنهما.

ب- الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

لقد كان لأم المؤمنين وزوجة النبي الأمين عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق في روايات الشيعة الإمامية الإثني عشرية من الذم والقدح نصيب الأسد، فلقد أوردوا الروايات في تكفيرها ولعنها والتبرؤ منها وقذفها بنسبتها للفاحشة رضي الله عنها وأرضاها، ومن ذلك :

1- ادعاء الشيعة الإثني عشرية كفرها وعدم إيمانها :

أسند العياشي - كذباً وزوراً - إلى جعفر الصادق رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً﴾ [النحل : 92] قال : «التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا : عائشة، هي نكثت إيمانها»[3].

وقال ابن طاووس[4] عن عائشة رضي الله عنها : «كيف يبقى لها إيمان مع مخالفتها، أما نهاها كتابها أن تتبرج ؟ أما تبرجت وخرجت لحرب البصرة وقتل المسلمين وسفك دماء الصحابة والتابعين ؟ أما قاتلت من قد أجمعوا على خلافته ؟»[5].

---

(1) يُنظر : التفسير الصافي (720/2).

(2) يُنظر : كتاب سليم بن قيس (ص : 359)، وبحار الأنوار (498/22).

(3) تفسير العياشي (269/2)، ويُنظر : البرهان للبحراني (383/2)، وبحار الأنوار (454/7).

(4) علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني : من علماء الشيعة الرافضة، من كتبه : الأمان من أخطار الأسفار والأزمان، سعد السعود، زوائد الفوائد، فرج المهموم. توفي سنة (664هـ). الأعلام (26/5).

(5) يُنظر : الطرائف لابن طاووس (ص : 293).

واتهم البياضي عائشة رضي الله عنها بأنها خارجة عن الإسلام؛ لكونها حاربت المجمع على إمامته[1].

وقال الزنجاني : «عائشة لم يثبت لها الإيمان»[2].

2- زعم الشيعة الإثني عشرية أن لعائشة رضي الله عنها بابًا من أبواب النار تدخل منه :

فقد أسند العياشي إلى جعفر الصادق رحمه الله أنه قال في تفسير قوله تعالى حكاية عن النار : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر : 44] : «يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب... والباب السادس لعسكر... إلخ»[3].

وعسكر كناية عن عائشة رضي الله عنها، كما زعم ذلك المجلسي[4]. ووجه الكناية عن اسمها بعسكر، كونها كانت تركب جملاً - في موقعة الجمل - يقال له : عسكر كما ذكر ذلك المجلسي أيضًا.

3- زعموا أن لقبها (حميراء) من الألقاب التي يبغضها الله :

فقد أسند الكليني إلى يعقوب السراج قال : «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يساره طويلاً فجلست حتى فرغ، فقمت إليه، فقال لي : ادن من مولاك فسلم، فدنوت فسلمت عليه فرد علي السلام بلسان فصيح، ثم قال لي : اذهب فغير اسم ابنتك التي سميتها أمس، فإنه اسم يبغضه الله، وكان ولدت لي ابنة سميتها الحميراء، فقال لي أبو عبد الله : انته إلى أمره ترشد، فغيرت اسمها»[5].

---

(1) يُنظر : الصراط المستقيم (187/1).

(2) عقائد الإمامية للزنجاني (89/3).

(3) تفسير العياشي (243/2)، ويُنظر : البرهان للبحراني (345/2)، وبحار الأنوار (378/4،، 220/8).

(4) بحار الأنوار (378/4، 220/8).

(5) يُنظر : الكافي (310/1)، ومستدرك الوسائل (128/15)، والصراط المستقيم (163/2، 164).

4- زعموا أن روايتها فاسدة وغير مقبولة :

فقد أورد التستري[1] إحدى روايات عائشة رضي الله عنها المخرجة في الصحيحين وعلق عليها بقوله : «وأقول : رواية عائشة كخلافة أبيها فاسدة»[2].

5- زعموا أن مهديهم المزعوم يقيم الحد عليها رضي الله عنها في الرجعة :

فقد روى المجلسي وغيره أن محمدا الباقر رحمه الله قال : «أما لو قام القائم لقد ردت إليه الحميراء، حتى يجلدها الحد وينتقم لأمه فاطمة منها، قلت : جعلت فداك ! ولم يجلدها ؟ قال : لفريتها على أم إبراهيم، قلت : فكيف أخره الله عز وجل للقائم ؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى بعث محمداً رحمة ويبعث القائم نقمة»[3].

ويقول المفيد : «خبر افتراء عائشة على مارية القبطية خبر صحيح مسلم عند الشيعة»[4].

6- نسبوا إليها الفاحشة :

زعم الشيعة الإثنا عشرية أن قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم : 10] مثل ضربه الله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما.

وقد فسر بعضهم الخيانة، أي : بارتكاب الفاحشة والعياذ بالله تعالى.

(1) نور الله بن شريف الدين عبد الله ابن ضياء الدين نور الله بن محمد شاه المرعشي التستري (الشوشتري) : من علماء الإمامية. كان ينعت بالقاضي ضياء الدين. من أهل تستر. ولد سنة (956هـ) ورحل إلى الهند، فولاه السلطان أكبر شاه قضاء القضاة، بلاهور، واشترط عليه ألا يخرج في أحكامه عن المذاهب الاربعة، فاستمر إلى أن أظهر غير ذلك، فقتل سنة (1019هـ) في مدينة أكبر أباد. من تصانيفه : إحقاق الحق، ومجالس المؤمنين في مشاهير رجال الشيعة، ومصائب النواصب، وحاشية على تفسير البيضاوي، والحسن والقبح. يُنظر : الأعلام (52/8).

(2) إحقاق الحق (ص : 360).

(3) بحار الأنوار (90/53)، ويُنظر : دلائل الإمامة (ص : 260)، والمحاسن للبرقي (ص : 339-340).

(4) يُنظر : رسالة فيما أشكل من خبر مارية للمفيد (ص : 29).

قال القمي - كما تقدم معنا - في تفسير هذه الآية : «والله ما عنى بقوله : (فخانتاهما) إلا الفاحشة، وليقيمن الحد على فلانة فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلان يحبها، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها فلان : لا يحل لك أن تخرجي من غير محرم، فزوّجت نفسها من فلان»[1].

وذكر رجب البرسي : «أن عائشة قد جمعت أربعين دينارًا من خيانة، وفرقتها على مبغضي علي»[2].

وذكر الطبرسي : «أن عائشة رضي الله عنها زينت يومًا جاريةً كانت، وقالت : لعلنا نصطاد شابًا من شباب قريش، بأن يكون مشغوفًا بها»[3].

رابعاً : موقف أهل السنة من أمهات المؤمنين :

عقيدة أهل السنة والجماعة في أمهات المؤمنين رضي الله عنهن هي الإيمان بما ورد في حقهن من الشرف والتفضيل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بلا إفراط ولا تفريط، ومما ورد في حقهن رضي الله عنهن أجمعين ما يلي :

1- أن الله شرفهن بأن جعلهن أمهات لأهل الإيمان :

قال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : 6].

يقول ابن كثير رحمه الله : «وقوله تعالى : ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي : في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع»[4].

2- أنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، إيثاراً منهن لذلك على الدنيا الفانية وزينتها الزائلة، فأعد الله لهن ثواباً جزيلاً، وأجراً عظيماً لذلك الاختيار.

---

(1) تفسير القمي (2/377)، بحار الأنوار (22/241).

(2) مشارق أنوار اليقين (ص : 86).

(3) الاحتجاج (ص : 82).

(4) تفسير ابن كثير (3/468)، ويُنظر : أحكام القرآن للجصاص (2/355)، ومنهاج السنة (4/369).

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيما ﴾ [الأحزاب : 28-29].

قال ابن كثير رحمه الله: »هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخير نساءه، بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

قال البخاري رحمه الله : حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن (أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله تعالى أن يخبر أزواجه، قالت : فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت : ثم قال : إن الله تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ... ﴾ [الأحزاب : 28] إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة).

وكذا رواه معلقاً عن الليث، حدثني يونس، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة رضي الله عنها فذكره، وزاد : قالت : (ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت)«[1].

3- أن الله أخبر في كتابه العزيز أنهن يؤجرن على الطاعة والعمل الصالح ضعفي أجر غيرهن، فقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : 31].

قال البغوي رحمه الله عند تفسيره للآية : ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ «أي : مثلي أجر غيرها، قال مقاتل : مكان حسنة عشرين حسنة»[2].

(1) يُنظر : المرجع السابق (3/481).
(2) تفسير البغوي (3/527).

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله : «قوله : (أجراً عظيما) المعنى : أعطاهن الله بذلك ثواباً متكاثر الكيفية والكمية في الدنيا والآخرة، وذلك بين في قوله تعالى : (نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) وزيادة رزق كريم معد لهن.

أما ثوابهن في الآخرة فكونهن مع النبي صلى الله عليه وسلم في درجته في الجنة، ولا غاية بعدها ولا مزية فوقها، وفي ذلك من زيادة النعيم والثواب على غيرهن، فإن الثواب والنعيم على قدر المنزلة.

وأما في الدنيا فبثلاثة أوجه : أحدها : أنه جعلهن أمهات المؤمنين، تعظيماً لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتشريفاً لمنزلتهن.

الثاني : أنه حظر عليه طلاقهن ومنعه من الاستبدال بهن، فقال : ﴿)لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [الأحزاب : 52].

الثالث : أن من قذفهن حد حدين، كما قال مسروق، والصحيح أنه حد واحد»[1].

4- أنهن لسن كأحد من النساء في الفضل والشرف وعلو المنزلة، كما أخبر بذلك رب العزة والجلال في كتابه العزيز فقال : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب : 32].

ففي هذه الآية يبين الله سبحانه أنهن إذا اتقين الله عز وجل كما أمرهن فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة[2].

وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية : «يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي»[4].

(1) أحكام القرآن (3/565، 566).
(2) يُنظر : تفسير ابن كثير (3/482)، وأحكام القرآن للشافعي (1/167).
(3) يُنظر : فتح القدير (4/277).
(4) تفسير البغوي (3/527).

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله : «قوله : (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) يعني : في الفضل والشرف ؛ فإنهن وإن كن من الآدميات فلسن كإحداهن، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر جبلة فليس منهم فضيلة ومنزلة، وشرف المنزلة لا يحتمل العثرات، فإن من يقتدى به وترفع منزلته على المنازل جدير بأن يرتفع فعله على الأفعال، ويربو حاله على الأحوال»[1].

5- أن الله شرفهن بتلاوة آياته والحكمة في مساكنهن :

قال الله تعالى : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾ [الأحزاب : 34].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله : «وقوله : (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا) يقول تعالى ذكره : إن الله كان ذا لطف بكن ؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته، والحكمة وهي السنة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً»[2].

وقال ابن كثير رحمه الله : «أي : واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة[3] وغير واحد. واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس، أن الوحي ينـزل في بيوتكـن دون سائر الناس. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب : 34] أي : بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة، وبخبرته بكن وأنكن أهلَ لذلك أعطاكن ذلك، وخصكن بذلك»[4].

موقف أهل السنة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واتهامها :

موقف أهل السنة من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتمثل جلياً في الأحاديث التي رووها في كتبهم عنها، وعن فضلها وشرفها وعفتها، وبما يذكرونه من ردود على منتقصيها، وبتكفيرهم لمتهميها بالفاحشة المبرأة منها ؛ لكونه مكذباً لله الذي برأها في كتابه.

---

(1) أحكام القرآن لابن العربي (568/3).

(2) تفسير الطبري (9/22).

(3) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (61-118هـ)، مفسر حافظ ضرير أكمه. وكان مع علمه بالحديث، رأسًا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. مات بواسط في الطاعون. يُنظر : الأعلام (189/5).

(4) تفسير ابن كثير (486/3).

ونلخص تلك الروايات الخاصة بها رضي الله عنها في النقاط التالية :

1- أنها كانت أحب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إليه :

تواتر - تواترًا معنويًا - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه لعائشة الصديقة رضي الله عنها، وأنها كانت أحب نسائه إليه :

فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحب الناس إليك ؟ فقال : عائشة)[1].

وأخرج الإمام أحمد وأبو حاتم رحمهما الله وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل على عائشة رضي الله عنها وهي تموت، فقال لها : (كنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يكن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا طيبة)[2].

وسمع عمار بن ياسر رضي الله عنهما رجلاً ينال من عائشة رضي الله عنها، فزجره ووبخه وقال له : (اغرب مقبوحًا منبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3].

2- نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها دون غيرها من نسائه :

فقد روى البخاري رحمه الله عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : (كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن : يا أم سلمة ! والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيثما دار، قالت : فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم، قالت : فأعرض عني، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال : يا أم سلمة ! لا تؤذيني في عائشة ؛ فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها)[4].

---

(1) صحيح البخاري (1339/3) (3462).

(2) صحيح ابن حبان (41/16).

(3) جامع الترمذي (707/5) (3888) وقال : حديث حسن، مستدرك الحاكم (444/3) (5684) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(4) صحيح البخاري (1376/3) (3564)، صحيح مسلم (1891/4) (2441) مختصرًا.

قال الذهبي رحمه الله : «وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها»[1].

3- رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها في منامه، وإخبار الملك له بأنها امرأته :

فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول : هذه امرأتك فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه)[2].

4- تسليم جبريل الأمين عليها :

فقد روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : (يا عائش ! هذا جبريل يقرئك السلام، فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[3].

5- نزول آيات من كتاب الله لتبرئتها مما رميت به :

وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : 11] إلى قوله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : 26][4].

6- حرص النبي على أن يمرض في بيتها، ووفاته صلى الله عليه وسلم بين سحرها ونحرها وفي يومها، وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفنه صلى الله عليه وسلم في بيتها رضي الله عنها وأرضاها :

---

(1) سير أعلام النبلاء (142/2).

(2) صحيح البخاري (1415/3) (3682)، صحيح مسلم (1889/4) (2438).

(3) صحيح البخاري (1374/3) (3557).

(4) يُنظر : تفسير القرطبي (197/12)، تفسير ابن كثير (269/3)، فتح القدير (12/4).

فقد روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول : أين أنا غداً ؟ حرصاً على بيت عائشة، قالت : فلما كان يومي سكن)[1].

وعند مسلم عنها رضي الله عنها أيضاً قالت : (إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد يقول : أين أنا اليوم ؟ أين أنا غداً ؟ استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري)[2].

وروى البخاري عنها رضي الله عنها : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول : أين أنا غداً ؟ أين أنا غداً ؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة : فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر[3] ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له : أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن. فأعطانيه، فقضمته ثم مضغته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستن به وهو مستند إلى صدري).

وفي رواية أخرى بزيادة : (فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة)[4].

9- إخباره صلى الله عليه وسلم بأنها من أصحاب الجنة :

فقد روى ابن حبان رحمه الله في صحيحه والحاكم رحمه الله في مستدركه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (قلت : يا رسول الله ! من من أزواجك في الجنة ؟ قال : أما إنك منهن، قالت : فخيل إلي أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري)[5].

---

(1) صحيح البخاري (3/1375) (3563).

(2) صحيح مسلم (4/1893) (2443).

(3) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق شقيق عائشة تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح، شهد اليمامة والفتوح، ومات سنة (53هـ) في طريق مكة فجأة. يُنظر : التقريب (3814).

(4) صحيح البخاري (4/1617) (4186).

(5) صحيح ابن حبان (16/8)، المستدرك (4/14).

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنه ليهون علي أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة)[1].

وروى البخاري رحمه الله عن القاسم بن محمد[2] : «أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال : يا أم المؤمنين ! تقدمين على فرط صدق، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر»[3].

10- أن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام :

فقد روى الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[4].

وبهذا يتبين فضلها ومنزلتها رضي الله عنها وأرضاها، ويتضح جلياً مدى حب أهل السنة لأمهات المؤمنين، واتباعهم فيهن للشرع الحنيف، واعتقاد طهارتهن، وعلو مكانتهن ومنزلتهن.

حكم قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسبها :

ينبغي أن يعلم أن سب عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه يعتبر مروقًا من الدين، فسابها كافر والعياذ بالله، وعلى هذا إجماع علماء المسلمين، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : 17]، وبغيرها من آيات الكتاب الحكيم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «قال القاضي أبو يعلى : من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم، فروي عن مالك : من سب أبا بكر جلد، ومن

(1) مسند أحمد (138/6)، وفضائل الصحابة له (871/2).

(2) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي أحد فقهاء المدينة السبعة، قال أيوب : ما رأيت أفضل منه. مات سنة (106هـ). يُنظر : التقريب (5489).

(3) صحيح البخاري (1375/3) (3560).

(4) المرجع السابق (1252/3) (3230)، صحيح مسلم 1886/4) (2431).

سب عائشة قتل. قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾([النور : 17]»[1].

وقال رحمه الله أيضاً : «وروي عن محمد بن زيد بن علي بن الحسين - أخي الحسن بن زيد - أنه لما قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا ومن بني الآباء ! فقال : هذا سمى جدي - يعني : رسول الله صلى الله عليه وسلم - قرنان[2]، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل[3]»[4].

وروى اللالكائي رحمه الله في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن عتبة بن عبد الله الهمداني قاضي القضاة أنه قال: »كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان، وكان بحضرته رجل ذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال : يا غلام ! اضرب عنقه، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا، فقال : معاذ الله ! هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الله تعالى : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النور : 26] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي صلى الله عليه وسلم خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه وأنا حاضر»[5].

وقال ابن حجر الهيتمي[6] رحمه الله - بعد ما ذكر حديث الإفك - : «عُلم من حديث الإفك أن من نسب عائشة إلى الزنا كان كافرًا، وقد صرح بذلك أئمتنا

(1) الصارم المسلول (ص : 571)، ويُنظر : المحلى (11/414-415).
(2) قال في القاموس المحيط (ص : 1579) باب النون فصل القاف : (القَرْنان : الدَّيوث المشارَكُ في قَريْـنَته لزَوجَته).
(3) لأنه من قذف زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فقد طعن في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - والعياذ بالله من ذلك - ومن فعل ذلك فقد استحق القتل.
(4) الصارم المسلول (ص : 566-567).
(5) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (7/1296)، ويُنظر : الصارم المسلول (ص : 567).
(6) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، مولده سنة (909هـ) في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر وإليها نسبته. ومات بمكة (974هـ)، له تصانيف كثيرة منها : الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج، والخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي. يُنظر : الأعلام (1/234).

وغيرهم ؛ لأن في ذلك تكذيبًا للنصوص القرآنية، ومُكَذِّبها كافر بإجماع المسلمين، وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض ؛ لأنهم ينسبونها إلى ذلك، قاتلهم الله أنى يؤفكون»[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله : «فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر»[2].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله : «ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد[3] وعائشة بنت الصديق، التي برأها الله في كتابه، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم»[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين..»[5].

(1) الصواعق المحرقة (ص : 101).
(2) الجامع لأحكام القرآن (206/12).
(3) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفيت بمكة قبل الهجرة، ماتت بعد أبي طالب بثلاثة أيام، وأولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كلهم إلا إبراهيم ؛ فإنه من مارية القبطية. يُنظر : الإصابة (600/7)، الطبقات الكبرى (52/8)، الثقات (114/3).
(4) يُنظر : لمعة الاعتقاد (ص : 178).
(5) الصارم المسلول (ص : 568).

[الموضع الثامن]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في (ص : 103) في المجلد الحادي عشر - الجزء الثاني والعشرون - عند تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما﴾ [الأحزاب : 56].

«... وأما التسليم في الغيبة فمقصور عليه وعلى الأنبياء والملائكة، لا يشركهم فيه غيرهم من عباد الله الصالحين ؛ لقوله تعالى : ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : 79]، وقوله : ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات : 130]، [سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الصافات : 120]، ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات : 109].

وأنه يجوز إتباع آلهم وأصحابهم وصالحي المؤمنين إياهم في ذلك دون استقلال.

هذا الذي استقر عليه اصطلاح أهل السنة، ولم يقصدوا بذلك تحريمًا؛ ولكنه اصطلاح وتمييز لمراتب رجال الدين، كما قصروا الرضا على الأصحاب وأئمة الدين، وقصروا كلمات الإجلال نحو: تبارك وتعالى، وجل جلاله، على الخالق دون الأنبياء والرسل.

وأما الشيعة فإنهم يذكرون التسليم على علي وفاطمة وآلهما، وهو مخالف لعمل السلف، فلا ينبغي اتباعهم فيه ؛ لأنهم قصدوا به الغض من الخلفاء والصحابة» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : لقد تضمن كلامه رحمه الله مسألتين هما: السلام على غير الأنبياء والمرسلين انفراداً، وقصد الشيعة من تخصيص التسليم على علي وفاطمة وآلهما. والكلام هنا على هاتين المسألتين :

أولاً : حكم السلام على غير الأنبياء والمرسلين انفراداً :

اتفق العلماء على جواز الصلاة والسلام على الأنبياء بانفرادهم، وعلى جواز الصلاة والسلام على غيرهم تبعاً لهم، واختلفوا فيما عدا ذلك، وقد ذكر أقوال العلماء في ذلك، ولخصها أفضل تلخيص الإمام الألوسي في تفسيره روح المعاني، فقال رحمه الله : «وأما الصلاة على غير الأنبياء والملائكة عليهم السلام فقد اضطربت فيها أقوال

العلماء، فقيل : تجوز مطلقاً، قال القاضي عياض : وعليه عامة أهل العلم، واستدل له بقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُه﴾ [الأحزاب : 43] وبما صح في قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم صل على آل أبي أوفى(وقوله عليه الصلاة والسلام - وقد رفع يديه - : (اللهم ! اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة) وصحح ابن حبان خبر إن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : (صل علي وعلى زوجي. ففعل) وفي خبر مسلم : (أن الملائكة تقول لروح المؤمن : صلى الله عليك وعلى جسدك).

وبه يرد على الخفاجي قوله في شرح الشفاء : صلاة الملائكة على الأمة لا تكون إلا بتبعيته صلى الله عليه وسلم.

وقيل : لا تجوز مطلقاً.

وقيل : لا تجوز استقلالاً وتجوز تبعاً فيما ورد فيه النص كالآل، أو ألحق به كالأصحاب. واختاره القرطبي وغيره.

وقيل : تجوز تبعاً مطلقاً ولا تجوز استقلالا، ونسب إلى الإمام أبي حنيفة وجمع.

وفي تنوير الأبصار[1] : ولا يصلى على غير الأنبياء والملائكة، إلا بطريق التبع، وهو محتمل لكراهة الصلاة بدون تبع تحريماً، ولكراهتها تنزيهاً، ولكونها خلاف الأولى.

لكن ذكر البيري[2] من الحنفية: من صلى على غيرهم أثم وكره، وهو الصحيح.

وفي رواية عن أحمد كراهة ذلك استقلالاً. ومذهب الشافعية : أنه خلاف الأولى.

وقال اللقاني[3] : قال القاضي عياض: الذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان، واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين : أنه يجب تخصيص النبي

---

(1) تنوير الأبصار وجامع البحار للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن تمرتاش الغزي الحنفي، المتوفى سنة (1400هـ). ينظر : كشف الظنون (501/1).

(2) علي بن عبد الله بن يوسف البيري، ثم الحلبي، علاء الدين : أديب، من الكتاب نشأ واشتهر بحلب، واستكتبه السلاطين. وولي كتابة السر للأمير يلبغا الناصري نائب حلب، ولما تغير الملك الظاهر (برقوق) على يلبغا، وقتله في حلب، اعتقل البيري وأخذه معه إلى القاهرة حيث قتله أيضاً. يُنظر : الأعلام (306/4).

(3) إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، أبو الأمداد، برهان الدين : من علماء المالكية، نسبته إلى (لقانة) من البحيرة بمصر، من تصانيفه : جوهرة التوحيد، بهجة المحافل وأجمل الوسائل بالتعريف برواة الشمائل، شرح =

صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم، كما يختص الله سبحانه عند ذكره بالتقديس والتنزيه، ويذكر من سواهم بالغفران والرضا، كما قال تعالى : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة : 119]، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر : 10].

وأيضاً : فهو أمر لم يكن معروفاً في الصدر الأول، وإنما أحدثه الرافضة في بعض الأئمة، والتشبه بأهل البدع منهي عنه، فتجب مخالفتهم. انتهى.

ولا يخفى أن كراهة التشبه بأهل البدع مقررة عندنا أيضاً، لكن لا مطلقاً، وإنما في المذموم وفيما قصد به التشبه بهم كما هو معلوم فلا تغفل.

وجاء عن عمر بن عبد العزيز بسند حسن أو صحيح أنه كتب لعامله: إن ناساً من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على حلفائهم ومواليهم، عدل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين خاصة، ودعاؤهم للمسلمين عامة، ويدعوا ما سوى ذلك.

وصح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لا تنبغي الصلاة من أحد على أحد، إلا على النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي رواية عنه : ما أعلم الصلاة تنبغي على أحد من أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار. وكلاهما يحتمل الكراهة والحرمة.

واستدل المانعون بأن لفظ الصلاة صار شعاراً لعظم الأنبياء وتوقيرهم، فلا تقال لغيرهم استقلالاً وإن صح، كما لا يقال : محمد عز وجل، وإن كان عليه الصلاة والسلام عزيزاً جليلاً ؛ لأن هذا الثناء صار شعاراً لله تعالى، فلا يشارك فيه غيره.

وأجابوا عما مر بأنه صدر من الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، ولهما أن يخصا من شاءا بما شاءا، وليس ذلك لغيرهما إلا بإذنهما، ولم يثبت عنهما إذن في ذلك.

=مختصر خليل، نشر المآثر فيمن أدركتهم من علماء القرن العاشر، قضاء الوطر من نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، توفي بقرب العقبة عائداً من الحج سنة (1041هـ). ينظر : الأعلام (28/1).

ومن ثم قال أبو اليمن ابن عساكر[1] : له صلى الله عليه وسلم أن يصلي على غيره مطلقاً؛ لأنه حقه ومنصبه، فله التصرف فيه كيف شاء بخلاف أمته، إذ ليس لهم أن يؤثروا غيره بما هو له، لكن نازع فيه صاحب المعتمد من الشافعية بأنه لا دليل على الخصوصية.

وحمل البيهقي القول بالمنع على ما إذا جعل ذلك تعظيماً وتحية، وبالجواز عليها إذا كان دعاء وتبركاً.

واختار بعض الحنابلة : أن الصلاة على الآل مشروعة تبعاً، وجائزة استقلالاً، وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموماً جائزة أيضاً، وعلى معين شخص أو جماعة مكروهة، ولو قيل بتحريمها لم يبعد، سيما إذا جعل ذلك شعاراً له وحده دون مساويه ومن هو خير منه، كما تفعل الرافضة بعلي كرم الله وجهه، ولا بأس بها أحياناً، كما صلى عليه الصلاة والسلام على المرأة وزوجها، وكما صلى عليه الصلاة والسلام على علي وعمر رضي الله تعالى عنهما، لما دخلا عليه وهو مسجى.

ثم قال : وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وأنت تعلم اتفاقها بغير ما ذكر.

والسلام عند كثير فيما ذكر، وفي شرح الجوهرة للقاني نقلاً عن الإمام الجويني : أنه في معنى الصلاة، فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء عليهم السلام، فلا يقال: علي عليه السلام، بل يقال : رضي الله تعالى عنه.

وسواء في هذا الأحياء والأموات إلا في الحاضر، فيقال : السلام أو سلام عليك أو عليكم، وهذا مجمع عليه. انتهى.

وفي حكاية الإجماع على ذلك نظر.

وفي الدر المنضود[2] : السلام كالصلاة فيما ذكر، إلا إذا كان الحاضر أو تحية لحي غائب، وفرق آخرون بأنه يشرع في حق كل مؤمن بخلاف الصلاة، وهو فرق بالمدعي فلا يقبل.

---

(1) عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر (614-686هـ)، الإمام العلامة الحافظ الزاهد، كان قوي المشاركة في العلوم، لطيف الشمائل، بديع النظم، خيرًا صالحًا، صاحب صدق وتوجه. وله التآليف الحسنة منها : الخلق الداثر والمقيم السائر، وفضائل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها. انقطع بمكة نحوًا من أربعين سنة ومات بالمدينة. ينظر : الأعلام (11/4).

(2) الدر المنضود في الصلاة على صاحب اللواء المعقود صلى الله عليه وسلم لابن حجر الهيتمي. ينظر : هدية العارفين (146/1).

ولا شاهد في (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ؛ لأنه وارد في محل مخصوص، وليس غيره في معناه، على أن ما فيه وقع تبعاً لا استقلالاً.

وحقق بعضهم فقال ما حاصله : مع زيادة (عليه السلام) الذي يعم الحي والميت، هو الذي يقصد به التحية كالسلام عند تلاق أو زيارة قبر، وهو مستدع للرد وجوب كفاية، أو عين بنفسه في الحاضر، ورسوله أو كتابه في الغائب.

وأما السلام الذي يقصد به الدعاء منا بالتسليم من الله تعالى على المدعو له، سواء كان بلفظ غيبة أو حضور، فهذا هو الذي اختص به صلى الله عليه وسلم عن الأمة، فلا يسلم على غيره منهم إلا تبعاً، كما أشار إليه التقي السبكي في شفاء الغرام، وحينئذ فقد أشبه قولنا : (عليه السلام) قولنا : (عليه الصلاة) من حيث إن المراد عليه السلام من الله، ففيه إشعار بالتعظيم الذي في الصلاة من حيث الطلب ؛ لأن يكون المسلم عليه الله تعالى كما في الصلاة، وهذا النوع من السلام هو الذي ادعى الحليمي كون الصلاة بمعناه. انتهى»[1].

ويقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره فتح القدير : »واعلم أن هذه الصلاة من الله على رسوله وإن كان معناها الرحمة، فقد صارت شعاراً له يختص به دون غيره، فلا يجوز لنا أن نصلي على غيره من أمته، كما يجوز لنا أن نقول : اللهم ! ارحم فلاناً أو رحم الله فلاناً، وبهذا قال جمهور العلماء، مع اختلافهم هل هو محرّم ؟ أو مكروه كراهة شديدة ؟ أو مكروه كراهة تنزيه ؟ على ثلاثة أقوال.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه - كما رواه عنه ابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب - : لا تصلح الصلاة على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يدعو للمسلمين والمسلمات بالاستغفار.

وقال قوم : إن ذلك جائز ؛ لقوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة : 103]، ولقوله : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة : 157]، ولقوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب : 43] ولحديث عبد الله بن أبي أوفى - الثابت في الصحيحين وغيرهما - قال : (كان رسول الله صلى الله عليه

---

(1) روح المعاني (85/22).

وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم ! صلّ عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم! صلّ على آل أبي أوفى).

ويجاب عن هذا : بأن هذا الشعار الثابت لرسول الله صلى الله عليه وسلم له أن يخص به من شاء، وليس لنا أن نطلقه على غيره.

وأما قوله تعالى : ﴿هُوَ الذى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ﴾، وقوله : ﴿أولئك عَلَيْهِمْ صلوات مِّن رَّبْهِمْ﴾ فهذا ليس فيه إلاّ أن الله سبحانه يصلي على طوائف من عباده، كما يصلي على من صلى على رسوله مرّة واحدة عشر صلوات، وليس في ذلك أمر لنا، ولا شرعه الله في حقنا، بل لم يشرع لنا إلا الصلاة والتسليم على رسوله.

وكما أن لفظ الصلاة على رسول الله شعار له، فكذا لفظ السلام عليه، وقد جرت عادة جمهور هذه الأمة والسواد الأعظم من سلفها وخلفها على الترضي عن الصحابة والترحم على من بعدهم، والدعاء لهم بمغفرة الله وعفوه، كما أرشدنا إلى ذلك بقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر : 10]»[1].

ويقول الزمخشري رحمه الله في كشافه : «القياس جواز الصلاة على كل مؤمن ؛ لقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب : 43]، وقوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة : 103]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (اللّهم! صلّ على آل أبي أوفى).

ولكن للعلماء تفصيل في ذلك : وهو أنها إن كانت على سبيل التبع كقولك : صلى الله على النبيّ وآله، فلا كلام فيها.

وأما إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه ؛ لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم»[2].

وينبغي لنا أن نلاحظ هنا : أن العلماء الذين أجازوا إفراد الأشخاص بالصلاة أو السلام، لم يخصوا ذلك بأشخاص معينين، إذا ذكروا ذكرت الصلاة أو التسليم، كما

(1) فتح القدير (427/4).
(2) الكشاف (500/1).

هو الشأن في عمل الشيعة، بل كلامهم ينطبق على كل أحد كما هو واضح من كلامهم وأدلتهم التي استدلوا بها.

ثانيًا : مقصد الشيعة من تخصيص التسليم على علي وفاطمة وآلهما :

لقد بين الإمام ابن عاشور أن مقصد الشيعة من تخصيص التسليم على علي وفاطمة وآلهما رضي الله عن الجميع، هو الغض من خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم الثلاثة بعده : أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وكذا الغض من مكانة جميع الصحابة إلا من استثنوهم.

وسوف نبين في هذه الأسطر عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليتبين مدى غضهم من مكانة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

دعوى الشيعة الإمامية الإثني عشرية ارتداد الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كل مسلم يقرأ كتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يجد فيهما سمو منزلة الصحابة وفضلهم ورفعة شأنهم، فهم قوم اختصهم الله تبارك وتعالى لصحبة خير خلقه، إمام المتقين وسيد البرية أجمعين، محمد صلى الله عليه وسلم، فصدقوه وآووه وآزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي جاء به، فتلقوه عذبًا زلالاً، من مشكاة نبوته صلى الله عليه وسلم.

فأخلص هذا الجيل الفريد دينه لله، وبذل هؤلاء الأخيار في سبيل عزة دينهم ورفعته المهج والأرواح، والغالي والنفيس، والأموال والأولاد، فشادوا بنيانه، وأكملوا صرحه، وفتحوا البلاد، وهدوا العباد، فكانوا بذلك أهلاً لرضوان الله ومحبته ورحمته وجنته، وكانوا بحق خير القرون.

لكن الشيعة الإمامية الإثني عشرية لم يرق لهم أن يتبوأ الصحابة الكرام البررة رضي الله عنهم هذه المنزلة التي أنزلهم الله إياها، فزعموا ارتداد الصحابة جميعاً عن الأمر الذي دخلوه طائعين غير مكرهين، إلا نفرًا يسيرًا منهم، رجحوا أنهم ثلاثة : وهم

سلمان وأبو ذر والمقداد رضي الله عنهم، استثنوهم من تعداد من ارتد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الروايات الواردة في ذلك :

ما رواه الكليني عن أبي جعفر الباقر رحمه الله أنه قال : «كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت : ومن الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم»[1].

وروى سُليم بن قيس عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : »إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله إلا أربعة»[2].

وقد بين هؤلاء الأربعة العياشي فيما رواه عن أبي جعفر رحمه الله أنه قال : «إن رسول الله لما قبض صار الناس أهل جاهلية إلا أربعة، علي والمقداد وسلمان وأبو ذر»[3].

وقد وصف الشيعة الإثنا عشرية أسانيد هذه الروايات بأنها معتبرة[4].

وروى المفيد عن محمد بن الحسن بن محبوب الحارث قال : «سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله - عليه السلام - فلم يزل يسأله حتى قال : فهلك الناس إذاً ؟ فقال : إي والله يا ابن أعين ! هلك الناس أجمعون أهل المشرق والمغرب، قال : إنها فتحت على الضلال، إي والله هلكوا إلا ثلاثة نفر، سلمان الفارسي وأبو ذر والمقداد، ولحقهم عمار وأبو ساسان الأنصاري وحذيفة وأبو عمرة، فصاروا سبعة»[5].

وقد أوصلهم ابن بابويه القمي في أماليه إلى تسعة[6]، وفي رواية عنده في الخصال : إلى ثلاثة عشر[7].

وهاتان الروايتان الأخيرتان فيهما نظر عند بقية الإثني عشرية ؛ لتعارضهما مع أرجح الروايات، والتي نص الإثنا عشرية فيها على أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة.

---

(1) الكافي (8/245-246)، ويُنظر : علم اليقين (2/744)، وبحار الأنوار (6/749)، والبرهان للبحراني (1/319).

(2) كتاب السقيفة (92)، ويُنظر : الأنوار النعمانية (1/81).

(3) تفسير العياشي (1/199)، والتفسير الصافي (1/305)، والبرهان للبحراني (1/319)، وبحار الأنوار (6/749).

(4) يُنظر : التفسير الصافي (1/148)، وحق اليقين (1/218).

(5) يُنظر : رجال الكشي (ص : 7)، والاختصاص (ص : 6).

(6) يُنظر : أمالي الصدوق (ص : 52).

(7) الخصال (2/607-608).

يقول التستري : «كما جاء موسى للهداية وهدى خلقًا كثيرًا من بني إسرائيل وغيرهم، فارتدوا في أيام حياته، ولم يبق فيهم أحد على إيمانه سوى هارون (ع)، كذلك جاء محمد صلى الله عليه وسلم وهدى خلقًا كثيرًا، لكنهم بعد وفاته ارتدوا على أعقابهم»[1].

ويقول النوري الطبرسي : «إن معاشر الإمامية يرون أن جميع الصحابة ارتدوا إلا القليل منهم، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم»[2].

دعواهم أن الخلفاء الثلاثة وكل من بايعهم أهل ردة وكفر :

يرى الشيعة الإثنا عشرية أن الخلفاء الراشدين الثلاثة كفروا نتيجة غصبهم للخلافة، وجحدهم لولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

يقول المجلسي : «الخلفاء الثلاثة لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين»[4].

وقد نسبوا إلى جعفر الصادق رحمه الله أنه قال بكفر كل من تقدم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخلافة، فنسبوا إليه أنه قال : «علي باب هدى، من تقدمه كان كافراً، ومن تخلف عنه كان كافراً»[5].

فالتقدم على علي رضي الله عنه في الخلافة لا يختلف عمن زعم أن ليس في السماء إله أو جحد محمداً نبوته.

بل وبكفر كل من يبايع الخلفاء قبل ظهور المهدي المنتظر عندهم، فنسبوا إليه أنه قال : «كل بيعة قبل ظهور القائم فبيعة كفر ونفاق وخديعة، لعن الله المبايع لها والمبايع له»[6].

---

(1) إحقاق الحق (316).

(2) فصل الخطاب (185).

(3) يُنظر : الغيبة للنعماني (ص 70-72)، والإرشاد للمفيد (ص : 235)، والصراط المستقيم (100/1)، وبحار الأنوار (155/38).

(4) مرآة العقول (380/4).

(5) يُنظر : تفسير العياشي (108/2-109)، وبحار الأنوار (330/7).

(6) يُنظر : بحار الأنوار (8/53)، مختصر بصائر الدرجات (183).

الطعن في العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم عدا علياً رضي الله عنهم :

روى ابن بابويه القمي في كتابه الخصال عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال في تفسير هذه الآية : «الذين نفروا برسول الله ناقته منصرفه من تبوك أربعة عشر، أبو الشرور وأبو الدواهي، وأبو المعازف وأبوه، وطلحة وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة[1] وأبو الأعور، والمغيرة وسالم مولى أبي حذيفة[2]، وخالد بن الوليد[3] وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري وعبد الرحمن بن عوف»[4].

وقال القمي : «نزلت في الذين تحالفوا في الكعبة إلا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، فهي كلمة الكفر، ثم قعدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة وهموا بقتله، وهو قوله : ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [التوبة : 74][5].

وقد عد القمي منهم : أبا بكر وعمر، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة.

وزاد الكفعمي عليه : عثمان، وطلحة، والزبير، وأبا سفيان وابنه معاوية، وعتبة بن أبي سفيان، وأبا موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وأبا قتادة[6][7].

---

(1) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة، أسلم قديما وشهد بدراً، مات شهيداً بطاعون عمواس سنة (18هـ). يُنظر : التقريب (3098)، الإصابة (586/3).

(2) سالم مولى أبى حذيفة وهو سالم بن معقل كان مولى لامرأة من الأنصار يقال لها ليلى بنت يعار، وكان يلزم أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فعرف به، كان كنيته أبا عبد الله، قتل يوم اليمامة سنة (12هـ) في خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه. يُنظر : سير أعلام النبلاء(167/1).

(3) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي سيف الله يكنى أبا سليمان من كبار الصحابة، وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميرا على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة (22هـ). يُنظر : التقريب (1684).

(4) الخصال للصدوق (499/2).

(5) تفسير القمي(301/1)، ويُنظر : التفسير الصافي (715/1-716)، والبرهان للبحراني (147/2).

(6) أبو قتادة الأنصاري السلمي المدني، شهد أحداً وما بعدها ولم يصح شهوده بدراً، ومات سنة (54هـ). يُنظر : التقريب (8311)، الإصابة (327/7).

(7) المصباح (ص : 555، 556).

وزعموا أن الصحابة ساءهم تولية علي رضي الله عنه عليهم بعد رسول الله، ففكروا في اغتياله، وهذا السبب ذكره عدد من مصنفيهم، منهم : سليم بن قيس، والعسكري، والبياضي، وحيدر الآملي، والفضل بن الحسن الطبرسي، والكاشاني، والبحراني، والمجلسي، والشيرازي، والجزائري، وغيرهم.

إلا أنهم اختلفوا في تعيين أسماء الصحابة الذين زعموا أنهم أرادوا اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أقوال متعددة، ورغم هذا الاختلاف فقد أجمعوا على أن من بينهم الخلفاء الراشدين الثلاثة، وطلحة، وسعداً، وأبا عبيدة، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة[1].

دعوى الشيعة الإثني عشرية نفاق أكثر الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم :

تقدم معنا دعوى الشيعة الإثني عشرية ارتداد الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن سيل مزاعمهم التي يرومون من ورائها التنقص من خير أمة أخرجت للناس لم يقف، فزعموا أن أكثرهم أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر في حياته عليه الصلاة والسلام لا بعد موته.

فقال التستري عن الصحابة : «إنهم لم يسلموا، بل استسلم الكثير رغبة في جاه رسول الله... إنهم داموا مجبولين على توشح النفاق وترشح الشقاق»[2].

والمتأمل لهذا القول يرى ضعفه وبعده غاية البعد ؛ وذلك أن المال أو المنصب أو حطام الدنيا لم يكن لديه عليه الصلاة والسلام، فقومه - كما هو معلوم - قد رموه عن قوس واحدة، وتآمروا على قتله وأصحابه، وأذاقوهم صنوفاً من العذاب، وأنزلوا بهم من الكربات ما الله به عليم، فلا يصبر على الدين في تلك الظروف إلا صناديد الرجال، وقادة الأبطال، فنراهم في تلك الأحوال ثابتين مقيمين على إسلامهم، قابضين على دينهم، ولو تركوه صلى الله عليه وسلم وتركوا دينه لأكرمهم المشركون غاية الإكرام، وأعطوهم من حطام الدنيا ما تيسر، ولكنَّ نظرة هؤلاء الأخيار لم تكن إلى هذه الفانية، بل كانت نظرة عميقة إلى ما وراء هذه الفانية، مما أعد الله لهم، مما لا يحيط به وصف.

---

(1) يُنظر : السقيفة (ص : 168)، والصراط المستقيم (3/244، 254)، وعلم اليقين (2/637، 640، 652، 655).
(2) إحقاق الحق (ص : 3).

فهل هذا الثبات والصمود من صفات المنافقين ؟ وهل هؤلاء الأبرار الذين صبروا على أذى قريش ومن كان على شاكلتها من الكفرة، منافقون كما تزعم الشيعة الإثنا عشرية ؟!

وقال شيخهم عبد الله الممقاني : «إن من المعلوم بالضرورة بنص الآيات الكريمة، وجود الفساق والمنافقين في الصحابة، بل كثرتهم فيهم، وعروض الفسق بل الارتداد لجمع منهم في حياته، ولآخرين بعد وفاته...»[1].

موقف آل البيت من الصحابة الكرام :

حكى الإمام الشوكاني رحمه الله في كتابه إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي إجماع أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم، على تحريم سب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأورد طرقاً لأهل البيت تثبت صحة ذلك الإجماع الذي نقله، فقال رحمه الله :

«قد ثبت إجماع الأئمة من أهل البيت على تحريم سب الصحابة، وتحريم التكفير والتفسيق لأحد منهم، إلا من اشتهر بمخالفته الدين، ليست بموجبة لعصمة من اتصف بها، بل على ما ذهب إليه الجمهور، بل هو إجماع كما حققنا ذلك في الرسالة المسماة بـ : (القول المقبول في رد رواية المجهول من غير صحابة الرسول) وهذا الإجماع الذي قدمنا ذكره عن أهل البيت يروى من طرق ثابتة عن جماعة من أكابرهم.

1- الطريق الأول : عن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني[2]، فإنه روى عن جميع آبائه من أئمة الآل تحريم سب الصحابة، حكى ذلك عنه صاحب (حواشي الفصول).

---

(1) تنقيح المقال (213/1)، وينُظر في هذه المسألة: كتاب أخينا الشيخ/عبدالله الشايع «الصحابة والمنافقون في القرآن الكريم».

(2) أحمد بن الحسين بن هارون الأقطع، من أبناء زيد بن الحسن العلوي الطالبي القرشي، أبو الحسين، ولد سنة (333هـ)، إمام زيدي، من أهل طبرستان، مولده بها في آمل، ودعوته الأولى سنة (380هـ) بويع له بالديلم ولقب بالسيد المؤيد بالله، ومدة ملكه عشرون سنة. كان غزير العلم، له مصنفات، منها : الأمالي، والتجريد في علم الأثر. توفي سنة (421هـ). يُنظر : الأعلام (116/1).

2- الطريق الثانية : قال : المنصور بالله عبد الله بن حمزة[1] في رسالته في جواب المسألة التهامية - بعد أن ذكر تحريم سب الصحابة - ما لفظه : وهذا ما يقضي به علم آبائنا إلى علي عليه السلام، ثم قال فيها ما لفظه : وفي هذه الجهة من يرى محض الولاء سب الصحابة رضي الله عنهم والبراءة منهم، فيتبرأ من محمد صلى الله عليه وسلم من حيث لا يعلم.

فـإنْ كُنْـتُ لا أرْمِـي وتَرْمِـي كنانَتـي تُصبُ جانِحات النَّبْل كَشْحي ومَنْكبي[2]

انتهى.

قال في الترجمان[3] عند شرح قوله في الصحابة :

وَرَضِّ عَنْهُـمْ كَمـا رَضَّـى أبو الـحَسَنِ أوْ قِفْ عَنِ السَّبِّ إنْ ما كُنْتَ ذَا حذَرِ[4]

ما لفظه : قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة : ولا يمكن لأحد أن يصحح دعواه على أحد من سلفنا الصالح أنهم نالوا من المشايخ أو سبوهم، بل يعتقدون فيهم أنهم خير الخلق بعد محمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم وسلامه، ويقولون : قد أخطئوا في التقدم وعصوا معصية لا يعلم قدرها إلا الله سبحانه، والخطأ لا يبرأ منه إلا الله وحده، ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه : 121] فإن حاسبهم فبذنب فعلوه، وإن عفا عنهم فهو أهل العفو، وهم يستحقونه بحميد سوابقهم. انتهى.

3- الطريق الثالثة : قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة[5] - عليه السلام - في آخر (التصفية) ما لفظه : تنبيه : اعلم أن القول في الصحابة على فريقين، القول الأول :

(1) عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة : أحد أئمة الزيدية في اليمن. ومن علمائهم وشعرائهم. بويع له سنة (593هـ). واستولى على صنعاء وذمار، له مصنفات، منها : حديقة الحكمة النبوية، والشافي في أصول الدين، والعقد الثمين، وتلقيح الألباب في أحكام السابقين وأهل الاحتساب. توفي في كوكبان، ونقل إلى ظفار، سنة (614هـ). يُنظر : الأعلام (83/4).

(2) البيت من البحر الطويل.

(3) ترجمان الزمن لجمال الدين بن المهنّى العلوي. ينظر : كشف الظنون (397/1).

(4) البيت من البحر البسيط.

(5) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي : من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن. ولد سنة (669هـ) ولد في صنعاء. وأظهر الدعوة بعد وفاة المهدي محمد بن المطهر سنة (729هـ)، وتلقب بالمؤيد بالله، واستمر إلى أن توفي في حصن هران (قبلي ذمار). من تصانيفه : الشامل في أصول الدين، ونهاية الوصول إلى=

مصرحون بالترحم عليه والترضية، وهذا هو المشهور عن أمير المؤمنين، وعن زيد بن علي وجعفر الصادق، والناصر للحق والمؤيد بالله، فهؤلاء مصرحون بالترضية والترحم والموالاة، وهذا هو المختار عندنا.

وذكرنا أن الإسلام مقطوع به لا محالة، وعروض ما عرض من الخطأ في مخالفة النصوص ليس فيه إلا الخطأ لا غير، وأما كونه كفراً أو فسقاً فلم تدل عليه دلالة شرعية، فلهذا أبطل القول به، فهذا هو الذي نختاره ونرتضيه مذهبا، ونحب أن نلقى الله به ونحن عليه.

والفريق الثاني : متوقفون عن الترضية والترحم، وعن القول بالتكفير والتفسيق، وهذا دل عليه كلام القاسم والهادي وأولادهما، وإليه أشار كلام المنصور بالله، فهؤلاء يحكمون بالخطأ ويقطعون به، ويتوقفون في حكمه.

فأما القول بالتكفير والتفسيق في حق الصحابة فلم يؤثر عن أحد من أكابر أهل البيت وأفاضلهم، كما حكيناه وقررناه، وهو مردود على ناقله. انتهى.

وقال الإمام يحيى بن حمزة أيضا في رسالته الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين - بعد أن حكى عن أهل البيت أنهم لم يكفروا ولم يفسقوا من لم يقل بإمامة أمير المؤمنين أو تخلف عنه أو تقدمه - ما لفظه : ثم إن لهم بعد القطع بعدم التكفير والتفسيق مذهبين :

الأول : مذهب من صرح بالترحم والترضية، وهذا هو المشهور عن علي وزيد بن علي وجعفر الصادق والباقر والناصر والمؤيد بالله وغيرهم، وهو المختار عندنا.

ثم قال : المذهب الثاني : من توقف عن الترضية والترحم والإكفار والتفسيق، وإلى هذا يشير كلام القاسم والهادي[1] وأولادهما، والمنصور بالله ؛ لأنهم لما قطعوا على

= علم الأصول، والتمهيد لأدلة مسائل التوحيد، والحاوي في أصول الفقه، وشرح الكافية، والرسالة الوازعة لذوي الألباب، والأنوار المضية في شرح الأخبار النبوية. توفي سنة (745هـ). يُنظر : الأعلام (143/8).

(1) يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي : إمام زيدي. ولد بالمدينة. وكان يسكن الفرع من أرض الحجاز، مع أبيه وأعمامه. نشأ فقيهاً عالماً ورعاً، فيه شجاعة وبطولة. وصنف كتبا، منها : الجامع ويسمى الأحكام في الحلال والحرام والسنن والأحكام، والمسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك، توفي سنة (298هـ). يُنظر : الأعلام (141/8).

الخطأ، ولم يدل دليل على عصمتهم، فيكون الخطأ صغيرة في حقهم، جاز إن لم يكن خطؤهم كبيرة، فلذلك توقفوا عن الترضية.

قال : ونقابله على أنا قاطعون على إيمانهم قبل هذه المعصية، فنستصحب الأصل ولا ننتزع عنه إلا لدلالة قاطعة على كفر أو فسق، قال : وما روي عن المنصور بالله أنه قال : من رضي عنهم فلا تصلوا خلفه، ومن سبهم فاسألوه ما الدليل، الرواية المشهورة : من سبهم فلا تصلوا خلفه، ومن رضي فاسألوه ما الدليل. انتهى كلام الإمام يحيى (عليه السلام).

وقد بالغ في كتابه المسمى بـ : (التحقيق في الإكفار والتفسيق) في الاستدلال على جواز الترضية، وكذلك في سائر كتبه الكلامية، قال الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم في الإيضاح : واعلم أن القائلين بالترضية من أهل البيت هم أمير المؤمنين، والحسن والحسين، وزين العابدين علي بن الحسين، والباقر والصادق، وعبد الله بن الحسن، ومحمد بن الحسن، ومحمد بن عبد الله النفس الزكية، وإدريس بن عبد الله[1]، وزيد بن علي، وكافة القدماء من أهل البيت.

ومن المتأخرين : سادة الجيد المؤيد بالله، وصنوه أبو طالب، والناصر الحسن بن علي الأطروش[2]، والإمام الموفق بالله، وولده السيد المرشد بالله[3]، والإمام يحيى بن حمزة.

(1) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب : مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. وإليه نسبتها. وهو أول من دخل المغرب من الطالبيين. توفي سنة (177هـ). يُنظر : الأعلام (279/1).

(2) الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين العلوي الهاشمي، أبو محمد : ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان، كان شيخ الطالبيين وعالمهم. مولده بالمدينة، كان يدعى الأطروش لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة. كان شاعراً مفلقاً، علامة إماماً في الفقه والدين. توفي في طبرستان. يُنظر : الأعلام (200/2).

(3) يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني : من أئمة الزيدية في بلاد الديلم. كانت دعوته في الجيل والري، في حدود سنة (491هـ). يُنظر : الأعلام (141/8).

ومن المتأخرين باليمن : الإمام المهدي أحمد بن يحيى[1]، والسيد محمد بن إبراهيم وصنوه الهادي، والإمام أحمد بن الحسين، والإمام عز الدين بن الحسن[2]، والإمام شرف الدين[3] وغيرهم.

وسائر الأئمة يتوقف، كالهادي والقاسم، مع أن في رواية الهادي الترضية، والمنصور بالله عبد الله بن حمزة له قولان : التوقف كما في الشافي، والترضية كما في الجوابات التهامية، وكثير منهم لا حاجة لنا إلى تعداد أعيانهم ؛ لأنه يكفي القول الجملي بأن أئمة أهل البيت كافة بين متوقف ومترض، لا يرى أحد منهم السب للصحابة أصلاً، يعرف ذلك من عرف. انتهى بلفظه.

4- الطريق الرابعة : حكى السيد الهادي بن إبراهيم الوزير[4] في كتابه المعروف بـ : (تلقيح الألباب) : أنه سئل الإمام ناصر محمد بن علي[5] المعروف بـ : (صلاح

(1) أحمد بن يحيى بن المرتضى بن المفضل ابن منصور الحسني، من سلالة الهادي إلى الحق : من أئمة الزيدية باليمن. ولد في ذمار، وبويع بالإمامة بعد موت الناصر سنة (793هـ) في صنعاء، ولقب المهدي لدين الله، وقد بويع في اليوم نفسه للمنصور علي ابن صلاح الدين، فنشبت فتنة انتهت بأسر صاحب الترجمة وحبسه في قصر صنعاء سنة (794-801هـ)، وخرج من سجنه خلسة، فعكف على التصنيف إلى أن توفي في جبل حجة غربي صنعاء. من كتبه : البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، والمنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، والأزهار في فقه الأئمة الأخيار، ومنهاج الوصول إلى شرح معيار العقول، والشافية شرح الكافية، توفي سنة(840هـ). يُنظر : الأعلام (269/1).

(2) عز الدين بن الحسن بن علي المؤيد : من أئمة الزيدية وعلمائهم باليمن. دعا إلى نفسه وتلقب بالهادي إلى الحق - كجده - فبايعه أهل فللة سنة (879هـ)، وأطاعته بلاد السودة، وكحلان، والشرفين، والبلاد الشامية في اليمن، واستمرت إمامته إلى أن توفي بصنعاء. صنف كتباً، منها : المعراج في شرح المنهاج للعرشي، والفتاوى. توفي سنة (900هـ). يُنظر : الأعلام (229/4).

(3) شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق ابن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، الحسني اليمني : فاضل زيدي، من أهل صنعاء. خرج في آخر أيام المهدي العباس بن الحسين، إلى بلاد أرحب مغاضباً. وجرت حروب، وبقي هنالك إلى أن مات المهدي، فعاد إلى صنعاء في خلافة المنصور، وصارت إليه إمارة آل إسحاق بعد وفاة عمه العباس بن محمد، فباشر أعمالهم إلى أن توفي. يُنظر : الأعلام(160/3-161).

(4) الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الحسني، جمال الدين ابن الوزير : من علماء الزيدية باليمن. ولد في هجرة الظهر، من شظب، وأقام بصنعاء. ورحل إلى صعدة ومكة. ومات بذمار. من كتبه : رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار، والتحفة الصفية في شرح الأبيات الصوفية، وكفاية القانع في معرفة الصانع، ودرة الغواص في نظم خلاصة الرصاص. يُنظر : الأعلام (58/8).

(5) محمد بن علي بن محمد بن علي، صلاح الدين، الملقب بالناصر لدين الله : من أئمة الزيدية في اليمن. دعا إلى نفسه في ظفار بعد وفاة والده المهدي سنة (773هـ)، وملك من صعدة إلى عدن. واستولى على صنعاء وكانت لبعض الأشراف من آل يحيى بن حمزة. وتمت له البيعة فيها سنة (784هـ) وقاتل سلاطين اليمن الأقصى، فدوخ الرسوليين، وكان يجتاح إماراتهم. مات بصنعاء سنة (793هـ). يُنظر : الأعلام (287/6).

الدين) عن المتقدمين لأمير المؤمنين وسائر من خالفه ؟ فأجاب بأن مذهب أئمة الزيدية : القول بالتخطئة لمن تقدم أمير المؤمنين، قال : وهؤلاء فرقتان : فرقة تقول باحتمال الخطأ ويتوقفون في أمرهم، وفرقة يتولونهم ويقولون : إن خطأهم مغفرة في جنب مناقبهم وأعمالهم وجهادهم وصلاحهم.

قال : وهذا القول الثاني هو الذي نراه، إذ هم وجوه الإسلام، وبدور الظلام، وحكى السيد الهادي في ذلك الكتاب عن الإمام المهدي علي بن محمد بن علي والد الإمام صلاح الدين : أنه سئل عمن تقدم على أمير المؤمنين أو خالفه ؟ فأجاب بأن مذهب جمهور الزيدية : أن النص وقع على وجه يحتاج في معرفة المراد به إلى نظر وتأمل، ولا يكفرون من دافعه ولا يفسقونه... إلى آخر كلامه في ذلك.

ولا يخفى أن حكاية ذلك عن جمهور الزيدية لا تنافي حكاية غيره له عن جميعهم؛ لأن الحاكي عن الجميع ناقل للزيادة وقبولها متحتم، وغاية ما عند ما حكي عن البعض أو الأكثر أنه لم يعلم بأن ذلك قول الجميع، وعدم العلم ليس علماً بالمعدوم، وقد علم غيره ذلك، ومن علم حجة على من لم يعلم.

5- الطريق الخامسة : قال يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد في كتابه (الإيضاح) - لما خفي من الاتفاق على تعظيم الصحابة بعد حكاية مذهب أهل البيت- ما لفظه : وإذا تقرر ما ذكرنا، وعرف أقوال أئمة العلم الهداة، علم من ذلك بالضرورة التي لا تنتفي بشك ولا بشبهة، إجماع أئمة الزيدية على تحريم سب الصحابة ؛ لتواتر ذلك عنهم والعلم به، فما خالف ما علم ضرورة لا يعمل به... إلى آخر كلامه.

6- الطريق السادسة : حكاها السيد إدريس[1] في كتابه المعروف بـ (كنز الأخيار).

7- الطريق السابعة : حكاها الديلمي[2] من كتاب (اعتقاد آل محمد).

---

(1) إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن ابن حمزة، أبو موسى عماد الدين : من أشراف اليمن وأمرائها. من أهل صنعاء. كان فارسا أديبا عالماً بالتاريخ. ولي إمارة القحمة سنة (699هـ)، واختصر تاريخ ابن الأثير وأضاف إليه أخبار العراق ومصر والشام إلى سنة(713هـ) وأخبار اليمن إلى سنة (714هـ)، وسماه : كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، وكان من ذوي الحظوة عند المؤيد الرسولي صاحب اليمن، ورشح لإمامة الزيدية. توفي سنة (714هـ). يُنظر : الأعلام (280/1).

(2) محمد بن الحسن الديلمي فقية زيدي، أصله من الديلم انتقل إلى اليمن وسكن صنعاء وتوفي بوادي مر في رجوعه إلى بلاده، سنة (711هـ) من تصانيفه : قواعد عقائد آل محمد، والصراط المستقيم.

8- الطريق الثامنة : حكاها حميد بن أحمد المحلي[1] في كتابه (عقيدة أهل البيت).

9- الطريق التاسعة : حكاها السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد في (المسائل التي اتفق عليها الزيدية).

10- الطريق العاشرة : حكاها الكني في كتاب (كشف الغلطات) له.

11- الطريق الحادية عشرة : حكاها الإمام شرف الدين[2] في (مقدمة الأثمار).

12- الطريق الثانية عشرة : حكاها القاضي عبد الله الدواري[3] في كتاب (السير) من آخر (الديباج) انتهى.

فهذه طرق متضمنة لإجماع أهل البيت من أئمة الزيدية ومن غيرهم، كما في بعض هذه الطرق، والناقل لهذا الإجماع ممن أسلفنا ذكره، من أكابر أئمتهم»[4].

موقف أهل السنة من الصحابة رضي الله عنهم :

يعتقد أهل السنة والجماعة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخبر الله تبارك وتعالى به عنهم في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله الأمين :

فمن القرآن : قول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة : 143] ، وقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : 110].

---

(1) حميد بن أحمد المحلي الهمداني، أبو عبد الله حسام الدين، المعروف بالقاضي الشهيد : مؤرخ فقيه. من أهل صنعاء. كان من كبار أصحاب الإمام المهدي أحمد بن الحسين القاسمي، من تصانيفه : الحدائق الوردية في سير الأئمة الزيدية، ومحاسن الأزهار في فضائل العترة الأخيار، ومناهج الأنظار العاصمة من الأخطار، توفي سنة (652هـ). يُنظر : الأعلام (2/282-283).

(2) شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى الملقب بالمتوكل على الله، ولد سنة (877هـ) وتوفي سنة (965هـ)، من تصانيفه : الأثمار مختصر الأزهار، والدرة المنيرة في الغرائب من فقه السيرة. يُنظر : هدية العارفين (6/530).

(3) عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي : فقيه زيدي. نسبته إلى أحد أجداده دوار ابن أحمد. له شرح جوهرة الغواص في أصول الفقه، والديباج والحرير، ولد وعاش ومات في صعدة سنة (800هـ). يُنظر : الأعلام (4/78).

(4) إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي (ص : 50) وما بعدها.

وقوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : 100].

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح : 18].

وقوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح : 29].

وقوله تعالى : ﴿لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد : 10].

وقوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : 8-9].

فمن اعتقد السوء فيهم كلهم أو جمهورهم، فقد كذب الله تعالى فيما أخبر به من كمالهم وفضائلهم.

وأما من السنة : فقول النبي صلى الله عليه وسلم : (النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[1].

وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خير أمتي قرني، ثم الثاني، ثم الثالث، وخير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر)[2].

(1) صحيح مسلم (4/1961) (2531).

(2) صحيح البخاري (3/1335) (3450)، وصحيح مسلم (4/1962) (2533).

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يأتي زمان يغزو فئام من الناس فيقال : فيكم من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقال : نعم. فيفتح عليه. ثم يأتي زمان فيقال : فيكم من صحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقال : نعم. فيفتح. ثم يأتي زمان فيقال : فيكم من صحب صاحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فيقال : نعم. فيفتح)[1].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم أو نصيفه)[2].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد وجبت لكم الجنة أو قد غفرت لكم)[3].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)[4].

ولذلك نجد كل إمام من أئمة أهل السنة حينما يذكر عقيدته ولو في ورقة واحدة أو أقل، لا بد وأن يشير إلى موضوع الصحابة؛ إما من جهة فضلهم، أو من جهة عدالتهم، والنهي عن سبهم والطعن فيهم، أو الإشارة إلى الكف والإمساك عما شجر بينهم... إلخ،

ومن ذلك ما ورد في كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي رحمه الله، و(السنة) لابن أبي عاصم رحمه الله، و(السنة) لعبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله، و(الإبانة) لابن بطة رحمه الله[5]، و(عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني

---

(1) صحيح البخاري (3/1061) (2740).

(2) المرجع السابق (3/1343) (3470)، وصحيح مسلم (4/1967) (2540).

(3) صحيح البخاري (3/1095) (2875)، وصحيح مسلم (4/1941) (2494).

(4) صحيح مسلم (4/1942) (2496).

(5) عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة : عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولداً سنة (304هـ)، رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه، والتي منها : الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة. توفي سنة (387هـ) بعكبرا. يُنظر : سير أعلام النبلاء (16/529-533)، الأعلام (4/197).

رحمه الله[1]، و(العقيدة الواسطية) لابن تيمية رحمه الله، و(العقيدة الطحاوية) للطحاوي رحمه الله... وغيرها، وهذه نماذج تدل على ذلك :

يقول الإمام أبو زرعة الرازي[2] رحمه الله : «إذا رأيت الرّجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فاعلم أنّه زنديق ؛ لأنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم عندنا حقّ، والقرآن حقّ، وإنّما أدّى إلينا هذا القرآن والسّنن أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وإنّما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسّنّة، والجرح أولى بهم، وهم زنادقة»[3].

ويوضح الإمام الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين موقف أهل السنة من الصحابة، فيقول :

«ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضوان الله عليهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون، أفضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم»[4].

ويقول ابن بطة رحمه الله في كتابه الإبانة على أصول السنة : «ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمر بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فُضّلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم»[5].

---

(1) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، أبو عثمان الصابوني : مقدم أهل الحديث في بلاد خراسان. لقبه أهل السنة فيها بشيخ الاسلام. ولد سنة (373هـ)، ومات سنة (449هـ) في نيسابور. كان فصيح اللهجة، واسع العلم، عارفاً بالحديث والتفسير، يجيد الفارسية إجادته العربية. من تصانيفه : عقيدة السلف، والفصول في الأصول. يُنظر : الوافي بالوفيات (86/9)، طبقات الشافعية (223/1)، الأعلام (314/1).

(2) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي المخزومي، أبو زرعة الرازي(200-264هـ)، أحد الأئمة المشهورين والأعلام المذكورين والجوالين المكثرين والحفاظ المتقنين، من أهل الري، زار بغداد، وحدث بها، وجالس أحمد بن حنبل، كان يحفظ مائة ألف حديث، ويقال : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل. توفي بالري. ينظر : تهذيب الكمال 19/89-103)، الأعلام (194/4).

(3) يُنظر : تاريخ دمشق (38/32-33).

(4) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (72/1).

(5) الإبانة على أصول السنة (ص : 268).

ويقول الإمام أبو نعيم رحمه الله : «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزللهم، ولا يحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه»[1].

ويقول أيضاً : «لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، والإسلام والمسلمين»[2].

ويقول الإمام الصابوني رحمه الله في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث ما نصه : «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم»[3].

ويقول الإمام النووي[4] رحمه الله : «اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه صلى الله عليه وسلم، والمراد الصحابة»[5].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة : «وهذه الأحاديث مستفيضة ومتواترة في فضائل الصحابة والثناء عليهم، وتفضيل قرنهم على من بعدهم من القرون، والقدح فيهم قدح في القرآن والسنة»[6].

ويقول رحمه الله أيضاً : «القدح في خير القرون الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح في الرسول، وطعن في الرسالة، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم :

---

(1) الإمامة لأبي نعيم (ص : 344).

(2) المرجع السابق (ص : 376).

(3) كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص : 93).

(4) يحيى بن شرف بن مري النووي، الشيخ الإمام العلامة محيي الدين، أبو زكريا، ولد في المحرم سنة (631هـ) بنوى قرية من الشام، ونشأ بها وقرأ القرآن ثم قدم دمشق، وكان يقرأ في يوم وليلة اثني عشر درساً على المشايخ في عدة من العلوم حتى فاق على أقرانه وأهل زمانه، لم يتزوج، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وولي دار الحديث الأشرفية ولم يأخذ من معلومها شيئاً، وكان ذا وقار في البحث مع العلماء. وتوفي سنة (676هـ). من كتبه : شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، روضة الطالبين وعمدة المفتين. يُنظر : الأعلام (149/8).

(5) يُنظر : شرح صحيح مسلم (318/16).

(6) يُنظر : مجموع الفتاوى (430/4).

إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال : رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[1].

ويقول السيوطي رحمه الله : «الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم، بإجماع من يعتد به، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة : 143] أي : عدولاً، وقال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : 110]، والخطاب فيها للموجودين حينئذ، وقال صلى الله عليه وسلم : (خير الناس قرني) رواه الشيخان»[2].

ويقول الإمام السفاريني[3] رحمه الله في وصفهم : «فأحق الأمة بإصابة الصواب أبرها قلوباً، وأعمقها علوماً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، من غير شك ولا ارتياب، فكل خير، وإصابة، وحكمة، وعلم، ومعارف، ومكارم إنما عرفت لدينا ووصلت إلينا من الرعيل الأول، والسرب الذي عليه المعول، فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتداء»[4].

فهذا هو موقف أهل السنة من الصحابة، فهو موقف الحب والاحترام والتقدير والإعظام، ومعرفة منازلهم، والإشادة بفضائلهم، والرفع من مقامهم، والترضي عنهم، والدعاء لهم، سائرين على ما أمر الله به من الترضي عنهم والاستغفار لهم، حيث يقول جل شأنه : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر : 10].

---

(1) يُنظر : الصارم المسلول (580).

(2) تدريب الراوي (214/2).

(3) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، ولد سنة (1114هـ) في سفارين من قرى نابلس، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة (1188هـ(. يُنظر : الأعلام (14/6).

(4) يُنظر : لوامع الأنوار البهية (380/2).

[الموضع التاسع]

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله في (ص : 210) من المجلد السابع - الجزء الرابع عشر - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : 69].

«ومن لطيف النوادر ما في الكشاف: أن من تأويلات الشيعة : أن المراد بالنحل في الآية علي وآله. وعن بعضهم أنه قال عند المهدي[1] : إنما النحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل: جعَل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

قلت : الرجل الذي أجاب الرافضي هو بشار بن برد[2]. وهذه القصة مذكورة في أخبار بشار» انتهى كلام الطاهر رحمه الله تعالى.

أقول : هذه واحدة من التأويلات الباطنية الشيعية - التي لا يسندها عقل أو نقل - لآيات القرآن الكريم، وذلك لأنهم يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومعانيه الباطنة تخالف معانيه الظاهرة.

وسوف نعرض من أقوال علمائهم ومراجعهم ورواياتهم عن أئمتهم ما يبين حقيقة القول بأن للقرآن باطناً وظاهراً، ثم نستعرض أمثلة لتأويلاتهم التي تبين باطن القرآن الكريم المخالف لظاهره لديهم.

أولاً : اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر :

ذهب شيوخ الشيعة الإمامية الإثني عشرية في تطبيق هذا المبدأ مذهباً بعيداً، ورووا مئات الروايات التي تؤول آيات الكتاب العزيز على غير تأويلها المعروف عند عامة المسلمين، ونسبوها للأئمة الإثني عشر.

---

(1) محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله (127-169هـ)، من خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد بإيذج (من كور الأهواز) وولي بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة 158هـ) وأقام في الخلافة عشر سنين وشهراً، ومات في ماسبذان، صريعاً عن دابته في الصيد، وقيل مسموماً. ينظر : الأعلام (221/6).

(2) بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (95-167هـ)، أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون، ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل إنها أعتقته من الرق. كان ضريرًا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. ينظر : الأعلام (52/2).

وليس لهذا التأويل الباطني من ضابط، ولا له قاعدة يعتمد عليها ويرجع إليها.

فأركان الدين تفسر بالأئمة، وآيات الشرك والكفر تؤول بالشرك بولاية علي وإمامته، وآيات الحلال والحرام تفسر بالأئمة وأعدائهم، وهكذا يخرج القارئ لهذه التأويلات بدين غير دين الإسلام، دين له ركنان أساسيان هما : الإيمان بإمامة الإثني عشر، وتكفير ولعن أعدائهم ومخالفيهم.

قال المجلسي في كتابه بحار الأنوار : «باب : أن للقرآن ظهراً وبطناً، وأن علم كل شيء في القرآن، وأن علم كل ذلك عند الأئمة عليهم السلام، ولا يعلمه غيرهم إلا بتعليمهم» ثم ساق أربعاً وثمانين رواية تدل على هذا المعنى[1].

وعقد البحراني في كتابه البرهان في تفسير القرآن باباً مماثلاً لما في البحار بعنوان : «باب في أن القرآن له ظهر وبطن»[2].

وقد قررت كثير من كتب تفسيرهم في مقدماتها هذه المسألة كأصل من أصولهم، كتفسير القمي[3]، والعياشي[4]، والصافي[5] وغيرها.

ومن رواياتهم في هذه المسألة : ما جاء في الكافي للكليني عن محمد بن منصور أنه قال : «سألت عبداً صالحاً[6] عن قول الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف : 33] قال : فقال : إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق»[7].

ورووا عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «أن للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن»[8].

---

(1) يُنظر : بحار الأنوار (92/78-106).
(2) يُنظر : تفسير البرهان(1/19).
(3) يُنظر : تفسير القمي (1/14، 16).
(4) يُنظر : تفسير العياشي (1/11).
(5) يُنظر : التفسير الصافي (1/29).
(6) يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع [يُنظر : الكافي(1/374) هامش].
(7) الكافي (1/374)، تفسير العياشي (2/16).
(8) التفسير الصافي (1/31).

وعن جابر الجعفي قال : «سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك ! كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال لي : يا جابر ! إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر! وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»[1].

وعندهم أن كثيراً من القرآن إنما موضوعه ذكر أئمتهم وثواب الإيمان بهم، وذكر أعدائهم وعقابهم.

ففي تفسير الصافي للكاشاني : «أن جل القرآن إنما نزل فيهم - يعني : في الأئمة الإثني عشر - وفي أوليائهم وأعدائهم»[2].

وعن أبي جعفر الباقر رحمه الله : «نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع في فرائض وأحكام»[3].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «نزل القرآن أثلاثاً : ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»[4].

يقول الفيض الكاشاني : «وردت أخبار جمة عن أهل البيت، في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم، حتى أن هو أحسن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم في تأويل القرآن آية آية، إما بهم أو بشيعتهم أو بعدوهم، على ترتيب القرآن.

وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين ألف بيت، وقد روي في الكافي، وفي تفسير العياشي، وعلي بن إبراهيم القمي، والتفسير المسموع من أبي محمد الزكي، أخباراً كثيرة من هذا القبيل»[5].

---

(1) تفسير العياشي (11/1)، بحار الأنوار (95/92)، وسائل الشيعة (142/18).

(2) التفسير الصافي (24/1).

(3) الكافي (627/2)، البرهان (21/1).

(4) التفسير الصافي (24/1).

(5) المرجع السابق (1/24-25).

وقال بعض شيوخهم : «إن الأصل في تنزيل آيات القرآن... إنما هو الإرشاد إلى ولاية النبي والأئمة – صلوات الله عليهم – بحيث لا خير خبّر به إلا وهو فيهم وفي أتباعهم وعارفيهم، ولا سوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفي مخالفيهم»[1].

وقد ذكر الحر العاملي في كتابه : الفصول المهمة في أصول الأئمة، باباً في هذا الشأن بعنوان : «باب أن كل ما في القرآن من آيات التحليل والتحريم، فالمراد بها ظاهرها، والمراد بباطنها : أئمة العدل والجور»[2].

فهو يعتبر آيات أحكام الحلال المقصود بها أئمتهم، وآيات الحرام المقصود بها خلفاء المسلمين، باستثناء الإمام علي وبقية الأئمة الإثني عشر، وهذا بلا شك باب من أبواب الإباحية، وهو ما عليه طوائف الباطنية، ولكنه يعد هذه المقالة أصلاً من أصول الأئمة.

ولقد تتابع علماؤهم في سرد الروايات التي تؤيد هذا الأمر، من خلال تأويلهم للآيات وصرفها عن ظاهرها)[3]، وهو باب من أبواب الضلال لا مثيل له.

ثانياً : أمثلة لهذه التأويلات :

إذا ذكر (الإله) أو (الرب) في كتاب الله فالمراد به الإمام، فقوله تعالى : ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل : 51] معناه عندهم : لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[4].

ويؤولون الآيات المتعلقة بصفات الله سبحانه بالأئمة، وعلى سبيل المثال قالوا : «إن الأخبار المستفيضة تدل على تأويل وجه الله بالأئمة عليهم السلام»[5].

ويروون عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «نحن والله الأسماء الحسنى، الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا، قال : ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : 180][6].

(1) مرآة الأنوار (مقدمة البرهان) (ص : 4)، ويُنظر : اللوامع النورانية (ص : 548).
(2) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص : 256).
(3) يُنظر : الكافي (412/1) وما بعدها، بحار الأنوار (23/354-309) وما بعدها.
(4) تفسير العياشي (261/2)، البرهان في تفسير القرآن (373/2)، تفسير نور الثقلين (60/3).
(5) مرآة الأنوار (ص : 324).
(6) تفسير العياشي (42/2)، التفسير الصافي (2/254-255)، البرهان (51/2).

ويؤولون (القرآن) أو (الكتاب) عند وروده بالأئمة، ففي تفسير القمي عن الصادق في قوله سبحانه : ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : 1-2] قال : «الكتاب علي ولا شك فيه»[1].

ويؤولون (الكلمة) بالأئمة، ففي قوله سبحانه : ﴿وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُم ﴾ [الشورى :21] قالوا : «الكلمة الإمام»[2].

وقوله سبحانه : ﴿ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ [يونس : 64] قالوا : «لا تغيير للإمامة»[3].

ويؤولون (المسجد) و(المساجد) و(الكعبة) و(القبلة) بالإمام والأئمة، فيروون عن الصادق في قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : 29]. أنه قال : «يعني : الأئمة»[4].

وفي رواية أخرى عنه في قوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : 31] أنه قال : «يعني : الأئمة»[5].

وفي قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : 18] قال : «إن الإمام من آل محمد، فلا تتخذوا من غيرهم إماما»[6].

ويقول الصادق : «... نحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله»[7].

ويؤولون (السجود) بولاية الأئمة، وبهذا يفسرون قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [القلم : 43]. حيث قالوا : «أي : يدعون إلى ولاية علي في الدنيا»[8].

(1) تفسير القمي (30/1)، التفسير الصافي (1/91-92).
(2) تفسير القمي (274/2)، بحار الأنوار (174/24).
(3) تفسير القمي (314/1)، بحار الأنوار (175/24).
(4) تفسير العياشي (12/2)، مرآة الأنوار (ص : 175).
(5) تفسير العياشي (13/2)، البرهان (9/2).
(6) البرهان (393/4).
(7) يُنظر : بحار الأنوار (303/24)، مرآة الأنوار (ص : 213).
(8) تفسير القمي (383/2)، مرآة الأنوار (ص : 176).

ويؤولون (شر الدواب) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال : 55] ببني أمية[1].

ويؤولون (الإمام) في قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس : 12] المقصود : أنه علي[2].

ويؤولون (الشجرة الملعونة) في قوله تعالى : ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء : 60] ببني أمية[3].

ويؤولون (الشيطان) الذي قال للإنسان اكفر، في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر : 16] بعمر بن الخطاب رضي الله عنه[4].

ويؤولون (الكافر) في قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان : 55] بعمر بن الخطاب، و(الرب) بعلي رضي الله عنه[5].

ورووا أن الباقر سئل عن تفسيرها فقال : «إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية، والرب هو الخالق الذي لا يوصف»[6].

ولذا يؤولون قوله تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر : 69] أي : بنور إمام الأرض[7].

ويؤولون (البحرين) في قوله تعالى : ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن : 19] بعلي وفاطمة رضي الله عنهما.

---

(1) تفسير القمي (279/1).

(2) اللوامع النوارنية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية (ص : 321-323).

(3) تفسير القمي (21/2)، تفسير العياشي (297/2)، البرهان (424/2-425).

(4) تفسير العياشي (223/2)، التفسير الصافي (84/3)، تفسير القمي (83/3).

(5) تفسير القمي (115/2).

(6) التفسير الصافي (20/4)، تفسير البرهان (172/3).

(7) يُنظر : التفسير الصافي (331/4)، تفسير البرهان (87/4).

وأما قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن : 22] فهما الحسن والحسين رضي الله عنهما[1].

ويؤولون (الظلمات) في قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ...﴾ [النور : 40] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقوله : ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ [النور : 40] بعثمان رضي الله عنه.

و﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ [النور : 40] بطلحة والزبير رضي الله عنهما.

و﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور : 40] بمعاوية رضي الله عنه[2].

ويؤولون النحل في قوله سبحانه : ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل : 68] بالأئمة.

وروى القمي عن جعفر الصادق رحمه الله أنه قال : «نحن النحل التي أوحى الله إليها : ﴿أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ [النحل : 68] أمرنا أن نتخذ من العرب شيعة ﴿وَمِنْ الشَّجَرِ﴾ [النحل : 68] يقول : من العجم ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل : 68] يقول : من الموالي..»[3].

وجمع المجلسي رواياتهم في هذا المعنى في باب بعنوان : «باب نادر في تأويل النحل بهم عليهم السلام»[4]، كما جاء بروايات تقول : «إن الأئمة هم الماء المعين، والقصر المشيد، والسحاب والمطر والفواكه، وسائر المنافع الظاهرة»[5].

وفي رواية لهم عن جابر الجعفي أنه قال : «سألت أبا جعفر عن تأويل قول الله عز وجل : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبة : 36] قال : فتنفس سيدي الصعداء ثم قال : يا جابر ! أما السنة فهي جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهورها (اثنا عشر شهرًا) فهو أمير المؤمنين إلي[6]، وإلى ابني

(1) تفسير القمي (344/2)، الخصال (ص : 65)، التفسير الصافي (109/5).
(2) تفسير القمي (106/2).
(3) المرجع السابق (387/1).
(4) بحار الأنوار (110/24-113).
(5) يُنظر : المرجع السابق 100/24-110).
(6) أي هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومن بعده من الأئمة حتى يصل إليّ، يُنظر : بحار الأنوار (240/24).

جعفر، وابنه موسى، وابنه علي، وابنه محمد، وابنه علي، وإلى ابنه الحسن، وإلى ابنه محمد الهادي المهدي، اثنا عشر إمامًا... و(الأربعة الحرم) الذين هم الدين القيم، أربعة منهم يخرجون باسم واحد: علي أمير المؤمنين رضي الله عنه، وأبي علي بن الحسين، وعلي بن موسى، وعلي بن محمد، فالإقرار بهؤلاء هو الدين القيم: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36] أي: قولوا بهم جميعاً تهتدوا»[1].

ويؤولون (البعوضة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: 26] بعلي رضي الله عنه[2].

ويؤولون (الذباب) في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: 73] بعلي رضي الله عنه[3].

ويؤولون (دابة الأرض) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: 82] بعلي رضي الله عنه[4].

ويؤولون (البئر) في قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: 45] بعلي رضي الله عنه[5].

ويؤولون (الساعة) في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ [الفرقان: 11] بعلي رضي الله عنه[6].

ويؤولون الجبت والطاغوت في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 51] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما)[7].

ويؤولون الشمس والقمر في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 6] بالعمرين، وأنهما يكونان في النار[8].

---

(1) الغيبة للطوسي (ص: 96)، بحار الأنوار (240/24).

(2) تفسير القمي (35/1)، البرهان (70/1).

(3) يُنظر: مرآة الأنوار (ص: 150).

(4) يُنظر: تفسير العياشي (384/1)، تفسير القمي (130/2)، التفسير الصافي (74/4).

(5) يُنظر: تفسير القمي (85/2)، الكافي (427/1).

(6) يُنظر: الغيبة للنعماني (ص: 54)، مرآة الأنوار (ص: 182).

(7) يُنظر: الكافي (429/1)، التفسير الصافي (459/1).

(8) يُنظر: تفسير القمي (343/2).

ويؤولون المغضوب عليهم في قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : 7] بالنصاب - أي : أهل السنة - والضالين بالشكاك الذين لا يعرفون الإمام[1].

ويؤولون (الرسول) بالإمام و(الرسل) بالأئمة، قال صاحب مرآة الأنوار : «قد ورد تأويل الرسول بالإمام، والرسل بالأئمة في بعض الآيات، بحيث يمكن سحبه إلى غيرها»[2].

ومن أمثله تأويلهم للرسول بالإمام : ما يروونه عن الصادق في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس : 47]. قال : «أي : في كل قرن إمام يدعوهم إلى طريق الحق»[3].

ويؤولون قوله تعالى : ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم : 4] بعلي بن أبي طالب، و(ظهير) من قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم : 4] به أيضاً رضي الله عنه[4].

مناقشة هذا المعتقد :

معلوم لدى القاصي والداني أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وذكر العلة من ذلك في قوله سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [يوسف : 2].

قال الإمام البغوي رحمه الله عند تفسير هذه الآية : (قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) «أي : أنزلناه بلغتكم، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه»[5].

وفي قوله سبحانه : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [الزخرف : 3].

---

(1) يُنظر : المرجع السابق (29/1).

(2) مرآة الأنوار (ص : 163).

(3) المرجع السابق (ص : 164)، ويُنظر : تفسير العياشي (123/2)، التفسير الصافي (405/2)، بحار الأنوار (307-306/24).

(4) يُنظر : تفسير القمي (376/2).

(5) يُنظر : تفسير البغوي (408/2).

قال الإمام الشوكاني رحمه الله - عند تفسير هذه الآية - : «(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي : جعلنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً لكي تفهموه، وتتعقلوا معانيه، وتحيطوا بما فيه»[1].

وقال سبحانه عن كتابه : ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر : 28].

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله : «وقوله : (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : جعلنا قرآناً عربياً إذ كانوا عرباً؛ ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرّءوا من الأنداد والآلهة»[2].

فالمتأمل في هذه الآيات الآنفة الذكر وغيرها، وفي أقوال أهل العلم بالتأويل، يتضح له جلياً العلة التي أنزل لها القرآن، وهي التدبر والتفهم؛ ليعقبه العمل والتطبيق.

فأنى لهذه العلة التي أنزل القرآن لأجلها أن تتحقق إن كانت جل المعاني باطنة مخفية ؟ بل لو كان الأمر كذلك لكان ما نفاه الله عن كتابه هو عين ما هو فيه، وهذا ما ينزه عنه الله وكتابه.

وذلك أن الله يقول عن كتابه الكريم : ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر : 28] أي : غير ذي لبس[3].

ولا ننازع أن هناك في كتاب الله معان وإشارات قد تخفى على عوام الناس، ولا يستنبطها إلا أهل العلم الراسخون فيه، لكن ينبغي أن يعلم أنه لا بد لتلك الإشارات من قرائن تعضدها، وأدلة تؤيدها، أما أن يكون اللسان والعقل والنقل على خلافها، فليست بمعتبرة أبداً.

وذلك أن العالم إنما فضل على غيره لمعرفته أوجه استدلال قد تخفى على غيره فيظهرها، أو بعلمه بنص آخر يبين المعنى المراد فيورده، وما أشبه ذلك.

أما أن يقال : إن المراد بالشيطان في كتاب الله الفاروق رضي الله عنه، والمراد بالذباب علي رضي الله عنه فهذا ما يرده صغار الناس قبل كبارهم، وعامتهم قبل علمائهم، وسفهاؤهم قبل عقلائهم.

---

(1) يُنظر : فتح القدير (547/4).

(2) تفسير الطبري (283/21).

(3) يُنظر : المرجع السابق (283/21).

رابعاً :

الخاتمة

رابعاً : الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان والسنة عطف الخاص على العام، والصلاة والسلام على من تركنا على المحجة البيضاء، وعلى آله وصحبه الأخيار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي :

1- كان العالم الإسلامي في عصر الإمام يسوده فساد في النظام واستبداد في الحكم، وتشرذم وانقسام يندى له الجبين، وكان السبب الرئيسي للوصول إلى هذه الحالة هو أن فهم كثير من المسلمين للإسلام صار منحرفاً بعيداً عن روح الإسلام الخالص.

2- ظهرت في عصر العلامة الطاهر ابن عاشور نهضة شاملة في أطراف البلاد الإسلامية والعربية، لتهيئ أصحاب هذه الأوطان إلى تدارك الأوضاع البغيضة والمهينة، وإلى العمل بحزم على استرجاع السيادة والكرامة للأمة، وكان الطاهر ابن عاشور أحد أركان هذه النهضة، بحركته الإصلاحية الشاملة التي قام بها في جامع الزيتونة.

3- يعتبر الإمام محمد الطاهر ابن عاشور من أجلة علماء المسلمين وأكابرهم، فقد كان إماماً لجامع الزيتونة في تونس في عصره، وكان فقيهاً لتونس، وهو من العلماء العاملين الذين لهم قدم راسخة في الدعوة إلى الله وفي الإصلاح وفي العلم والتعليم، وفي التصدي لأهل البدع والضلال كالإمامية الإثني عشرية وغيرهم.

4- يعتبر كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور من التفاسير المشهورة بين الناس، وهو من الكتب المهمة في بابه، فقد جمع فيه بين التفسير والدعوة والإصلاح، وبيان خطر الفرق والطوائف المنحرفة عن الدين، والتي منها الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

5- عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل هو واضع بذور التشيع في البيئة الإسلامية، والتي يرتكز عليها الفكر الشيعي الرافضي الآن، ويدافع عنها علماؤه.

6- يوجد اختلاف كبير وبون شاسع بين دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية ودين الإسلام الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وأنبياء الله ورسله من قبله؛ فالإسلام يدعو إلى عبادة الله سبحانه وحده لا شريك له، ويؤمر بطاعته وتعظيمه دون من سواه، ودين الشيعة الإمامية الإثني عشرية يأمر بعبادة الأئمة الاثني عشر بدعائهم والاستغاثة بهم والحج إلى مشاهدهم وإسناد التشريع وأمور الدنيا والآخرة إليهم.

7- أركان الإسلام وعباداته الكبرى مشتهرة معروفة عند المسلمين أجمعين، لكننا نجد في دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية أركاناً وواجبات تخالف ما عليه المسلمون مخالفة جوهرية؛ فعندهم الإيمان بإمامة أئمتهم الاثني عشر هو قطب الدين الأعظم، الذي يعتبر تاركه بالكلية أو تارك الإيمان بأحدهم كافراً مشركاً بالله عز وجل، والتقية - وهي إظهار المرء خلاف ما يبطن- تسعة أعشار دينهم، وأفضل أعمالهم وأرجاها عند مليكهم زيارة قبور أئمتهم وقصدها دون بيت الله المحرم، ومتعة النساء من ضروريات دينهم.

8- الشيعة الإمامية الإثنا عشرية يقولون بتحريف القرآن الكريم، ويعتقدون أن القرآن الكامل هو عند الإمام المهدي المنتظر، وأنه سيظهره عند ظهوره.

9- أطبق جميع أئمة المذاهب على تضليل الشيعة الإمامية الإثني عشرية وبيان انحرافهم، والمذهب المالكي هو أحد هذه المذاهب الفقهية التي بين علماؤها انحراف كثير من عقائد هذا المذهب وخروجها من السنة إلى البدعة، ومن الإسلام إلى الكفر.

10- أعدى أعداء الشيعة الإمامية الإثني عشرية هم أهل السنة والجماعة، وهذا الأمر يتبين من مواقفهم العدائية لأهل السنة والجماعة، فمن رميهم لأهل السنة والجماعة بالنصب، إلى تكفيرهم واستباحة أموالهم ودمائهم، إلى تقديم

قتالهم على قتال اليهود والنصارى، بل والتعاون مع جميع طوائف الكفر وملله للقضاء على أهل السنة والجماعة.

وبهذا يظهر سراب أبواق التقريب، وخداع بعض رموز الشيعة الإمامية الإثني عشرية في العالم لأهل السنة بالتصريحات الكاذبة الصادرة منهم.

11- ضرورة الاهتمام بالرد على الشيعة الإمامية الإثني عشرية وبيان خطرهم وانحرافهم عن الدين ؛ إعذاراً لله تعالى وتحذيراً للناس من خطر عقائدهم، وهذا لا يمنع دعوتهم إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وإرشادهم إلى طريق الصواب، وتحذيرهم مما وقعوا فيه من الباطل على ضوء الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين.



فهرس الموضوعات